



PDF
Complete

Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران - السانبا



قسم علم المكتبات

والعلوم الوثائقية

كلية العلوم الإنسانية

والحضارة الإسلامية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

في علم المكتبات والعلوم الوثائقية

تخصص: تقنيات وثائقية: الببليوغرافيا والببليوغرافيون العرب .

عنوان البحث:

منهج الإسناد ودوره في ضبط الببليوغرافية العربية:
مقاربة تاريخية- تحليلية.

إشراف الدكتور: صاحبي

إعداد الطالبة: بوبكر فاطمة.
محمد

أعضاء لجنة

المناقشة:

- أ. د. بوجمعة جهيدة رئيسا.
أ. د. صاحبي محمد مؤظرا.
أ. د. غازي جاسم الشمري مناقشا.
أ. د. سليمان عبد القادر مناقشا.

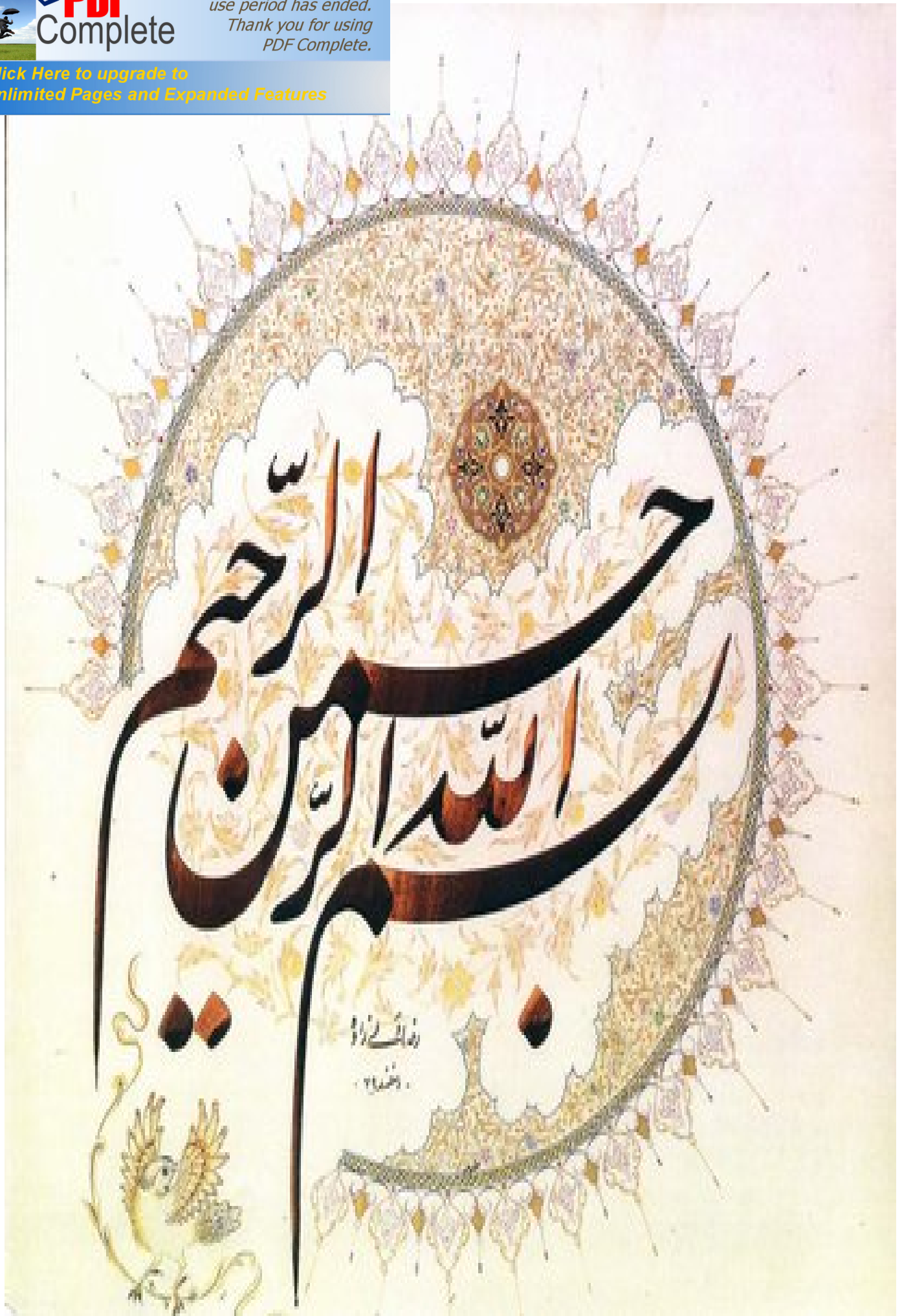
السنة الجامعية: 2009-2010



PDF
Complete

Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)





PDF
Complete

Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

كلمة شكر

الشكر كله لله عزّ وجلّ وحده على هدايته وتوفيقه لطريق العلم.

ثم أتقدّم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير إلى أستاذنا المحترم "صاحبي محمّد" الذي

تولّى الإشراف على إخراج هذا العمل إلى النور، فكان بذلك مقدّراً لظروفنا، وأسأل الله أن يكون

ذلك في ميزان حسناته.

كما لا يفوتني أن أتقدّم بالشكر الجزيل إلى كافة أعضاء لجنة المناقشة.

وأقدّم باقة تفوح عراقتها بشكر كلّ من سعى في إنتاش بذرة هذا العمل من قريب أو بعيد.

وأختم شكري وامتناني إلى كلّ من سقاني بالعلم في شتّى فنونه وفي كلّ أطواره ومراحله.



إهداء:

إلى قرّة عيني، ومنبع حلمي، إلى سندي عند فرحي وحزني، إلى حبي وقلبي، وهدية ربّي
أبي وأمّي.

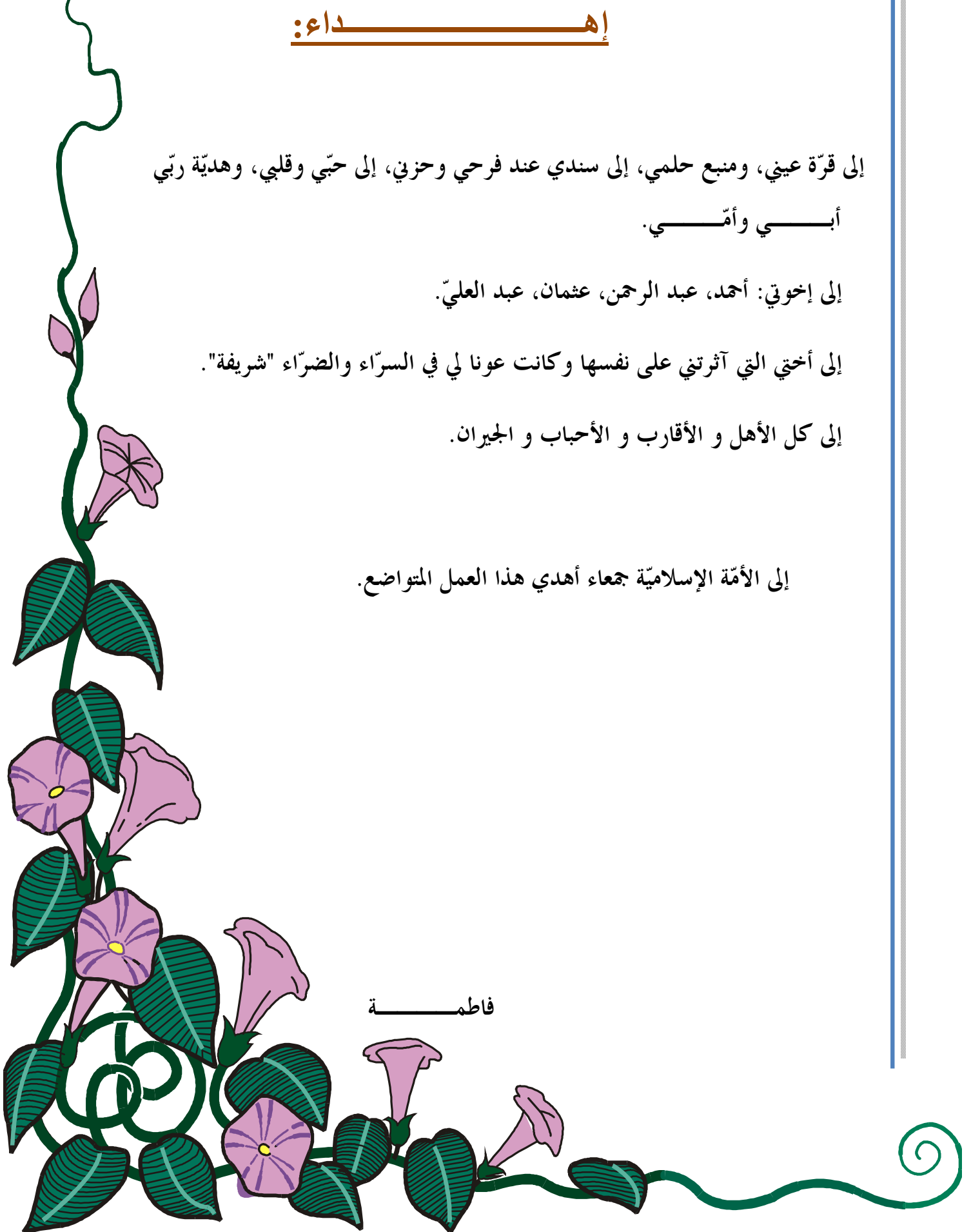
إلى إخوتي: أحمد، عبد الرحمن، عثمان، عبد العليّ.

إلى أختي التي آثرتني على نفسها وكانت عوناً لي في السراء والضراء "شريفة".

إلى كل الأهل والأقارب والأحباب والجيران.

إلى الأمة الإسلامية جمعاء أهدي هذا العمل المتواضع.

فاطمة





PDF
Complete

*Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.*

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

* كلمة شكر.

* إهداء.

06..... * مقدمة عامة

الفصل الأول: الإسناد و مراميه:

20..... 1- توثيق علم الحديث و مراحل تدوينه

21..... 1-1- أقوال في كراهية كتابة العلم والعلّة

24..... 1-2- إباحة الكتابة ونسخ النّهي عنها.

28..... 2- تعريف الإسناد

30..... 3- الأسباب الممهّدة لظهوره

32..... 4- جهود العلماء للتخلّص من العلم الموضوع

32..... 4-1- علم الجرح والتعديل

35..... 4-2- الرّحلة في طلب العلم

35..... 4-2-1- أهميّة الرحلة و فوائدها.

37..... 4-3- طرق تحمّل العلم

38..... 4-3-1- السماع

39..... 4-3-2- القراءة

39..... 4-3-3- الإجازة

40..... 4-3-4- المناولة

40..... 4-3-5- المكاتبّة

41..... 4-3-6- الإعلام

41..... 4-3-7- الوصيّة

41..... 4-3-8- الوجادة

43..... 5- أهميّة الإسناد:

43..... 5-1- الأقوال الواردة في ذلك

44..... 5-2- دوره في تشكّل العلم عند المسلمين

45..... 5-2-1- علم التفسير

47..... 5-2-2- علم اللّغة والأدب

49..... 5-2-3- علم الأخبار

49..... 5-2-3-1- علم السّير والمغازي

5-2-3 علم الأنساب

56..... 5-2-3 علم التاريخ

الفصل الثاني: علم البليوغرافيا والمبدعون العرب فيه:

60..... 1- البليوغرافيا: تعريفها، ماهيتها.

61..... 2- بعض المصطلحات المرتبطة بالبليوغرافيا.

61..... 1-2- الفهرس: (Catalogue).

62..... 2-2-الكشّاف: (Index).

63..... 3- بين البليوغرافيا والبليولوجيا.

65..... 4- لحة عن بعض الأعمال الفاعلة للضبط البليوغرافي العربي.

66..... 1-4- معاجم التراجم والطبقات.

67..... 1-1-4- تعريف المعجم.

67..... 2-1-4- تعريف التراجم.

67..... 3-1-4- تعريف الطبقات.

68..... 2-4- نماذج من معاجم التراجم.

68..... 1-2-4- معجم الشعراء.

69..... 2-2-4- معجم الأدباء.

69..... 3-4- نماذج من كتب الطبقات.

70..... 1-3-4- طبقات المفسرين.

70..... أ- طبقات الأطباء والحكماء.

70..... ب- عيون الأبناء في طبقات الأطباء.

72..... 4-4- معاجم التراجم المكانية.

72..... 1-4-4- "تاريخ بغداد" لـ "الخطيب البغدادي".

74..... 5-4- المعاجم الجغرافية أو تقويم البلدان.

74..... 1-5-4- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع.

76..... 5- لحة عن بعض الأعمال البليوغرافية العربية.

76..... 1-5- الفارابي.

77..... 2-5- الخوارزمي.



6- دراسة تحليلية لبعض الأعمال البليوغرافية العربية التراثية

80.....1-6-1 ابن النديم ومؤلفه "الفهرست".

80.....1-1-6 ابن النديم.

82.....2-1-6 الفهرست.

82.....1-2-1-6 تسمياته.

82.....2-2-1-6 غرض ابن النديم من وضع "الفهرست".

83.....3-2-1-6 أقسام "الفهرست" ومحتوياته.

85.....4-2-1-6 منهج ابن النديم في ترتيب مادة الفهرست.

87.....5-2-1-6 مصادر تجميع مادة "الفهرست".

87 أ-الوراقة.

87.....ب- المكتبات.

88.....ج- أهل الثقة.

88.....د- الدراسات السابقة.

90.....6-2-1-6 أهمية كتاب "الفهرست".

91.....7- عناصر منهج الإسناد البارزة في "فهرست" ابن النديم.

الفصل الثالث: فهارس الشيوخ: مفهومها ونماذجها:

97.....1- فهارس الشيوخ أو برامج العلماء.

97.....1-1 مفهومها.

97.....أ- الفهرس.

97.....ب- البرنامج.

98.....ج- المشيخة.

98.....د- المعجم.

99.....هـ- الثبوت.

99.....و- المسلسل.

100.....2-1 أصولها.

100.....3-1 أسباب ظهورها.

101.....4-1 أهميتها وقيمتها.

102.....5-1 محتوياتها.



1-6- طرق تناولها.....

104..... أ- التخريج الذاتي للفهرس

104..... ب- التخريج غير الذاتي للفهرس

104..... 1-7- طرق تأليفها.....

104..... أ- دراسة مستقلة.....

105..... ب- دراسة مُدَيِّلَة.....

105..... 1-8- طرق ترتيب موادها.....

105..... أ- الفئة الأولى.....

105..... ب- الفئة الثانية.....

106..... ج- الفئة الثالثة.....

2- دراسة تحليلية لنموذجين من فهارس الشيوخ

2-1- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف

108..... لـ"ابن خير الإشبيلي".....

108..... أ- المؤلف.....

109..... ب- فهرسة "ابن خير الإشبيلي".....

109..... ب-1- ناسخ وطابع الكتاب.....

110..... ب-2- واضع عنوان الكتاب.....

110..... ب-3- الدافع من وضع الكتاب.....

111..... ب-4- منهج تأليف فهرسة "ابن خير الإشبيلي" ومحتوياتها.....

117..... ب-5- أهمية وقيمة فهرسة "ابن خير الإشبيلي".....

117..... ب-6- عناصر منهج الإسناد البارزة في فهرسة "ابن خير الإشبيلي".....

2-2- عنوان الدراية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لـ"الغبريني".....

121..... أ- المؤلف: مولده ونسبه.....

122..... ب- المؤلف.....

122..... ب-1- هدفه من تأليف المشيخة.....

122..... ب-2- منهجية تأليف المشيخة.....

125..... ب-3- أهمية برنامج مشيخة "الغبريني".....

ب-4- عناصر منهج الإسناد البارزة

الفصل الرابع: بعض الأعمال الببليوغرافية بعد القرن العاشر الهجري:

- 1- دراسة تحليلية لبعض الأعمال الببليوغرافية العربية ابتداء من القرن العاشر الهجري.....128
- 1-1- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لـ "حاجي خليفة".....133
- أ- المؤلف.....133
- أ-1- نبذة عن حياة "حاجي خليفة".....133
- أ-2- مصادر نبوغه.....134
- أ-3- مؤلفاته.....136
- ب- المؤلف: "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون".....137
- ب-1- التعريف بالكتاب ومحتوياته.....137
- ب-2- الباعث على وضع كتاب "كشف الظنون".....142
- ب-3- منهجية تأليف "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون".....143
- ب-4- ذيول "كشف الظنون".....146
- ب-5- أهمية "كشف الظنون".....147
- ب-6- عناصر منهج الإسناد البارزة في "كشف الظنون" لحاجي خليفة.....148
- 1-2- فهرس الفهارس لـ "عبد الحي الكتاني".....152
- 1-2-1- التعريف بـ "عبد الحي الكتاني".....152
- 1-2-2- فهرس الفهارس والأثبتات ومعجم المعاجم والمسلسلات.....154
- أ- التعريف بالمؤلف والغرض من تأليفه.....154
- ب- منهجية ترتيب "فهرس الفهارس" وعناصر منهج الإسناد المجسدة فيه.....155
- 1-3- تعريف الخلف برجال السلف لـ "أبي القاسم محمد الحفناوي".....158
- 1-3-1- نبذة عة حياة "الحفناوي".....158
- 1-3-2- محتوى وغرض "الحفناوي" في تحقيق "تعريف الخلف برجال السلف".....158
- 1-3-3- عناصر منهج الإسناد في "تعريف الخلف برجال السلف".....159
- * الخاتمة.....163

* الببليوغرافية.

* الملاحق.



PDF
Complete

*Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.*

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

مقدمة عامة

مما هو متعارف عليه أنّ النشاط العقلي والمنهجي عند المسلمين في الحضارة العربية الإسلامية، كان نتيجة حتمية لما أسفر عليه علوم الحديث ومصطلحاته. هذا إذا انطلقنا من بديهة مألها أنّ المسيرة الأولى التي خاضها المدوّنون الأوائل بتطوّر وعيهم التاريخي كانت قائمة على منهج الإسناد وطرق التحقيق المختلفة التي أصّلها وأرسى قواعدها علم أصول الحديث. هذا كلّه أكسب ظاهرة التدوين هاته صبغة علمية ومنهجية متميزة مبنية على التصفية، فكان من وراء هذا القصد تقليص فجوة التزييف والتزوير؛ أو إلى شيء قريب من ذلك.

من هذا المنطلق لم تُعدّ قواعد منهج الإسناد التي تتماشى ومنهج الجرح والتعديل خاصّة في الأصل بالحديث النبوي الشريف فحسب؛ بل تعدّى إلى إحصاء أرضية صلبة سليمة هيأت إعادة تشكيل الموروث الثقافي، وأثّرت إيجابيا في بلورة وصقل علوم السيرة والمغازي والأنساب التي كوّنت في مجموعها علم التاريخ.

وبما أنّ الببليوغرافيا جزء من هذه العلوم؛ أو بالأحرى جامعها، فكان حظّ منهجيتها في تدقيق وتوثيق سلاسل الإسناد في نقل المؤلفات وتحملها عبر الأزمان. خاصّة فيما يخصّ الشكل الأوّل للببليوغرافيا، والذي اصطلح على تسميته "فهارس الشيوخ أو برامج العلماء". فلولا وجود علم الحديث من رواية وإسناد وجرح وتعديل لما كنّا نتحدّث الآن عن الببليوغرافية العربية كضرورة علمية لا غنى للأمة عنها.

أهمية الموضوع:

مما لا جدال فيه أنّ الببليوغرافية قد رافقت الإنسان طوال مراحل حياته، فساعدته بذلك على تنظيم معارفه المكتوبة وتنسيقها، وحفظ آثارها الأدبية وصيانتها. وقد أصبحت اليوم أداة ضرورية ووسيلة فعّالة في حقل التراث الإنساني، والعاملين في مجال المكتبات على السواء.

كما أنّ الحصر والضبط الببليوغرافيين هو السبيل في الحصول على المعلومات والوقوف بشكل منسّق ومنظّم على تراث السلف، والاستفادة من آثار وسجّلات الفكر الإنساني بوجه عام. والشيء اللافت للنظر أنّ أهميتها قد لا تعدوا كذلك عند عامّة الناس بالرغم من أنّها الشيء الذي يبدأ به كلّ باحث لطّف ذهنه واستقام عقله. وكذا الشيء نفسه الذي ينتهي به كلّ بحث رزين. ولهذا أردنا أن نبين أنّ سجّلات الحضارة الإسلامية إذا لم تُضبط بالببليوغرافية قد لا تعدوا أن تكون أكواما من جهود مبثرة تفكّكت روابطها واختلّ نظامها. هذا السبيل لن يتأتّى إذا لم يُصيغ بمنهج قويم، وهو منهج الإسناد الذي له علاقة جدّ وثيقة مع الضبط الببليوغرافي في حدّ ذاته.

أمّا دراسة هذا الموضوع وتبيين العلاقة بين منهج الإسناد والبليوغرافيا العربي كان مؤسسا على أربعة فصول. كان عنوان الفصل الأوّل: الإسناد ومراميه، الذي اشتمل على مجموعة من المباحث. تحدّثنا بدايةً عن توثيق علم الحديث ومراحل تدوينه، وتضارب الأقوال في بداية الخوض فيه، ومراحل عصر التدوين. انطلاقا من أقوال يُستفاد منها كراهة كتابة العلو والعلّة في ذلك. وبالمقابل قد تواجدت بعض الأدلّة التي توحى على وجوب وإباحة الكتابة ونسخ النهي عنها. وخلصنا من خلال هذا المبحث إلى أنّ تدوين الحديث الرسمي لا يمكن أن يتم لولا التقييدات التي ترجع إلى عهد مبكّر في حياته صلى الله عليه وسلّم. فتوارثت بعد ذلك وتناقلت بعده جيلا بعد جيل (الصحابه، التابعين، تابعي التابعين...). أمّا الروايات التي تدلّ على كراهية كتابة العلم؛ إنّما كانت لأسباب منها لئلا يُضاهي تدوينه كتاب الله، بالإضافة إلى احتمال وقوع الالتباس بينه وبين كلامه عزّ وجلّ، خاصّة إذا جُمعَتا في صحيفة واحدة. هذا بالإضافة إلى مخافة انشغال المسلمين بالحديث عن القرآن الكريم. فكان الإجمال في نهاية المطاف بحكم مفاده أنّ النهي لم يكن عاما والإباحة لم تكن كذلك في أوّل الإسلام. فحيثما تحقّقت علّة النهي مُنعت الكتابة، وحيثما زالت أُبيحت. أمّا المبحث الثاني فقد جملنا فيه بعض التعريفات الخاصّة بالإسناد وبعض المصطلحات التي تخدمه قلبا وقالبا كالسند والمسند. وكان من وراء ذلك لا محالة أسبابا في ظهور هذا المنهج، فكان السبيل في التنويه عن أهمّها في المبحث الثالث الذي كان تحت عنوان: الأسباب الممهّدة لظهوره. أمّا المبحث الرابع فتنطّرّقنا فيه إلى جهد العلماء للتخلّص من العلم الموضوع، فتبيّن لنا أنّ السبيل في ذلك هو علم الجرح والتعديل بالإضافة إلى الرّحلة في طلب العلم، ومباشرة الرّجال للتبّث من صحّة المتن والسند. ولا يتمّ ذلك إلّا بطرق تحمّل العلم، والتي كان لنا وقفة في التعريف بها، كونها تختلف مدلولاتها باختلاف المصطلحات الدالّة عليها (السماع، القراءة، الإجازة...). أمّا المبحث الخامس والأخير فكان حول أهميّة الإسناد، فانقسم بدوره إلى مباحث أوّلها: الأقوال الواردة في ذلك، ثانيها: دوره في تشكّل العلم عند المسلمين، وهذا الأخير قد اشتمل على مباحث ثانويّة. أولينا الحديث فيها عن مختلف العلوم التي كان منهج الإسناد عنصرا فعّالا في بزوغها (كعلم التفسير، علم اللغة والأدب، وكذا علم الأخبار بما فيه علم السّير والمغازي، علم الأنساب وعلم التاريخ). وقرّنا ذلك بالحوادث التاريخيّة في سير وتكامل هذه الفنون، وتسلسل مسارها في توثيق الموروث الثقافي العربي الإسلامي، وتنسيقها منهجيّا بواسطة ما يشدّها من سلاسل تجعل من أخبارها موثوقة في صحّتها لسُمُوّ تواترها.

أمّا الفصل الثاني فكان موسوما بـ: علم البليوغرافيا والمبدعون العرب فيه. فاشتمل هو الآخر على عدّة مباحث نوردها كما يلي: تحدّثنا في الأوّل منها عن تعريف البليوغرافيا وماهيّتها، وربطنا ذلك بما قدّم في المبحث الثاني ببعض المصطلحات المرتبطة بالمفهوم، لأنّ التعامل مع المصطلح في حدّ ذلك لازالت تعترع بعض الغموض في تحديد

معالمه الحقيقية. ولأنّ العرب أيضا قد تعاملوا مع المصطلح عمل الحديثة "البليوغرافيا". ولهذا تطرّفنا إلى بعض المصطلحات التي أ

أمّا المبحث الثالث فكان الجمع فيه بين البليوغرافيا والبليولوجيا. إذ أنّنا استقرّأنا من خلاله حقيقة ميلاد البليوغرافيا عند المسلمين، مستعينين في ذلك ببعض المحاولات الغربيّة في إيجاد تفسير لنشأة البليوغرافيا. أمّا المبحث الرابع فكان عنوانه ممهّدا لكل الدراسات التي سيقّت كأعمال بليوغرافيّة محضّة. ولهذا جعلناه تحت اسم: لمحة عن بعض الأعمال الفاعلة للضبط البليوغرافي العربي، والتي تمثّلت في معاجم التراجم والطبقات. إذ أنّ هذه الأعمال بالرغم من أنّها لم تُحظَ بأن تدرج تحت مظلة الأعمال البليوغرافيّة، لكونها لم تكن الصورة البليوغرافية واضحة المعالم في أعمالها، إلّا أنّها كانت سبّاقة في هذا المضمار باعتبارها مصادر لمرجعيّات التراث العربي الإسلامي عامّة والأعمال البليوغرافية خاصّة. ولهذا خصّصنا مباحث فرعيّة لتعريفات لما اشتملت عليه مصطلحات هذه الأعمال الفاعلة وهي (المعجم، التراجم، الطبقات). وإثراء لهذه النقطة ارتأينا أن نقدّم بعض نماذج التراجم التي كان "المعجم" و"الطبقات" اسما بارزا لأحدهما في عناوين مؤلّفات بعينها باختلاف ميادينها. كمعجم الشعراء لـ "المرزباني"، ومعجم الأدباء لـ "ياقوت الحموي"، وطبقات المفسّرين للحافظ "شمس الدين محمّد بن علي بن أحمد الداوودي"، طبقات الأطباء والحكماء لـ "ابن جليل"، عيون الأنباء في طبقات الأطباء لـ "ابن أبي أصيبعة". أمّا معاجم التراجم المكانية فكان تاريخ بغداد لـ "الخطيب البغدادي" نموذجا بارزا فيها. وأهمّنا هذا المبحث بنموذج للمعاجم الجغرافيّة أو تقويم البلدان تمثّل في "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع" للبكري. وخلصنا من خلال إلقاء نظرة عامّة لمختلف هاته الأعمال أنّ كتب التراجم والطبقات لم تكن مجرد أعمال عفويّة، وإنّما حفّظت لنا ولغيرنا أسماء العديد من العلماء ومصنّفاتهم. هذا ما يستدعي القول بأنّ أصحاب معاجم التراجم بما فيها كتب الطبقات، سواء التي برزت قبل "ابن النديم" أو تلتها كان لها الفضل في رفع الإعجام (الغموض والإبهام) المتعلّق بالمفردات أو الأعمال. وبوعيتها السديد هيأت الأرضيّة لما يُعرف الآن بالضبط البليوغرافي أو معرفة أحوال الكتب والكتبيّن. أمّا المبحث الموالي فكان هو الآخر تحت عنوان: لمحة عن بعض الأعمال التصنيفيّة المهيّئة للضبط البليوغرافي. كون رواد هذه الأعمال حاولوا وصف العلوم ووضعها في إطار تصنيفي معيّن، فجرت هذه الظاهرة إلى قرينتها. إذ كان لابدّ من تأليف يذكر على ضوء هذا التقسيم أسماء العلوم موزّعين على ميادينهم العلميّة، مشفوعا بأسماء كتبهم مع التعريف بها. ويأتي على رأس هؤلاء الذين عبّدوا الطريق لـ "ابن النديم" وغيره وهيأوا أرضيّة خصبة لبروز منهجيّة حصر المؤلّفين والمؤلّفات: الفارابي وكتابه "إحصاء العلوم"، والخوارزمي ومؤلفه "مفاتيح العلوم". فكانت دراستنا لهذين المصنّفين موجزة تقرّر ما ذهبنا إليه.

وللإشارة فالمصدر أو المنهج الذي اتبعناه سواء في دراسـ

إليها، أو الأعمال التي اختصت بتصنيف العلوم، هو ما اشتمل

منهجية الكتابة فيهم عن طريق التثبت من مادة المصادر في حد ذاتها.

والمبحث الأهم في هذا الفصل الموسوم بـ: دراسة تحليلية لبعض الأعمال الببليوغرافية العربية التراثية ابتداء من القرن الرابع الهجري. فكان "الفهرست" لابن النديم هو مصدر هذه الدراسة. كونه أقدم وثيقة شاملة ظهرت في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، والتي تبين مبلغ ما وصلت إليه الحياة العقلية في عصر من أزهى عصور الحضارة العربية الإسلامية، وهو عصر بني العباس. إذ كان له المثل الأعلى في حفظ أسماء العديد من كتب تراثنا وأوصافها. إذ اشتمل هذا المبحث على مباحث فرعية كان أولها الحديث عن "ابن النديم" وضرب من أقوال العلماء فيه، والحكم على أن سيرته تكاد تكون مجهولة، هذا ما جعل المتصلين بكتابه يفتشون بين ثناياه ما يلقي نورا على سيرته. هذا عن المؤلف، أما عن المؤلف فكانت المباحث المتبقية تلقي نظرة شاملة على تسميات "الفهرست" المتعددة، غرض "ابن النديم" من وضع "الفهرست". والذي استندنا فيه إلى قوله الموثق في مقدمة المصنف. ثم انتقلنا للحديث عن أقسام "الفهرست" ومحتوياته التي اشتملت على عشر مقالات، وكلّ مقالة إلى فنون. استوعب فيها معظم الكتب والمؤلفين التي عرفتھا الثقافة العربية الإسلامية آنذاك. وكان العنصر الموالي خاصا بتحليل لمنهج "ابن النديم" في ترتيب مادة "الفهرست" واعتمدنا في ذلك على أقوال ماثورة أثناء بدايات مقالات "الفهرست" أو فنونه. والتي أقر بها في بعض الأحيان إلى مبدئه في ذلك. منتقلين بعد ذلك إلى عنصر آخر تحت عنوان: مصادر تجميع مادة "الفهرست"، والتي تلخصت في أربع نقاط (الوراقة، المكتبات، أهل الثقة، الدراسات السابقة)، لنتهي إلى الإفصاح عن أهمية كتاب "الفهرست". أما المبحث الأهم هو هذا الذي بُني عليه كلّ الدراسة الموسوم بـ: عناصر منهج الإسناد البارزة في فهرست ابن النديم. وذلك بوضع مقارنة ضبط "ابن النديم" الببليوغرافي والبيوغرافي. بمنهج ضبط المحدثين التوثيقي. هذا يحمل ما اشتمل عليه الفصل الثاني.

أما الفصل الثالث واصلنا الحديث فيه عن متابعة الأعمال الببليوغرافية بعد "الفهرست". ولكنّها صيغت هذه المرة في قالب جديد وأصيل كونها ربّما كانت أوّل نوع من أنواع الضبط الببليوغرافي التي أضحت فيها العالم بتسجيل مرويّاته سواء في الحديث وغيره بالسند، والكتب التي قرأها والشيوخ الذين درس عليهم، مشفوعا ذلك كلّ بطرق تلقّيه أو تحمّله هذا العلم. انتهاجا لطريقة رواية الحديث على الشكل الذي يطمئن إثباته سندا أو متنا. فكان عنوانه إذن: فهرس الشيوخ: مفهومها ونماذجها. وسرُّ تأخير ذكرها بعد عمل "الفهرست" نتيجة ازدهار هذا النوع من الكتابات بصفة لافتة للنظر في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، فضلا على أن المدة التي تفصل بين "فهرست" ابن النديم وعمل

ببليوغرافي في مستواه تقرب إلى نحو ستة قرون. هذا ما ج
الببليوغرافي. فاصطُِّلِح على تسميته "فهارس الشيوخ أو برامج

مباحث. ولجنا في أولها بإعطاء مفهوم عام لما يُقصد بهذا النوع من التأليف الببليوغرافي، ووجدنا أن يظفر بعدد غير يسير من المصطلحات التي تتحد مدلولاتها وتتقارب مثل: (الفهرس، البرنامج، المعجم، الثبت، المسلسل) وغيرهما، وتأكيذا للمنطق الذي يؤمن بأن كل ظاهرة أسبابا أدت إلى نشوءها، كان المبحث الذي يليه يبين أصول "فهارس الشيوخ" وأسباب ظهورها، مع التأكيد على أهميتها وقيمتها في تصوّر مراحل تطوّر الثقافة العربيّة بشقيّها التعليمي والتألفي، وانتقلنا إلى محتوياتها بالإضافة إلى طرق تناولها وتأليفها وطرق ترتيب موادها. ولكي تكون الدراسة منهجيّة وازنًا هذا الجانب النظري بآخر تطبيقي يتمثل في دراسة تحليليّة لنموذجين مختلفين من فهارس الشيوخ، أحدهما أندلسي يتمثل في فهرست "ابن خير الإشبيلي"، والآخر مغربي جزائري يتمثل في "عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" للعبري. ولقد تمّ اختيار هذين النموذجين لأنّ هذا النوع من التأليف الببليوغرافي قد اشتهر في المغرب والأندلس أكثر ممّا شاع في المشرق. وباعتبارهما يمثلان أهمّ مرحلة من مراحل التأسيس المنهجي للتوثيق المنبعث من مناهج المحدثين المبني على الإسناد ابتداء من القرن السادس الهجري الثامن عشر الميلادي، فكانا بذلك يساهمان في إمطة اللثام عن أكبر حركة تأليفيّة وأعظمها عرفتها الأندلس في حياة "ابن خير الإشبيلي"، والمثل نفسه لما شهدته الجزائر خلال القرن السادس الهجري. ويرجع سبب الاختيار أيضا إلى أنّ الفهرسة الأولى تمثل النوع المستقل من هذا النوع من الكتابات، بينما تندرج مشيخة "العبري" ضمن النوع الثاني الذي كان أساسه تذييلا لمصنّف بعينه. وقد تمّ دراسة هذين النموذجين بنفس المنوال دراسة خاصّة بالمؤلّف ودراسة أخرى للمؤلّف خاتمين كلّ نموذج بدراسة عناصر منهج الإسناد البارزة في منهجيّة كتابتهما. هذا مُجمل ما نوّه إليه الفصل الثالث.

أمّا الفصل الرابع والأخير؛ فكان عنوانه: بعض الأعمال الببليوغرافية بعد القرن العاشر الهجري. وفضّلنا أن تكون الدراسة في هذا المقام لأهمّ عمل ببليوغرافي ظهر في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، وهو "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" لحاجي خليفة، كونه لخصّ لنا مُجمل النشاطات العقليّة حتى القرن الحادي عشر بالإضافة إلى أنّه اتّسم بشموليّة وموسوعيّة عمله الببليوغرافي الضخم، وبالموازاة فقد قابلنا هذا العمل بعملين ببليوغرافيين آخرين، أحدهما كان نتيجة لتضخّم فهارس الشيوخ أو برامج العلماء، فكان بذلك أفرادها بالدراسة بما يقابل ببليوغرافية الببليوغرافيات وتمثّل في عمل "عبد الحي بن عبد الكبير الكتّاني" الذي عاش القرن الرابع عشر الهجري، وذلك بوضعه "فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات"، وثانيهما نموذج معاصر لأبي القاسم محمّد الحفناوي الذي اهتمّ عمله هو الآخر بذكر سير ذاتية لمشاهير أقطاب العلم في الجزائر، فيعتبر بذلك ببليوغرافية لها. وكان هذا العمل تحت عنوان "تعريف الخلف برجال السلف".

وللإشارة فقد مهّدتنا هذه الأعمال كلّها بتقرير مآله صعب

قدّمنا لمحة عن نوعين منها كـ "الديباج المذهب" لابن فرحون

ومصباح السيادة" لطاش كبري زادة الذي أنار القرن العاشر الهجري. أمّا عن مباحث هذا الفصل فكان كمثيله في دراسة نماذج الأعمال البليوغرافية التي سبقت. بالحديث عن المؤلّف ثمّ المؤلّف، واستحسانهما بدراسة مهمة لإبراز عناصر منهج الإسناد في ضبط المعالم البيوغرافية وإثبات وصف تأليفهم البليوغرافية.

هذا مجمل ما نسجته فصول هذا العمل، والذي انتهى بخاتمة عامّة تفصح عن بعض الاستنتاجات والخلاصات التي تمّ عقدها من خلال مُجمل الدراسات.

حدود الموضوع:

أمّا حدود الموضوع فيمكن رسمها كالتالي:

إذا اعتبرنا أنّ التدوين هو مجموع التقييدات فإنّ ذلك كان في حياة الرسول صلى الله عليه وسلّم وفي عصر الصحابة رضوان الله عليهم. فالحفظ والرواية الشفهيّة إذن سارتا جنباً إلى جنب مع الكتابة والتدوين، ولا فاصل لهما في الزمن.

فبما أنّ الموروث العربي الإسلامي متشابك أضرابه، فمن الضروري تأصيل وتاريخ جذور الظواهر. وبما أنّ علم البليوغرافيا وما اشتمل عليه منحدر من بطن علم الحديث وما أسفر عليه مصطلحه، فإنّ إثبات حقيقة تشكّل العلوم التي كانت موضوعاً لعلم البليوغرافيا قديم قدم تدوين الحديث النبوي الشريف، وتواتر أخباره جيلاً بعد جيل. ولهذا كان عصر هذا الموضوع سارياً لروافد تقعيد التقييد، الذي كان أساسه سلاسل الإسناد المتواترة. هذا عن تأصيل مصطلح البليوغرافيا العملي، أمّا عن الأعمال التي اعتنت بذلك بدأت تظهر على استحياء منذ القرن الثالث الهجري، عندما انتقلت المسألة من إسناد الأحاديث إلى إسناد كلّ الروايات إلى أصولها، وتسجيلها في شتى فروع المعرفة الإنسانية.

إلاّ أنّ ذلك لم يكن بالشكل اللافت للنظر كما عهدناه عند "ابن النديم" في القرن الرابع الهجري، وتتابع بعده النشاط إلى "فهارس الشيوخ" في القرن السادس والسابع الهجرين بشكل أوسع. ناهيك على تواصل أعمالاً في مستوى "الفهرست" في القرن العاشر والحادي عشر كما سبق وإنّ وضّحنا، وصولاً بالأعمال الحديثة كـ "فهرس الفهارس" لعبد الحي الكتاني خلال القرن الرابع عشر الهجري، وتمثيلاً لمختلف الأعمال المعاصرة في هذا المجال كـ "تعريف الخلف برجال السلف" للحفناوي الذي عاش القرن العشرين.

الإشكالية:

لقد تمّ بلورة بعض الإشكالات التي نطمح أن تكون قد حلت بعض المغالطات، والتي نوردتها كما يلي.

- ماذا نقصد بمنهج الإسناد؟ وماهي أهميته؟ والأسباب التي مهّدت لظهوره؟.
- هل انتهج الإخباريون والمؤرخون من بعدهم هذا النوع من طرق الرواية؟ وكيف وظّفوه وعبروا عنه؟.
- ماهي الجهود التي بذلها المحدثون للتأكد من صحّة الخبر وعدمه؟.
- ماهي مختلف الطرق التي تمّ عن طريقها الرواية للحفاظ على تماسك حلقات رواية العلم ونقله على أحسن وجه عبر العصور؟.
- ماهي العلاقة الموجودة بين منهج الإسناد والضبط الببليوغرافي؟.
- كيف انتقل منهج الإسناد من رواية الحديث إلى رواية باقي المرويات في شتّى المجالات؟.
- ماهي قيمة ودور منهج الإسناد في الضبط الببليوغرافي؟.
- هل احتفظ منهج الإسناد بكلّ مقوماته في الضبط الببليوغرافي كما في الحديث النبوي الشريف؟.
- كيف وظّفه الببليوغرافيون باختلاف عصورهم ومبتغاهم في سائر مؤلفاتهم؟.
- هل أثر هذا المنهج بالإيجاب في ضبط المؤلّفين وأحوال كتبهم؟.

أسباب اختيار الموضوع:

كما أنّ لكلّ ظاهرة أسبابا لنشوءها، فإنّ لكلّ موضوع أسبابا أدّت صاحبه للخوض فيه. ولهذا يمكن أن أوضّح الدوافع التي جعلتني أصطفي هذا الموضوع عن غيره، إلى شقين من الأسباب:

أولها: الأسباب الموضوعية:

- الصلّة الوثيقة بين موضوع تأصيل علم الببليوغرافيا والتخصّص.
- أهمية الببليوغرافيا في تنظيم وحصر وتنسيق ماهو مكتوب (l'écrit) قصد حفظه وصيانته من كلّ انتقاص وتوريثه للأجيال كما هو عبر الأزمان.
- ضرورة إكساب الضبط الببليوغرافي بتوثيق يضمن كفاية مبدأ الإطمئنان لصحّته.
- إعطاء مقارنة ورؤية لتشابك تاريخ التاريخ، وربط أطّره في مختلف العلوم، وإجمالها بالعلم الذي يُعنى بحصر هاته العلوم، وإشفاها برواد كلّ علم وتأليفه.

- محاولة رصد بعض المحاولات في الضبط الببليوغرافي، واقتباس كلٍّ منها، مع تحليل مدى انتهاجها لعناصر منهج الإسناد في مقارنة توثيق المعلومة منذ بدايات التدوين، وإصرامها على ضرورة سَيْر منهج الإسناد في باقي النشاطات التي عرفتھا الساحة العربية الثقافية الإسلامية.

ثانيها: الأسباب الذاتية:

- الميل والرغبة في دراسة بؤادر حضارة العرب والمسلمين.
- الرغبة في ربط الأطر العامة لعلم الببليوغرافيا العربي، ووضع تأصيل شافٍ لولادة هذا العلم.
- إزالة الستار على أكبر وأعظم حركة ثقافية في الساحة العربية، والتي كان لها الفضل في حصرها والحفاظ عليها بالتعريف بها أكبر تراث ببليوغرافي على مرّ العصور.
- الفضول في الكشف عن العلاقة بين تكامل منهج المحدثين النقدي مع منهج توثيق العلوم، وضبط الموروث الثقافي.
- الرغبة في المشاركة ولو بعمل متواضع في تحقيق مبادئ نشأة العلوم، وتواتر المنهج القويم منذ بدء تدوين الحديث النبوي الشريف بإسناده متنا وسندا، وانتقال ذلك إلى ضرورة التثبت من مصادر المعلومات بإسنادها إلى منابعها.
- إحياء موضوع تاريخي أصيل بموضوع بالغ الأهمية في العصر الحالي "الببليوغرافيا"، وتشكيله من جديد، انطلاقاً من إثباتات تاريخية تُسلم بأن "علم الحديث ومصطلحه" من إسناد وجرح وتعديل؛ له الفضل في تواتر كلّ العلوم، ولولاه لما أَرخنا وضبطنا ما هو موروث ثقافيّ لدينا. ولأنّه حسب رأينا وحدود علمنا لقد التفتت أنظار معظم الباحثين إلى دراسة ما هو تكنولوجي حديث، وإغفال الجانب التأصيلي الذي هو أساس ما حُصِر نتيجة التضخّم في الإنتاج المعرفي.

الفرضيات:

- أما مختلف الفرضيات التي تشكّلت لدينا انحصرت فيما يلي:
- منهج الإسناد هو الذي قام عليه توثيق الحديث، وتدوين مختلف العلوم، كالسَيْر والمغازي والأنساب والتاريخ.
- مختلف العلوم الأصلية أتت من بطن علم الحديث الشريف، وما أسفر عليه من قواعد في الضبط والتمحيص في الروايات.
- بما أنّ علم الببليوغرافيا جزء من هذه العلوم، فقد كان تأثرها لا محالة بقواعد منهج الإسناد.

- إذا كان الصحابة والتابعون بعدهم وتابعي التابعين، قد أسند بسلاسل الإسناد وتواتر الرواية فيه، فإنَّ علم البليوغرافيا يعأصولها.

- عملية توثيق الحديث كانت بشكل دقيق من ضبط المؤلفين والمؤلفات.
- كلما قُرب العهد كان توثيق المعلومات فيه أكبر وأيسر وأوثق.
- منهج فهارس الشيوخ في إسناد المرويات إلى الشيوخ أقرب بكثير من طريقة المحدثين في رواية الحديث، إذا ما قورن ذلك بالأعمال البليوغرافية كفهرست "ابن النديم" وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لـ "حاجي خليفة".
- معاجم التراجم والطبقات كان لها حظاً أوفر في في التثبت من الأخبار، وتحيء الأرضية لعلم أحوال الكتب.
- الضبط البليوغرافي يعطي أهمية كبرى لوصف المؤلفات، في حين رواية الحديث يعطي أهمية كبرى لجرح وتعديل الرواة.

المناهج المعتمدة:

لمعرفة العلاقة الموجودة بين الإسناد كمنهج توثيق والضبط البليوغرافي اللذان يسعيان إلى إعطاء صبغة توثيقية للإبتعاد عن كلِّ مجالٍ للتشكيك. سعينا إلى توظيف مناهج متكاملة في سبيل هذه الدراسة.

فاتخذت من المنهج التاريخي مطية في كون منهج الإسناد بما فيه من قواعد الجرح والتعديل وميزان الرجال، يعدّ ظاهرة تاريخية انبثقت حتمياً مع بدايات التدوين انطلاقاً من تدوين الحديث النبوي الشريف، وصولاً بما خلّفته الحضارة العربية الإسلامية من تراث في جميع ميادين العلوم المختلفة (السيرة، المغازي، التاريخ...)، منتها إلى تأثيره البناء بما اصطلح على تسميته بالضبط البيوغرافي (كلّ ما له علاقة بالمعلومات الحيوية)، والضبط البليوغرافي (كلّ ما له علاقة بالكتب وأوصافها وأحوالها)، ولتوضيح هذا السبيل كان لابدّ من الرجوع قليلاً إلى صفحات الإخباريين الأوائل، وما سلّموه للخلف من موروث ثقافي واسع.

كما اعتمدنا أيضاً على المنهج الوصفي، خاصة في دراسة بعض النماذج؛ سواء بالنسبة للأعمال الفاعلة للضبط البليوغرافي كمعاجم التراجم والطبقات، أو حينما تطرّقنا إلى دراسة تحليلية للنماذج التي كانت طبيعة الدراسة أساساً في تحليل منهجية الكتابة عند هؤلاء، قصد إعطاء لمحة عامّة عن مكونات المادّة العلمية وكيفية ترتيبها، لكي تيسّر لنا الدراسة الأهم في تحليل هذه البيانات أو المعطيات ومقارنتها بعناصر منهج الإسناد ومدى توظيفها لها. أمّا المنهج

التحليلي فكان مكملاً للمنهج الوصفي الذي رسم لنا صورة عن

المنهج التحليلي في تفتيت عناصر منهج الإسناد وتقريبها،

الببليوغرافي، ويظهر أيضاً من خلال توضيح العلاقة الموجودة بين الإسناد كمنهج توثيق وبين الضبط الببليوغرافي كأساس في إسناد المرويات باختلاف أشكالها إلى مصادرها الأصلية عن طريق سلاسل الإسناد المتواترة.

أما المنهج المقارن فقد كان بارزاً مثلاً في توضيح غرض كل تأليف، والذي نجده في أغلب الأحيان مبثوثاً في مقدمة المصنّفات التي تمّ التعويل عليها. أو يظهر ذلك جلياً في الخلاصات أو الخاتمة التي توجي إلى إيضاح بعض نقاط الإئتلاف والإختلاف خاصة فيما يخص مدى توظيف عناصر منهج الإسناد في توثيق معلومات الأعمال الببليوغرافية التي تمّ إخضاعها هي الأخيرة إلى منهج كرونولوجي زمني يتوافق وعصر كل عمل. فقد تمّ تقديم عمل "ابن النديم" عن عمل "حاجي خليفة" مثلاً كَوْنُ الأوّل ظهر في القرن الرابع الهجري، والثاني ظهر في القرن الحادي عشر الهجري. وكان هذا الأساس الزمني يحكم باقي النماذج التي عرّجنا عليها.

المصادر والمراجع المعتمدة:

ولدراسة أيّ موضوع يستلزم توفّر مصادر يُستند إليها، نذكر أهمّها في الصدد:

- المجمع المؤسّس للمعجم المفهرس لـ "ابن حجر العسقلاني": الذي أفادنا في ضبط بعض المصطلحات المرتبطة بالإسناد كالمتن ولمسند، والشيء نفسه بالنسبة لمؤلف "حبيب أحمد الكيرانوي" المُعْتَوْن بـ "قواعد في علم الحديث" (على ضوء ما أفاده الشيخ أشرف علي التهانوي).

- الإتّصال العلمي في التراث الإسلامي لـ "عبد الرحمن رمضان ناصر محمد"، والذي يلجّ على ضرورة انتهاج عناصر الإسناد التي اعتمدها مؤلّفوا كتب التراث الإسلامي، خاصة ما يرجع منها إلى القرون الأربعة الأولى لبيان حدود اتّصالهم بالإنتاج الفكري السابق، ولذا تأثّر المؤلّفون في العلوم المختلفة بتلك الطرق التي وضعها المحدثون لرواية الحديث النبوي الشريف، كما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلّم، ومن هنا يمكن اعتبار هذه الظاهرة كأساس وقاعدة عمل تعطينا فكرة عن السلوك الإتّصالي المنتهج من طرف العلماء.

هذا عن بعض المؤلّفات المستند عليها فيما يخصّ مسار منهج الإسناد التوثيقي.

أما في مجال الضبط الببليوغرافي، فكانت المراجع في ذلك كثيرة نذكر أهمّها والتي كانت مجالاً للدراسة:

- بعض معاجم التراجم والطبقات، كونها هيأت الأرضية أ

لـ "ياقوت الحموي"، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لـ "ابن

- فهرست "ابن النديم".

- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف لـ "ابن خير الإشيلي".

- عنوان الدراية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لـ "الغبريني".

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لـ "حاجي خليفة".

- الديباج المذهب لـ "ابن فرحون".

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لـ "عبد الحي الكتاني".

- تعريف الخلف برجال السلف لـ "أبي القاسم محمد الحفناوي".

حيث تمّ من خلالهم تلخيص أساس توثيق المعلومات في كلّ مصنّف من هؤلاء، قصد إعطاء حكم عام مدى
توظيفهم لعناصر منهج الإسناد كلّ على حدة.

أمّا بالنسبة للمراجع باللغة الفرنسية فقد تمّ الاعتماد على:

- Guide de bibliographie générale : Méthodologie et pratique. Marcelle beaudiquez.

الذي أفاضت فيه بتعريفات فيما يخصّ التعامل مع مصطلحي الببليوغرافيا وعلم الكتاب.

- Manuel de bibliographie. Louise Noëlle malcles.

في إثبات بعض الحقائق في تطوّر استخدام مصطلح الببليوغرافيا وماهيّته.

وفيما يخصّ مقالات الدوريات فكانت أوفر بكثير، نلخص أهمّها في ما يلي:

- أبو لبابة حسين. «ملاح من مناهج الحدّثين في النقد والتمحيص»، الذي استقصى فيها منهج الرواية وملاح

من مناهج النقد والتمحيص، وطرق الرواية السليمة التي انتهجها المحدثون.

- حامد الشافعي دياب. «فهارس الشيوخ ودورها في الض

استفدنا من هذه المقالة في كون كاتبها كان بارعا في تقريب

المختلفة لمنهج الإسناد القائم على الجرح والتعديل، وحديثه على ضرورة اتخاذ ذلك، قصد تكوين اتصال علمي منهجي وحضاري متواصل.

وهناك مقالين غنيتين أفادتنا في دراسة مؤلفي "الفهرست" لابن النديم، وكذا "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" لحاجي خليفة. وهاتين المقاليتين كلاهما لـ: إبراهيم الأبياري، الأولى تحت عنوان: «الفهرست لابن النديم»، والثانية خُصِّصت لـ "كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون". وغيرها كثير كانت في مجملها تخدم الموضوع، والتي لا يمكن ذكر جلّها في هذا المقام. أما الموسوعات كان أهمّها:

- الموسوعة العربية العالمية. مج. 07، 09، 21، 22. لاستفاضتها في تحديد بعض المفاهيم والمصطلحات.

أما باللغة الفرنسية فكانت أهمّها الموجودة في موسوعة شاملة خاصّة بعلم الكتاب وهي كالتالي:

- Histoire de livre et bibliologie. In Encyclopédie internationale de bibliologie : Les sciences de l'écrit → Henri, Jean Martin.
- La bibliographie. Op.cit. → Jean, Meyriat.
- La bibliologie. Op.cit. → Robert Estivals.

التي حاولوا من خلالها التمييز بين مصطلحي الببليوغرافيا والببليولوجيا قصد الدقّة في وضع هدف كلّ واحد منهما، والذي يُخدم بعضها البعض.

كما لا ننسى: أطروحة الدكتور "صاحبي محمد" الموسومة بـ: «التراث العربي الإسلامي ومرجعياته: دراسة إبستمولوجيّة في نشأة الببليوغرافيا عند المسلمين»، الذي كان لها الفضل في لمّ شمل هذا الموضوع وتحديد معالمه. كما استندنا أيضا إلى بعض القواميس كـ: "الأعلام" للزركلي، في ترجمة بعض الأعلام.

هذا بالإضافة إلى بحث سيّر شبه متوازن لهذا العمل انطلاقا من بعض المقالات المبثوثة على الشبكة العنكبوتيّة كمقالة: "محمد عبد الرحمن مرحبا"، تحت عنوان: «دور التدوين في حفظ ذخائر الفكر العربي الإسلامي». وأيضا مقالة "محمد أمحزون" التي كانت تحت عنوان: «منهج التوثيق وإثبات الحقائق في دراسة التاريخ الإسلامي».



PDF
Complete

*Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.*

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

الفصل الأول: الإسناد ومراميه

مما لا شك فيه أنّ الثقافة العربية الإسلامية شارك
لتكوّن لنا ذلك الكلّ المتكامل.

ومن البديهي أيضا أنّ لهذا الموروث الثقافي الذي تناقله العلماء بمختلف توجّهاهم لإيصاله إلى الحال
الذي هو عليه الآن له أصول وجذور لا يمكن تناسيها لأنّها الأصل والسرّ الذي تشعّب وأرسل بتفرّعاته
ما يحتاجه مؤرّخو الحوادث التاريخية بل والتراث العربي الإسلامي ككل.

بادئ ذي بدء، قد تبدوا هذه العبارات غامضة المقصود؛ لكن ما نوّد الإمام به والإفصاح عنه هو
التطرّق ولو بلمحة عن المسيرة التي خاضها مدوّنو التراث العربي الإسلامي منذ بدايات التدوين الأولى
(تدوين الحديث النبوي الشريف بمختلف مراحلها، السير والمغازي، الأنساب، التاريخ...).

في أنّ تدوين القرآن الكريم في حياة النبي صلى الله عليه وسلّم كان عاملا أساسيا في تطوّر الوعي
التاريخي عند المسلمين. فبعدما ثقلت الذاكرة العربية بالأحداث. وبدأت في فقدان صفاتها المؤلف
تدريجيا، زادت الحاجة إلى أداة تساعدهم على حفظ المعلومة؛ ألا وهي **التدوين** الذي يعكس الحقيقة ولو
بصفة نسبية لأنّ التدوين ليس ضمانا كافية لها و لكنّه على كلّ حال يمسك بالكثير من تلايبيها. هذا ما
ذهب إليه الدكتور "محمد عبد الرحمن مرحبا" في مقالة نشرها عبر الشبكة العنكبوتية تحت عنوان: "دور
التدوين في حفظ ذخائر الفكر العربي الإسلامي" حيث رأى أنّ للتدوين إيجابيات وسلبيات؛ فهو الذي
حفظ القرآن الكريم والحديث والفقه والتفسير والأدب العربي منظومه ومنثوره، مقابل ذلك لا يمكن
الوثوق المطلق في المدوّنات إلّا إذا خضعت لشروط الرواية الصحيحة، «فكم من مدوّن لا يصدق تدوينه
وكم من ناقل شفوي جدير بالثقة»¹. ومن هنا يجب على المدوّن أن لا ينحاز لأيّ عامل من العوامل وإلّا
احتاج إلى طرق التحقيق المختلفة التي أصّلها وأرسى قواعدها (علم أصول الحديث) بتبنيّه لمنهج **الإسناد**
الذي يرجع إليه الفضل في قبول الخبر أو رده؛ والذي يتماشى ومنهج الجرح والتعديل.

من خلال هذا التلميح نلاحظ أنّ قضية التدوين وتوثيق الخبر، أو بمعنى آخر الانتقال من الرواية
الشفوية إلى الرواية الكتابية نتيجة اتّساع الشقّة بين الحدث وتاريخه وما لذلك من أثر سيّء لكونه يصبح
عرضة للوضع. لجأ المحدثون* إلى إكساب عملية التدوين صبغة علمية ومنهجية متميّزة لتقليص فجوة
التزييف والتزوير، أو إلى شيء قريب من ذلك. القائمة على الرواية عن طريق منهج **"الإسناد"**.

¹ - محمد عبد الرحمن مرحبا « دور التدوين في حفظ ذخائر الفكر العربي الإسلامي » (page consultée le 05-10-2007) www.balagh.com

* المحدثون جمع محدث، وهم جماعة تهتمّ بالإقتلاد والإقتداء بالمنهج السنيّ: The encyclopedia of islam, prep. Number of leading orientalists. London: Leiden E. J. Brill, 1960. vol. 1 p. 952.

والمراد بالمحدث من يتعاطى علم حديث النبي صلى الله عليه وسلّم بطريق الرواية والدراية، والعلم بأسماء الرجال وطرق الأحاديث والمعرفة بالأسانيد ونحو ذلك: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963. مج. 5. ص. 464.



فبما أنّ أساس انتفال العلم وتوثيقه يتمّ عن طريق

بالتمحيص والموازنة والنقد إلى غير ذلك من الألفاظ التي لا صلة لها بكل ما يتيح مجالاً للشك:

- متى بدأ تدوين العلم (علم الحديث) الذي كان أوّل الفضل لروّاده بأن يسلكوا هذا المنهج المتميّز في أدائه و السّليم المحمود في مقصده؟
- ماذا نقصد بمنهج الإسناد؟ وما هي أهمّيّته؟ والأسباب التي مهّدت لظهوره؟
- هل انتهج الإخباريّون والمؤرّخون من بعدهم هذا النوع من الرّواية؟ وكيف وظّفوه وعبّروا عنه؟
- ماهي الجهود التي بذلها المحدثون للتأكّد من صحّة الخبر وعدمه؟
- وما هي مختلف الطرق التي تمّ عن طريقها الرّواية للحفاظ على تماسك إتّصال حلقات رواية العلم ونقله على أحسن وجه عبر العصور؟.

1- توثيق علم الحديث و مراحل تدوينه:

ما من متصفح لما أرّخ حياة العرب قبل الإسلام و بعده إلا ورسم فكرة مالها أن وضعيّة العرب بعد الإسلام هي غير وضعيتهم قبله، ولعلّ ما يؤكّد ذلك القفزة التي حقّقها وانتقل عن طريقها المجتمع القبلي المتعلّق الذي لا دولة له ولا قانون؛ إلى مجتمع قوامه حركة فكرية نشيطة بالجدال الذي عبّر عنه الشيخ "مصطفى عبد الرزاق" — (الجدل الديني)، ناهيك عن المخاطبة الإلهية وما يحويه القرآن من إعجاز في ألفاظه ومعانيه، ممّا يؤكّد على أنّ العرب يملكون المستوى الذي يجعلهم قادرين على التعامل مع أسلوبه فهما واستيعابا.

ومن هنا بدأت بنية العقل العربي في التشكّل والتبلور والوعي الذي جعل عرب العصر الجاهلي خاصّة بعد البعثة المحمّدية ما أدّى إلى تكوين ثقافة ثمّ ترتيبها وتنظيمها في **عصر التدوين** الذي يفرض نفسه تدريجيّاً كإطار مرجعيّ لما قبله وما بعده.

وعصر التدوين كما ذكره "محمد عابد الجابري" نقلاً عن "جلال الدين السيوطي" * في مؤلّفه "تاريخ الخلفاء" حدّد بدايته "الذهبي" في قوله: « في سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير. فصنّف "ابن جريج" بمكّة، و"مالك" الموطّأ بالمدينة، و"الأوزاعي" بالشام، و"ابن أبي عروبة" و"حماد بن سلمة" وغيرها بالبصرة، و"معمر" باليمن، و"سفيان الثوري" بالكوفة. وصنّف "ابن إسحاق" المغازي، وصنّف "أبو حنيفة" رحمه الله الفقه والرأي. ثمّ بعد بيسير صنّف "هشيم" و"الليث بن لهيعة" ثمّ "ابن المبارك" و"أبو يوسف" و"ابن وهب"، وكثر تدوين العلم وتبويبه؛ ودوّنت كتب العربيّة واللّغة والتاريخ وآيام الناس. وقبل هذا العصر كان الناس يتكلّمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتّبة».

فمن خلال قول "الذهبي" البالغ الأهميّة يتبيّن من جهة أنّ بداية التدوين في الإسلام سنة (143هـ / 722م) أي بداية القرن الثاني الهجري إذا سلّمنا بأنّ عمليّة التدوين هذه كانت بإشراف الدولة، ابتداء من عهد المنصور العبّاسي الذي ولّى الخلافة ما بين (136هـ - 158هـ) وشاعت تسمية هذا العصر **بعصر التدوين** الذي حدّد أمصاره "الذهبي" في مكّة والمدينة والشام والبصرة والكوفة

* السيوطي نسبة إلى "أسبوط" أو "سيوط"، مدينة في صعيد مصر. ولد في القاهرة مستهل رجب عام 849 هـ. كان شغوفاً بالعلم، ولوعاً ينهل من موارد كثيرة حتى أنّه صنّف معجماً خاصاً لشيخه ممّن تلقى العلم أو أجيز منه. رزق التبحّر في في عدّة علوم. ممّا ألفه في التفسير مثلاً: "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" وفي الحديث "الجامع الكبير"، وفي الفقه "الأشباه والنظائر" وغيرها ممّا يطول حصره. توفي ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وعشرة وسبعمائة. ودفن في القاهرة.
جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء. تق. عبد الله مسعود. طبعة مزيّدة ومنقّحة. سوريا: منشورات دار العلم العربي، 1991. ص. 08-13.

واليمين*. أمّا من جهة أخرى ألا يقصد بالتدوين ذلك

خاصّة؟ فيكون بهذا المنطلق من الضروري الرجوع إلى ما قبل عصر التدوين الذي ذكرناه إلى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه. مؤيّداً في ذلك أيضاً "أبو لبابة حسين" حينما رأى أنّ التقييد هو نفسه الكتابة؛ والتدوين هو جمع التقييدات المتفرقة المشتتة في "ديوان" أي في كتاب كبير حينها يأتي دور التصنيف الذي هو ترتيب ما دوّن في فصول محدودة وأبواب مميّزة.¹

من خلال ما تقدّم نستنتج أنّ الكتابات أي مجموع التقييدات سبب في بزوغ ما اصطلح عليه بعصر التدوين؛ الذي لا يمكن أن يجهل ماضيه الذي يقرّه ويقرّ حاضره ومستقبله.

هذا ما نحن بحاجة إلى تأكيده لأنّ في ذلك عهد لا يستهان به لمعرفة واقع الرواية وأشكالها، والتي يمكن أن نقسمها إلى مرحلتين أساسيتين مرّ بهما الحديث النبوي الشريف في تحمّله عن مصدره الأصلي وروايته عنه على مرّ العصور (عصر الخلفاء، عصر التابعين، عصر تابعي التابعين...) والمتمثلتين في:

● طابع الرواية الشفويّة وكراهيّة الكتابة.

● طابع زوال مانع الكراهيّة وإباحة الكتابة.

1-1- أقوال في كراهة كتابة العلم والعلة في ذلك:

إنّ الحديث عن كتابة الحديث النبوي الشريف* في مدوّنات مهما كانت أشكالها يعترى آراء وأقوالاً متضاربة حول كتابته في وقت مبكرّ في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأبرار؛ هذا من زاوية. أمّا من زاوية أخرى إنكار كتابته إلّا في عهد متأخّر.

من خلال هذا المنطلق يتبيّن لنا أنّ هناك فترتين شملت كلاهما مسيرة الحفاظ على حديث نبينا صلوات الله وسلامه عليه. بدء من كراهة كتابة الحديث والأسباب التي أدّت إلى ذلك، وبين ضرورة حفظه وما يترتب عنه من تقليص فجوة الإسترجاع عن طريق الذاكرة، والإستظهار من السطور لا من الصدور. مقابل ذلك توسيع حلقة النسيان التي تترتب عن كثرة الإتكال عن ما هو مكتوب. هذا ما ترك مجالاً واسعاً أمام الدسّ على السنة والوضع فيها.

* وأضاف "محمد عابد الجابري" مصر وخراسان. و بما أنّ المنصور العبّاسي لم يشرع في بناء مدينة بغداد إلّا في سنة 145 هـ فإنّها لم تكن موجودة في الوقت آنذاك:

محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي. ط. 8. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2002. ص. 72.

1 - أبو لبابة حسين، أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997. ص. 40.

* الحديث كما حدّده "ابن منظور" في "لسان العرب" جمع أحاديث، يطلق على الجديد من الأشياء. وفي اللغة يطلق على الجديد صيّد القديم كما يطلق على الخبر والقصص: ابن منظور. لسان العرب. ط. 6. بيروت: دار صادر، 1997. مج. 2. ص. 131.
و من هنا استشعر بعض العلماء في مادّة "الحديث" معنى "الجدة" وأطلقوه على ما يقابل القديم الذي أريدوا به القرآن الكريم والجديد ما أضيف إليه صلى الله عليه وسلم: ظفر أحمد العثماني التهانوي، قواعد في علوم الحديث. نج. عبد الفتاح أبو غدة. الرياض: [د.ن.]، 1974. ص. 24.

وليس بإمكاننا نحن أن ننحاز لرأي أو لآخر، إنما

الحوادث بعينها أو بالأحرى هم أقرب إليها. أو هؤلاء الذين سالت أقلامهم في الذود والإمام بكل جوارحهم، وما أنعم الله عليهم من النعم التي دفعتهم إلى تقليب وجمع وفحص ونقد ومقارنة... إلى غيرها من الألفاظ التي ترمي إلى البحث عن الحقيقة في بحر متلاطم الأمواج.

وما من دارس حول هذا الموضوع إلا وفّش عن مصدر مهمّ لـ "الخطيب البغدادي" (392هـ - 1002م) - (463هـ - 1071م) الموسوم بـ "تقييد العلم" حيث أبرز براعته فيما اشتهر وعرف به - علم الحديث وفنونه* - وتطورت فيما بعد في علم التاريخ. تلك البراعة التي شهرته كعالم مؤرخ ناقد؛ مطبقاً في ذلك منهج المحدثين النقدي في الاستنباط من النصوص المنقولة ونقد الوثائق التاريخية¹.

وعصارة القول أنّ السلف اختلفوا في كتابة الحديث فكرّرتها طائفة وأباحتها غيرها ثمّ أجمعوا على جوازها². وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن بعض الصحابة ما يستفاد منه كراهية كتابة الحديث. وقد لخص ذلك الخطيب البغدادي في القسم الأول من كتابه المذكور سابقاً معللاً أسباب المنع في القسم الثاني منه.

فمن الأقوال التي تثبت فهي رسول الله صلى الله عليه وسلم للكتابة في أوّل نزول الوحي مخافة التباس أقواله وشروحه وسيرته بالقرآن الكريم، وخاصة إذا جمعت معه في صحيفة واحدة. فقال: «لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار»³. واضعاً نصب عينيه هذا الإنذار، حتّى كان بعضهم تأخذه الرعدة، وتستولي عليه الخشية من أن يقع في خطأ لا يتعمّده، أمثال ابن مسعود بالرغم من منزلته وسعة علمه وكريم صحبته للنبي عليه الصلاة والسلام⁴.

وهناك من استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة فلم يأذن له، كحديث عن أبي سعيد قال: استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم أن أكتب الحديث، فأبى أن يأذن لي⁵.

* أطلق عليه علماء الحديث بلفظ "العلم". هذا ما وظفه "الخطيب البغدادي" بمعنى علم الحديث في كثير من المواضع.
* هذا ما سوف نعول عليه حينما نتطرق إلى دور منهج المحدثين - الإسناد - في الرواية التاريخية أثناء الحديث عن أسباب ظهور هذا المنهج والحاجة إليه في قضية التدوين.

¹ - الخطيب البغدادي، تقييد العلم. تج. يوسف العش. ط. 2. [د.م.]: دار إحياء السنة النبوية. 1974. ص. 52-53.
² - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. ط. جديدة محققة. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 2001. ص. 359.
³ - صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه. ط. 14. بيروت: دار العلم للملايين، 1982. ص. 20. أنظر أيضاً إلى تقييد العلم للخطيب البغدادي ص. 29-31.
⁴ - عبد المنعم النمر، أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف وصلت إلينا. القاهرة: دار الكتاب المصري؛ بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1987. ص. 42.
⁵ - الخطيب البغدادي، المصدر السابق. ص. 32.

وجمع "ابن عبد البر" ما يوافق إلى ما ذهب إليه

كراهية كتابة العلم وتخليده في الصحف. حيث قال: عن أبي سعيد الخدري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن فمن كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحه»، حتى أبي أن يكتب من طالبه بذلك؛ حيث قال: "أبو نظرة" قيل لأبي سعيد: لو أكتبنا الحديث. فقال: «لا نكتبكم، خذوا عنا كما كنّا نأخذ عن نبيّنا صلى الله عليه وسلم» وفي رواية أخرى قال: «إنّا لا نكتب العلم ولا نكتبه».¹

وهناك من كان يستعين على حفظ الحديث بأن يكتبه ويدرسه من كتابه، فإذا أتقنه. قام بمحوه. خوفا من أن يتكل القلب عليه، ممّا يؤدّي إلى قلة الحفظ والعناية بالحفظ. فعن "ابراهيم" قال: قال "مسروق" لعلقمة: «أكتب لي النظائر، قال: أما علمت أن الكتاب يكره؟ قال: إنّما أنظر فيه ثم أمحوه، قال: فلا بأس»². لتفادي الاتكال على الكتاب لأن العلم كما زعم في الصدور لا في السطور. وللخليل قول في ذلك:

لَيْسَ الْعِلْمُ مَا حَوَى الْقِمَطَرُ* مَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا حَوَاهُ الصَّدْرُ.³

بالإضافة إلى ما جاء به الخطيب البغدادي في حديث لـ "يحيى بن سعيد" عن "سفيان الثوري" قال: «بئس المستودع العلم القراطيس».⁴

من خلال ما تقدّم ذكره نذهب إلى أن أسباب علّة النهي عن الكتابة؛ إنّما كان في أول الإسلام مخافة اختلاط الحديث بالقرآن، خاصّة إذا جمعا في صحيفة واحدة، وكذا الخوف من الانشغال به عن القرآن الكريم، بالإضافة إلى قضية الاتكال على ما في السطور على ما تحوي الصدور.

وقد فسّر علماء الحديث مثل هذا الاختلاف الظاهر كما فعل "ابن خلاد الرامهرمزي" في "المحدث الفاصل" حين قال: «وإنّما كره الكتاب من كره من الصدر الأوّل لقرب العهد وتقارب الإسناد ولئلاّ يعتمد الكاتب فيهمله، ويرغب عن حفظه والعمل به». وقد أكّد "ابن الصلاح" أن هذا الخلاف قد زال «وأجمع المسلمون على إباحته ولولا تدوينه لدرس في الأعصر الآخرة».⁵

¹ - ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله. أعدّه واختصره وهدّبه أبو الأشبال الزهيري. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1996. ص. 59-60.

² - الخطيب البغدادي، المصدر السابق. ص. 58-59.

* هو الصندوق الذي يوضع فيه الكتب.

³ - ابن عبد البر، المصدر السابق. ص. 65.

⁴ - الخطيب البغدادي، المصدر السابق. ص. 58.

⁵ - شرف الدين علي الراجحي، مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1983. ص. 23.

Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features

ومن هنا فالروايات كثيرة تؤكد وجود الكتابة و

وفي عصر الصحابة رضوان الله عليهم. فالحفظ والرواية الشفهية سارتا جنباً إلى جنب مع الكتابة والتدوين، ولا فاصل لهما في الزمن، ولا ينفي وجود أحدهما وجود الأخرى.¹

1-2- إباحة الكتابة ونسخ النهي عنها:

جاء في (سلسلة كتب الأمة) وبالضبط في كتاب «المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب» من تقديم: "عمر عبيد حسنه" أنه لما جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم جمع الجمع النهائي بتحديد القراءات المعتمدة له في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، تحرر المسلمون من عقدة الخوف على القرآن من تدوين الحديث، فأخذوا يدونوه. ولكن هذا لا يمنع من وجود مدونات شخصية عند بعض الصحابة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم. وإلا فكيف نفسّر تصريح "عروة بن الزبير" حينما قام بمحو كتب قد كتبها حتى لا يضاهاى به كتاب الله، ورواية ابنه "هشام" عنه قال: «أحرق أبي يوم الحرّة كتب فقه كانت له قال: فكان يقول بعد ذلك: لأن تكون عندي أحبّ إليّ من أن يكون لي مثل أهلي ومالي». فالتدوين المبكر للحديث كعمل شخصي وجد في عصر الصحابة والتابعين.²

بالإضافة إلى ما مرّ بنا من الأسباب الرئيسية التي ترمي بمحملها إلى إمتناع الصحابة على تدوين الحديث في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام. فإنه توجد إثباتات تقرّ على وجود كتابات أو شيء من السنّة في عهده؛ لا على سبيل التدوين الرسمي بل على شكل طائفة من الأحاديث التي قيدها الصحابة رضوان الله عليهم بإذن خاصّ من الرسول نفسه.³

فعن أبي هريرة قال: لما فتحت مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الخطبة (خطبة النبي عليه الصلاة والسلام) فقام رجل من اليمن يقال له "أبو شاه" فقال: يا رسول الله اكتبوا لي. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم "اكتبوا لأبي شاه".

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه قال: « قلت يا رسول الله أكتب كلّ ما أسمع منك؟ قال: "نعم" قلت: في الرضا والغضب؟ قال: "نعم" فإني لا أقول في ذلك كلّه إلّا حقاً». ⁴

كما أنّه صلى الله عليه وسلم أباح لمن شكّا إليه سوء حفظه أن يستعين بالخط. فعن أبي هريرة قال: كان رجل يشهد حديث النبي عليه الصلاة والسلام، فلا يحفظه؛ فيسألني فأحدثه، فشكا قلة حفظه

¹ - ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية. ط. 3. القاهرة: دار المعارف بمصر، 1996. ص. 144.

² - عمر عبيد حسنة «المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب» (page consultée le 10-09-2007) www.3ilm.com

³ - عبد الكريم الرديني، مباحث في تاريخ الحديث ومصطلحه. الجزائر: شركة شهاب، 1988. ص. 35.

⁴ - ابن عبد البر، المصدر السابق. ص. 68. راجع أيضاً ما جمعه الخطيب البغدادي في القسم الثالث من كتابه تهذيب العلم.

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ¹رواية يعني بيدك.

ومن الآثار الصحيحة الدالة أيضا على ثبوت الكتابة في العصر النبوي "الصحيفة الصادقة". والتي كتبها جامعها عبد الله بن عمرو بن العاص المتوفي سنة (65 هـ / 644م) من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد اشتملت على ألف حديث كما يقول "ابن الأثير" في "أسد الغابة في معرفة الصحابة" وهي محفوظة الآن في مسند "الإمام أحمد"، والتي تعتبر وثيقة تاريخية تثبت كتابة الحديث في عهده صلوات الله عليه. ²

زيادة على ذلك صحيفة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وهي صحيفة مهمة قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها في السنة الأولى للهجرة، فكانت أشبه شيء بدستور الدولة الفتية الناشئة آنذاك في المدينة، والتي تحوي حقوق المهاجرين والأنصار واليهود وعرب المدينة، ولفظ الكتابة صريح في مطلعها: «هذا كتاب محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس». ³

والنتيجة العلمية التي بدورها تقطع بأن تدوين الحديث كان في عصر مبكر مقابل الخطأ الشائع الذي يقيس تدوين الحديث إلا في أوائل القرن الهجري الثاني صحيفة "أبي هريرة" المتوفى سنة (58 هـ / 637م) التي رواها عنه تلميذه التابعي "همام بن منبه" المتوفى سنة (101 هـ / 680م)*، والذي كان سماعه منه بعد مجالسته إياه أي في منتصف القرن الهجري الأول؛ إذا قيس ذلك بوفاته شيخه. ومن هنا تستحق التعبير عنها "بالصحيفة الصحيحة" كما ذكرها "حاجي خليفة" في مصنفه "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" على مثال "الصحيفة الصادقة" التي سبق وأن أشرنا إليها. ⁴

ويبدو مع هذا أن "أبا هريرة" كان قد أعدّ للرواية صحفا، ويتضح ذلك من خبر التابعي "بشير بن نهيك" الذي روي عنه أنه كان يوما بحضرته حديثا لم يعرفه "أبو هريرة" بالرغم ما تميّز به من قوة ذاكرته، فقال له التابعي: إنه سمعه منه، فردّ عليه أبو هريرة بأن الحديث مكتوب لديه. ⁵

¹ - الخطيب البغدادي، المصدر السابق. ص. 65.

² - صبحي الصالح، المرجع السابق. ص. 27. أنظر أيضا تقييد العلم للخطيب البغدادي ص. 84-85.

³ عبد الكريم الرديني، المرجع السابق. أنظر أيضا علوم الحديث ومصطلحه لصبحي الصالح نقلا عن الوثائق لسياسية في العهد النبوي للدكتور "محمّد حميد الله". ص. 29-30.

* هذا ما أورده "ابن سعد" في الطبقات، أمّا "ابن حجر" و "النووي" فذكرا أن همام بن منبه توفي سنة 131 هـ.

⁴ - صبحي الصالح، المرجع السابق. ص. 31-32.

⁵ - فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي. تر. فهمي أبو الفضل. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971. ج. 1. ص. 232.

أما موقف بعض المستشرقين في تدوين الحديث

و"شبرنجر" * (SPRENGER). فالأول منهم عقد فصلا خاصا لكتابة الحديث في أبحاثه (muhammedaniche studien) التي ترجم الجزء الثاني منها (LEON BERCHER) سنة 1952 بعنوان: (étude sur la tradition islamique) آتيا في ذلك بأدلة كثيرة يرجع من خلالها تدوين الحديث في أول القرن الهجري الثاني، ذاكرا في الصفحات الأولى من الفصل الأول من الكتاب نفسه أخبارا تشير إلى بعض الصحف التي دوت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، محيطا ذلك ببعض التشكك والريبة في صحتها. أما "شبرنجر" (SPRENGER) فقد جمع من الأدلة ما يفيد بأن تدوين الحديث كان في عصر مبكر في مطلع القرن الهجري الثاني وليس في حياته صلى الله عليه وسلم. وغايتهما في ذلك لا تختلف في إعطاء صيغة الاختلاف والوضع على السنة المدونين لها الذين حسب ادعائهما لم يجمعوا منها إلا ما يوافق أهواءهم وآرائهم ووجهات نظرهم لا غير.¹

فبالرغم ما توجه إليه هذين المستشرقين وغيرهما فإن المصادر وفي كثير من المواضع تخبرنا عن كيفية التدوين وطريقة النسخ في ذلك الوقت -عصر التابعين- حيث قال "سعيد بن جبير": أنه كان يكتب عند عبد الله بن العباس على ألواح* حتى يملأها، ثم يكتب على نعله. مستنديا في ذلك على ألفاظ مخصوصة أرجع نشأتها "فؤاد سزكين" إلى النصف الثاني للقرن الأول للهجرة، ونص هذه المصطلحات: حدثنا- أخبرنا- سمعت... الخ على حسب نوع التحمل التي تهدف إلى النقل الصحيح للرواية بالرغم من أنه لم يكن إتفاق تام في استخدامها.²

أليس هذه الصورة وحدها تكفي لتدل على حرص الرواة بمختلف تباين مراحلهم على النقل السليم والأوثق؟.

وخلاصة القول أن تدوين الحديث الرسمي لا يمكن أن يتم لولا تلك التقييدات والكتابات التي ترجع إلى عهد مبكر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم. وتناقلها بعده جيلا بعد جيل (الصحابة-

* ولد سنة 1850 بمدينة في بلاد المجر، ينتمي إلى أسرة يهودية ذات مكانة وقدرة كبير. كان ينهج في أبحاثه منهاجا استدلاليا لا استقرائيا، أي أنه كان يقبل على النصوص بأفكار مسبقة يحاول من خلالها التوفيق بينها وبين ما يوحى إليه ظاهر النص. أول أبحاثه الخطيرة في المسائل الإسلامية كتابه عن "الظاهرية: مذهبهم وتاريخهم" الذي ظهر سنة 1814، أما أشهر أبحاثه وأعظمها نزوجا وتأثيرا "محاضرات في الإسلام" المطبوع بمدينة "هيدلبرج" سنة 1910 بالإضافة إلى "اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين" المطبوع بمدينة "اليدن" سنة 1920. كانت وفاته سنة 1921: موسوعة المستشرقين. عبد الرحمن بدوي، ط. 4. الأردن: دار الفارس للنشر والتوزيع، 2003. ص. 197-201.

* مستشرق نمساوي الأصل، ثم تجس بالجنسية الإنجليزية. ولد سنة 1813 في منطقة "التيرول" جنوب النمسا. تحصل سنة 1838 على درجة الماجستير في اللاهوت من جامعة "اليدن" بهولندا برسالة عنوانها "أوليات الطب العربي في عهد الخلافة". من إصداراته تحقيق كتاب "إصطلاحات الصوفية" لعبد الرزاق الكاشاني، "مختارات من المؤلفين العرب". توفي سنة 1893 وهو في الحادية والثمانين من عمره: المصدر نفسه. ص. 28-29.

1 - صبحي الصالح، المرجع السابق. ص. 33-35.

* الألواح هنا هي "الصحف" وواحدتها صحيفة. وفي ذلك رواية أخرى لقول التابعي "سعيد بن جبير": «رَبَّمَا أَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَكُنْتُ فِي صَاحِفَتِي حَتَّى أَمْلَأَهَا، وَكُنْتُ فِي نَعْلِي حَتَّى أَمْلَأَهَا، وَكُنْتُ فِي كَفِّي...».

2 - فؤاد سزكين، المصدر السابق. ص. 234-247.



التابعين - تابعي التابعين...). والروايات الدالة على ك

لأسباب منها لئلا يضاهي تدوينه كتاب الله، بالإضافة إلى التخوف من وقوع الالتباس بينه وبين القرآن الكريم خاصة إذا جمعا في صحيفة واحدة، وحتى لا يشغل المسلمون بالحديث عن كلام الله، بالإضافة إلى خوف الرسول عليه الصلاة والسلام من الاتكال الكلي على ما في السطور لما في الصدور. ومن هنا حذ الرسول صلى الله عليه وسلم لو ترك الحديث للممارسة العملية لأنهم كانوا يطبقونه، ويرون الرسول فيقلّدونه، ويسمعون منه فيتبعونه. إلى جانب ذلك سمح لمن لا يختلط عليه القرآن بالسنة أن يدونها، وأباح لمن يصعب عليه الحفظ أن يستعين بيده أو يمينه كما قال عليه الصلاة والسلام.

هذا ما يستفاد منه قول "محمد عجّاج الخطيب" في مؤلفه "الوجيز في علوم الحديث" بأنّ النهي لم يكن عامّا والإباحة لم تكن كذلك في أوّل الإسلام «فحيثما تحققت علّة النهي منعت الكتابة؛ وحيثما زالت أبيحت الكتابة». ومن الأحسن هنا أن ندرج قول "عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي" في مصنفه "تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي" إلى أنّ «الإذن لمن خيف نسيانه، والنهي لمن خيف اتكاله».

2- تعريف الإسناد:

لكل أمة مقومات أساسية يصعب التخلي عنها أو عن أحدها، وإلا اختل الوضع وساد النقص. فمن الركائز الأساسية لأمتنا الإسلامية، وميزتها التي انفردت بها "الإسناد"، كظاهرة وجدت نفسها أمام ضرورة ملحة دفعت بالحدثين والعلماء بتوظيفها وانتهاج قواعدها. باعتبارها المسند الذي يستند إليه كل من حمل علما عن غيره.

إن خاصية الإسناد ليست منفصلة عن بعض المعاني التي تحملها بعض المصطلحات التي لها صلة وثيقة بها، ولهذا ارتأينا أن نوضح ذلك من خلال تعريفات مبسطة للوصول إلى معناه بالكامل، إذ أننا إذا وضعنا تعريفا لما يراد به نجد أنفسنا أمام مجموعة من المفاهيم التي تحتاج هي الأخرى إلى وقفة، وهذا ما سيتضح جليا.

فالإسناد لغة: هو رفع الحديث إلى قائله.

إصطلاحا: هو الإخبار عن طريق المتن *

من هذا المنطلق نجد أن التعريف الاصطلاحي للإسناد يتكرر مرة أخرى حين التعريف بالسند الذي له معنيان: إما هو ما ارتفع و علا، لأن الراوي يرفعه إلى قائله، أو كأن نقول: فلان سند معتمد، فسمي الطريق الموصل إلى المتن، أي الرواة الذين يتوصل إليهم سندا بذلك لاعتماد الحفظ* في صحة الحديث وضعفه عليهم. ولذا فالحدثون يستعملون السند والإسناد بمعنى واحد.

وهناك أيضا مصطلحين اثنين كلاهما من جنس الإسناد ألا وهما: المسند بفتح النون، والمسند بكسرها فما المراد بهما؟.

أما الأول: لغة: فهو اسم مفعول من أسند.¹

إصطلاحا: هو ما اتصل سنده من رواية إلى منتهاه، وأكثر ما يستعمل فيما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره². ومنه تسمية الإمام البخاري صحيحه بـ "الجامع المسند الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سننه وأيامه"، ومنه إطلاق المسند على "سنن الإمام الدارمي"

* المتن: هو ألفاظ الحديث التي تنقوم بها المعاني: حبيب أحمد الكيرانوي، فواعد في علم الحديث (على ضوء ما أفاده الشيخ أشرف علي التهانوي). بيروت: دار الفكر العربي، 1990. ص. 10.

* الحافظ: هو من يكون عدد الرجال الذين يعرفهم ويعرف تراجمهم وأحوالهم و بلدانهم أكثر من الذين لا يعرفهم، ليكون الحكم للغالب. وقيل: هو إمام أحاط

علمه بمائة ألف حديث متنا وإسنادا وأحوال الرواة جرحا وتعديلا وتاريخا:

الموسوعة العربية العالمية. ط. 2. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، مج. 9. ص. 103.

¹ - ابن حجر العسقلاني، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس. تج. يوسف عبد الرحمن الرعشلي. بيروت: دار المعرفة، 1992. مج. 1. ص. 40.

² - حبيب أحمد الكيرانوي، المرجع السابق. ص. 11.

لكون أحاديثه مسندة، ويطلق تارة على الكتاب الذي الإمام أحمد".

أما الثاني: هو الذي يقتصر إلى سماع أحاديث وإسماعهما، من غير معرفة بعلومها، أو إتقان لها¹، فهو إذن مجرد رواية².

هذا عن الألفاظ التي تتقارب ومصطلح الإسناد الذي يسمّى بأصول الحديث أيضاً، التي تعرف بها أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث صحّة النقل وضعفه والتحمّل والأداء*. ويتابع "التهانوي" تعريفه له بأنّه علم يبحث فيه عن صحّة الحديث وضعفه، ليعمل به أو يترك، من حيث صفات الرجال وصيغ الأداء.³

¹ - ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق. ص. 41.
² - حبيب أحمد الكيرانوي، المرجع السابق. ص. 11.
* سوف يكون في ذلك شيء من التفصيل في النقطة المختصة بطرق تحمّل العلم أو أنواع الرواية.
³ - محمد علي الفاروقي التهانوي، كتّاف اصطلاحات الفنون. تح. لطفي عبد البديع؛ تر. عبد التّعيم محمّد حسنين. مصر: المؤسسة المصريّة العامّة للترجمة والطباعة والنشر، 1963. مج. 1. ص. 37.

3- الأسباب الممهّدة لظهوره:

بعد أن كانت السنّة صافية نقيّة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، اندسّ في الأُمَّة أهل المصالح والأهواء؛ والزنادقة والحاقدون على الإسلام، فانتسعت بذلك أبواب الرواية وفاضت أنهار الوضع، بغير ضابط ولا قيد، حتّى لقد بلغ ما روى من الأحاديث الموضوععة عشرات الآلاف، وهي الآن منبّثة بين تصانيف الكتب المنتشرة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ومن هنا أتت الحاجة إلى منهج الإسناد الذي ينظر في الموضوعات من الأخبار.

فالموضوع لغة: اسم مفعول من وضع يضع، ويأتي وضع في اللّغة لمعان عدّة: الإسقاط كوضع الأمراء الشيء عن كاهله أي أسقطه، ويأتي بمعنى الترك ومنه أبل موضوعة أي متروكة في المرعى، ومعناه أيضا الافتراء كوضع فلان قصّة أي اختلقها وافتراها.¹

أمّا الموضوع في اصطلاح المحدثين: هو المخلوق المصنوع المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم زورا وبهتاناً.² ممّا لم يقله ولم يفعله أو يقرّه.³

ونورد أسباب الوضع في النقاط التالية:

● الأحزاب السياسيّة ، وما للشّيعّة وخصومهم من أثر في وضع الحديث حتّى قال "ابن أبي الحديد" في "شرح نهج البلاغة": «إنّ أصل الأكاذيب في حديث الفضائل كان من جهة الشيعة» بحيث كان همّهم إثبات وصيّة الرسول صلى الله عليه وسلم لعلّي بالخلافة من بعده.⁴ أمّا الخوارج فهم أقلّ الفرق كذبا لا اعتقادهم بكفر مرتكب الكبيرة؛ والكذب من الكبيرة.⁵ لقول "أبو الدرداء" «ليس في أصحاب الأهواء أصحّ حديثاً من الخوارج».⁶ وغيرها من الفرق التي وضعت الأحاديث لنصرة أفكارها كالقدريّة* والمرجئة*.⁷ وهي طائفة أخذت اسمها من الإرجاء والتأخير، وقد ظهرت في دمشق خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري⁸

¹ - محمد عجاج الخطيب، الوجيز في علوم الحديث. الجزائر: قصر الكتاب، 1989. ص. 406.

² - محمود أبو ريّة، أضواء على السنّة المحمديّة. ط. 4. القاهرة: دار المعارف بمصر، 1976. ص. 119.

³ - محمد عجاج الخطيب، المرجع السابق. ص. 406.

⁴ - المصدر نفسه. ص. 408-409.

⁵ - محمد سعيد رسلان «تاريخ السنّة» (page consultée le 15- 09- 2007) www.al-islami.com

⁶ - صبحي الصالح، المرجع السابق. ص. 270.

* **القدريّة** نسبة إلى القدر، وهي فرقة كلاميّة ذات مفاهيم خاطئة بمفهوم القدر، حيث زعموا أنّ العبد مستقلّ بإرادته وقدرته، وليس لله في فعله مشيئة، وأنكر

غلاتهم علم الله السابق: سفر الحوالي «نشأة القدرية وحكمهم» (page consultée le 07- 10- 2007) www.alhawani.com

* **المرجئة** فرقة ذهبت إلى أنّ الإيمان هو التصديق أي معرفة الله بالقلب، دون الإقرار باللسان والعمل بالجوارح، وبعضهم زاد الإقرار باللسان على المعرفة بالقلب، وبعضهم غلا غلوا كبيرا فزعم أنّ الإيمان قول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه: دائرة المعارف الإسلاميّة. تحرير النسخة العربيّة إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس. القاهرة: دار الشعب، [د.ت.]. مج. 10. ص. 118-119.

⁸ - موسوعة تاريخ العرب: تاريخ/ ممالك/ دول/ حضارة. عبد عون الروضان. ط. 2. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع. مج. 2، 2007. ص. 116.

- التفرقة العنصرية والتعصب للقبيلة أو البلد أو المذهب
أن يضعوا الأحاديث في فضل ما ينتمون إليه (سواء أكان ذلك بلدا أو مذهباً أو غيره).
- شيوع بعض القصص الذين يخاطبون الناس لما يرضيهم من الأحاديث التي تتناسب وتحركات عواطفهم وميولاتهم لكي يلتفت الناس حولهم وينالوا حبهم.¹
- الزندقة ومعاداة الإسلام قصد تشويهه، ولزنادقة هم الذين ييطنون الكفر ويظهرون الإسلام وأغلبهم ينتمون إلى أمم انتصر عليها المسلمون، فحققوا على الإسلام وحاولوا محاربته بوضع الحديث.² فالزندقة وحدهم وضعوا -كما قال "حماد بن زيد" - أربعة ألف حديث.³
- وأحيانا يكون التعامل سببا في وضع الحديث وذلك بأن يظهر جاهل بزي العلماء، ففي رأيه وضع الغرائب بين عامة الناس وسيلة لستر جهله.⁴
- الخلافات المذهبية والكلامية، وذلك بأن يضع أتباع المذاهب الفقهية والكلامية ما يؤيد مذاهبهم ويتماشي مع توجهاتهم.
- التقرب من الحكام عن طريق اختلاق ما يرضيهم من الحديث.⁵
- وغيرها من الأسباب التي تصدوا لها علماء بوضعهم قواعد علمية دقيقة ليميزوا الخبيث من الطيب.
ولعل الحافز الأساسي على نشأة المناهج والعلوم العربية بصفة عامة هو "التدوين" الذي اتخذ صورة لجمع العلوم العربية من أجل حفظها من الضياع وتبويبها وتصنيفها كي يسهل تداولها وتناولها بين الناس والرجوع إليها.⁶
- وبما أن التدوين يشمل مختلف الأخبار المتداخلة والمتشابكة التي سارت لتشكّل لنا ذلك الموروث الثقافي الذي صنفت معارفه وبلورت وتفرّعت فيما بعد إلى علوم يستفاد منها، فإنّه يدرج لا محالة ضمن الأسباب التي مهّدت لظهور منهج الإسناد الذي زادت أهميته وانتشر استعماله في الرواية بصفة عامة، حينها بدأ شيوع نوع من الجمع المنظم للأخبار والروايات التاريخية. ومن هنا كان التأكيد على تمحيص سلاسل الرواة ونقد متونهم عن طريق قواعد الإسناد التي أتى بها المحدّثون*.

¹ - صبحي الصالح، المرجع السابق، ص. 213-214.

² - محمد سعيد رسلان «تاريخ السنة» (page consultée le 15- 09- 2007) www.al-islami.com

³ - صبحي الصالح، المرجع السابق، ص. 270.

⁴ - المرجع نفسه، ص. 268.

⁵ - محمد عجاج الخطيب، المرجع السابق، ص. 416. أنظر أيضا ما قدمه أحمد أمين في مؤلفه ضحى الإسلام . المرجع السابق، ص. 262-263.

⁶ - عبد الله عبد اللّوي، «مهمة المؤرخ في الثقافة العربية الإسلامية: المعرفة، السلطة والتمثيلات»، مجلة البحرين الثقافية = AL-BAHRAIN- AL-THAQAFIA، مملكة البحرين: قطاع الثقافة والتراث الوطني، س. 11، ع. 38، مارس 2004، ص. 35.

* هذا ما سنحاول التأكيد عليه في النقطة المتعلقة بأهمية منهج الإسناد بصفة عامة ودوره في تشكيل العلوم عند المسلمين.

4- جهود العلماء للتخلص من العلم الموضوع:

ما من سبيل لتوثيق "الخبر" مهما كان غير التأكد من صحّة صدره عمّن ينسب إليه، ولا سبيل إلى ذلك غير ضبط سنده؛ أي النظر في رواته إن كانوا من الموثوق بهم أم لا، ولهذا اهتم أهل الحديث بالإسناد فوضعوا له مقاييس خاصّة أهمّها "الجرح والتعديل" الذي يعتبر من العلوم التي تتعلّق بناحية من نواحي الإسناد، والتي لا مثيل له أيضا في تاريخ الأمم الأخرى؛ ما اصطلاح عليه بعلم "الجرح والتعديل" أو علم "ميزان الرجال". فماذا نقصد؟ به وما هي أهميته؟ وما أهم الكتب المصنّفة فيه؟.

4-1- علم الجرح والتعديل:

يقصد بـ "التعديل" «وصف الراوي بصفات تجعل منه رجلا عدلا لم يظهر في أمر دينه ومروءته ما يخلّ بهما؛ فيقبل لذلك خبره وشهادته. أمّا "التجريح" فهو ذكر وصف في الراوي ينال من عدالته ويخلّ بحفظه وضبطه»¹.

وعلم ميزان الرجال يبحث فيه عن أحوال الرّواة وأمانتهم و ثقتهم، وعدالتهم وضبطهم، أو عكس ذلك من الكذب أو الغفلة أو النسيان، وهو علم جليل من أجلّ العلوم التي نشأت نتيجة حرص العلماء على التمييز ما بين الصحيح من غيره. وقد سئل أبو عبد الله عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (327هـ) عن ماهية الجرح والتعديل؟ فأجاب: «أظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة»². وقال "حاجي خليفة" في هذا الصّدّد: «هو علم يبحث فيه عن جرح الرّواة وتعديلهم بالألفاظ مخصوصة*، وعن مراتب تلك الألفاظ، وهذا العلم من فروع علم رجال الحديث»³.

ومن الأوائل الذين ألفوا تصانيف في علم الجرح والتعديل: "أحمد بن حنبل" و"محمد بن سعد" كاتب "الواقدي" وصاحب الطبقات ثم تلاهم بعد ذلك البخاري ومسلم.

وهناك مؤلّفات في الجرح والتعديل، منها ما أفرد لذكر الثّقات فقط ككتاب "الثّقات" لـ "ابن حيّان السبتي"، ومنها ما أفرد للضعفاء فقط، وممن ألف فيهم "البخاري" و"النسائي" و"ابن حبان" و"الدارقطني" وغيرهم، ومنها ما أجمع فيما بين الثّقات والضعفاء وهي كثيرة جدّا نذكر منها: كتاب "

¹ - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي: دراسة تحليليّة نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربيّة. ط. 7. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2004. ص. 124-125.

² - جمال الدين بن يوسف بن عبد الرحمن المزني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تح. عمرو سيّد شوكت. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2004. مج. 1. ص. 03.

* حسب منازلهم و درجاتهم و حذائهم و إتقانهم، و اتساع معارفهم، و شهرتهم و أحوالهم، و هذه الألقاب أو الأوصاف عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: لفظ الحافظ الذي سبق وأن أشرنا إلى معناه في النقطة المتعلّقة بتعريف الإسناد. و الثّقّة التي تعدّ من ألفاظ التعديل و يطلقها العلماء على من كان يأمّ الضبط مكتمل العدالة. و هناك أيضا الضابط، الصدوق، الصّالح، المجتهد، المتّبع...إلى غيرهما من الألفاظ التي عن طريقها يتمّ قبول أو ردّ المرويّات: الموسوعة العربيّة العالميّة. المصدر السابق. مج. 09. ص. 103-104.

³ - حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون. بيروت: دار الكتب العلميّة. 1992. مج. 1. ص. 582.

الجرح والتعديل " لـ " ابن حبان، والجرح والتعديل لـ ذلك: "التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل" للحافظ " ابن كثير".

وفي القرن السابع جمع "عز الدين بن الأثير" (630 هـ / 1209م) "أسد الغابة في معرفة الصحابة"، وجاء بعده "ابن حجر العسقلاني" (856 هـ / 1435م) بكتابه "الإصابة في تمييز الصحابة" الذي اختصره تلميذه "السيوطي" في كتاب سماه "عين الإصابة"². والكثير من المصنفات التي تعنى وتدرج ضمن الجرح والتعديل؛ ومن هنا يذكر «عبد المنعم النمر» مقولة للمستشرق الألماني «د.اسبرنكر» نقلا عن «شمس الدين السخاوي» في مؤلفه المشهور "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ" في مقدمته بالإنجليزية لكتاب «الإصابة» المطبوع في الهند سنة 1864م «لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة، أتت في علم أسماء الرجال، يمثل ما أتى به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطير الذي يتناول أحوال ألف رجل وشؤون حياتهم»³.

ونقد الرواة ليس أمرا هينا، إذ يستوجب على الناقد ما يطول حصره في هذا المقام، من وجوب إطلاعه الواسع بالأخبار المروية، و تعرفه لأحوال الرواة السابقين و طرق الرواية، كما يحتاج إلى أن يكون خبيرا بفوائد الرواية ومقاصدهم وأغراضهم، وكذا بالبحث عن أحوال الراوي (مولده، بلده، منزلته أو مكانته في الدين، ناهيك عن وجوب تحليله بميزة المروءة والأمانة والتحفظ، بالإضافة إلى البحث عن بعض التدقيقات كزمن شروعه في الطلب وسماعه، وكيفية سماعه.... وصولا إلى أحوال الشيوخ الذين يحدث عنهم وبلدانهم، ووفياتهم...⁴ بالإضافة إلى وجوب معرفتهم لتاريخ الرواة وتحركاتهم، لاكتساب حقيقة صدقه وضبطه، ومن هنا انكشف كثير من هؤلاء الوضّاعين أمام رجال نذروا أنفسهم لتنقية أحاديث الرسول وتصفيته من الغش⁵، حيث يقول "سفيان الثوري" في هذا الصدد «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التواريخ»⁶ حيث طالبوهم بذكر من رووا عنهم وهو الإسناد، كما طالبوهم بذكر سنة ميلادهم وسنة لقائهم بمن رووا عنه، وفي أي مكان، وقال القاضي "حفص بن غياث": «إذا اتهمتم الشيخ

¹ - مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. ط. 3. بيروت: المكتب الإسلامي، 1976. ص. 109-111.
* عاش ما بين (555-1160م / 630هـ -1234م). كان حافظا في التواريخ المتقدمة والمتأخرة وخبيرا بأنسب العرب وأيامهم ووقائعهم. ولذا كان أكثر ما اشتهر به دراسة التاريخ. و يعتبر "الكامل في التاريخ" أهم مؤلفاته في هذا المجال:
عباس سليمان، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب. حسان، حلاق. [دم.]: دار المعرفة الجامعية، 1998. ص. 255.
* هو أحمد بن محمد العسقلاني، ولد بمصر على ضفاف النيل. وذلك في شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة، زادت مصنفاته على مائة وخمسين مصنفا منها: فتح الباري شرح البخاري، التشويق إلى وصل المهم من التعليق، تهذيب التهذيب، بالإضافة إلى مؤلفه الإصابة في تمييز الصحابة وغيرها. توفي ليلة السبت ثاني عشر ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة هجرية.
ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تج. محمد سيد جاد الحق. القاهرة: أم القرى للطباعة والنشر. [د.ت.]. ج. 1. ص. ص. 09-13.
² - صبحي الصالح، المرجع السابق. ص. 111.
³ - عبد المنعم النمر، المرجع السابق. ص. 57.
⁴ - جمال الدين بن يوسف بن عبد الرحمن المزي، المصدر السابق. ص. 04.
⁵ - عبد المنعم النمر، المرجع السابق. ص. 56.
⁶ - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، مج. 06. المصدر السابق. ص. 235.

فحاسبوه بالسنين» يعني حساب سنّه وسنّ من كتب الرجال.¹

ولا ينحصر مجال التّقد بالنّسبة للرّواة فقط، إنّما يتعدّى إلى الحرص على معرفة صحّة المتن والعلامات المؤدّية إلى الوضع فيه **كركاكة اللفظ**. إذ أنّ أسرار اللّغة المحمّدية بصفة أخص والعربيّة بصفة أعمّ تكشف عمّا يختلف من الألفاظ التي لا تتناسب وجوامع الكلم المتشبع به صاحب الخبر أو الرّواة الثقة من بعده. حيث يقول "الربيع بن خيثم": «إنّ من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه، وإنّ من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل نكره». هذا بالإضافة إلى وجوب النظر في **المعنى** الذي قد يكون مخالفا للعقل أو لصريح القرآن أو للسّنّة المتواترة أو لمختلف القواعد العامّة المستنبطة من المصدرين (القرآن والسّنّة). وغيرها من العلامات التي يستطيع أهل هذا الفن التمييز عن طريقه بين ما قيل من حقيقة وما أضيف إليها.²

وكملاحظة فقد أجمع نقاد الحديث إلى وجوب العناية بالنّظر إلى ركّة المعنى قبل ركّة اللفظ، لأنّ فساد المعنى أوضح دليل على الوضع. كما قال الحافظ "ابن حجر": «المدار في الركّة ركّة المعنى، فحيثما وجدت دلّت على الوضع، وإن لم ينضم إليها ركّة اللفظ، لأنّ هذا الدين كلّّه محاسن، والركّة ترجع إلى الرّداءة، أمّا ركّاكة اللفظ فقط قد تدلّ على ذلك لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى فغيّر ألفاظه بغير فصيح. نعم، إن صرّح أنّه من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فكاذب».³

حقّا إنّها عمليّة شاقة يتلذّذ بها من لا يجد للطلب حدا، ولا للرّاحة سبيلا؛ من أجل الوقوف على كلّ كبيرة وصغيرة إلّا أحصاها وأحصى مفادها، ليكون عمله مكتملا ومقصده محمودا لإعطاء كلّ ذي حقّ حقه.

وفي هذا يكتسي الإسناد أهمية كبرى في تاريخ الأُمّة الإسلاميّة، التي بذل روّادها جهودا معتبرة نتيجة وعيهم بأنّ العلم لا يبنى إلّا بالإسناد، باعتباره الأساس المتين في التحرّي عن الحقيقة والبحث عن الدّقة في جلبها، وردّ العلوم إلى أصحابها لقيام الاتّصال العلمي الصحيح والسليم.

¹ - عبد المنعم النمر، المرجع السابق. ص. 56.

² - أبو لبابة حسين، المرجع السابق. ص. 113-116.

³ - صبحي الصالح، المرجع السابق. ص. 264-265.

4 - 2- الرحلة في طلب العلم:

لقد تميّز المجتمع الإسلامي و خاصة منه بلاد الأندلس بطابع الرحلة في طلب العلم، نتيجة تبنّيه لمنهج الإسناد الذي يعدّ منهجاً علمياً للتوثيق الذي شاع تداوله في البحوث العلمية بصفة عامة، ويعدّ في نفس الوقت مصدراً أساسياً للتوثوق من مصداقية المعلومة وحاملها.

فمنهج الرواية هذا الذي سلكه المحدثون واتباعه بعد ذلك علماء مختلف العلوم الأخرى لم يأت من العدم، بل كان نتيجة عامل أساسي ألا وهو الرحلات العلمية.

فالرحلة هي حركة بدأها أهل الحديث من أجل جمع الحديث و تصنيفه، فشهد القرن الثالث الهجري مرحلة جديدة من التطور الثقافي نتيجة تضخّم الروايات التاريخية التي نقلت رواية أو كتابة في مختلف الأمصار¹.

وهكذا انطبعت الحركة العلمية عند العرب بطابع الخروج بحثاً عن المادة العلمية، بحيث يقول " نيكلسون (NICKELSON) في كتاب له تحت عنوان: "literary history of the arabic" «أنّ الباحثين وطلاب العلم يرحلون بحماسة ظاهرة، ويعودون إلى بلادهم كما يعود النحل محملاً بالعسل الشهي»². ومن هنا يمكن أن نتساءل عن أهميّة الرحلة وفوائدها؟.

4-2-1- أهمية الرحلة و فوائدها:

هناك العديد من الرحلات التي تصنّف حسب غايتها. فمنها ما يهدف إلى كسب المال، وهي الرحلات التجارية، ومنها ما يعود إلى أسباب دينية كرحلات الحجّ مثلاً، وهناك الرحلة من أجل طلب العلم. فهي من الممارسات التي أكّد عليها هذا الدّين، وطالب أفرادها بها في سبيل بلوغه. وهذا ما يراه المؤرّخ والعالم الاجتماعي "ابن خلدون" في أنّ الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة يزيد في اكتمال التعلّم «فالرحلة لا بدّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد بلقاء المشايخ ومباشرة الرّجال»³.

حيث أنّ الاتصال المباشر لتلقّي العلم له فوائد جمّة تكمن في تصحيح الخطأ من طرف الشيخ، وشرح الغامض وخاصة أثناء وجود اختلاف في معان الألفاظ؛ إلى غيرها من الفوائد التي تبعد عواقب من يكتفي بالأخذ من الكتاب دون مباشرة أصحابهم من العلماء، ودون أن يتلقّى علمه في مجالسهم، فقد يكون علمهم عرضة للتّصحيح والتحريف، ويكون هو بدوره صحفياً لا عالماً⁴.

¹ - عبد العزيز التّوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب. بيروت: دار المشرق، 1983. ص. 128.

² - شرف الدين علي الرّاجحي، المرجع السابق. ص. 18.

³ - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدّمة: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1992. مج. 1. ص. 626-627.

⁴ - ناصر الدين الأسد، المرجع السابق. ص. 179-180.

ومن أجل بلوغ العلم وسموّه، كان المجتمع الأندلسي

من ذوي الهمم منهم لطلبه، كما يقول صاعد الطليطلي في "طبقات الأمم": «ونرى مثلاً عليهم في أميرى فترة ازدهار الإمارة فقد كان عبد الرحمن الثاني مولعاً بالسماع الذي يؤثره على جميع لذاته»¹.

ويذكر "الحميدي" أنّ "عبد الله بن قاسم بن هلال المكنى بأبي محمد الأندلسي" كان مشهوراً بالرحلة والطلب². هذا ناهيك عن ما يتحدثونه طلاب العلم غير مبالين بما يعترضهم من شقة وعناء وفقر مع ما في السفر من صعاب؛ ولعلّ خير ما يمثّل هذا ما روي عن "أبي الدرداء" قال: «لو أعيتني آية من كتاب الله، فلم أجد أحداً يفتحها عليّ إلا رجلاً بـ "برك الغماد" لرحلت إليه»³.

ولحاجي خليفة حديث طويل عن ضرورة الشغف في طلب العلم، حتّى جعل له شرائط في تحصيله: كالإخلاص في مقاساة هذا المسلك⁴، واختيار المعلم الناصح النقي الحسب، وكذا ضرورة سفره (رحلته) في طلب الأستاذ، فقدّر المرء حسب قوله مقترن بجلال وعلوّ منزلة أستاذه...⁴، إلى غير ذلك من الشرائط التي تكوّن في مجملها ذلك الطالب السامي الذي يرتقي بعلمه ويتخطّى الصعاب في رحلته وأسفاره، من أجل الوصول إلى مقصده وهو الحصول على أكبر قدر من الملكات، ورسوخها إمّا عن طريق السماع أو القراءة؛ أو إحدى طرق العلم المذكورة سالفاً.

إنّها لثلة قليلة جداً يصعب حصرها، والتي تعتبر مثلاً يقتدى به لما في الرحلة من آداب تستقى وأحكام يستفاد منها كرحلة "أبو حامد الغرناطي" الذي يقول عنه "حسين مؤنس" في مؤلّفه "الجغرافية والجغرافيين في الأندلس": أنّه كان رحالة اتّسم بجرأة غير معهودة على اقتحام المخاطر، والدخول إلى بلاد بعيدة مجهولة الأحوال، فغادر الأندلس حوالي سنة (500هـ / 1079م) إلى المغرب الأقصى، وانتقل بعد ذلك إلى تونس، ثمّ غادر إلى الإسكندرية فسمع فيها العلم على يد "أبي عبد الله الرازي" و"أبي بكر الطرطوشي" وانتقل بعد ذلك إلى القاهرة وبغداد، إلى غيرها من الأماكن التي جال فيها ووصف معلمه وصفاً دقيقاً.⁵

¹ - أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس و حضارتها. دمشق: [د.ن.]، 1969. ج. 1. ص. 166.

² - الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس. تح. إبراهيم الأبياري. ط. 2. القاهرة: دار الكتب الإسلامية، 1983. ج. 2. ص. 418.

* برك: بكسر أوله وإسكان ثانيه. والغماد: بالغين المعجمة، تضمّ وتكسر. وقال "أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني" -صاحب كتاب "الإكليل"- برك الغماد موضع في أقصى اليمن: أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع [تح. جمال طليعة]. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998. مج. 1- 2. ص. 224- 225. وقال عنه أحمد أمين في الجزء الثاني من مؤلّفه "ضحى الإسلام" أنّه مكان يضرب به المثل في البعد وصعوبة الوصول إليه.

³ - أحمد أمين، ضحى الإسلام. ط. 10. بيروت: دار الكتاب العربي، 1935. ج. 2. ص. 62.

* أي أنّ المسلك الذي يسلكه طالب العلم صعب و شاق، يحتاج إلى صبر كبير، وهذا ما نجده جلياً من خلال تصفّحنا لبعض ما دونّ عن الرحلات التي قام بها العلماء بقصد بلوغ أسْمى الغايات وهي طلب العلم و التوثّق من صحّته عن طريق تلقينه بالمباشرة. للتّطلع أكثر راجع كتاب: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي.

⁴ - حاجي خليفة، المصدر السابق. ص. 45- 46.

⁵ - حسين مؤنس، الجغرافية و الجغرافيين في الأندلس. ط. 2. [د.م.]: [د.ن.]، 1986. ص. 303- 312.

فللثقافة الأندلسية منبعان إما عن طريق شيوخها وعلم

المشرق الناتج عن مختلف السبل التي يسلكونها بواسطة رحلاتهم.¹

فازدادت بذلك حركة نقل الكتب المشرقية إليها، ووصلت هذه العلاقات حدًا كبيرًا من التنظيم بحيث استطاع حكام الأندلس أن يجندوا لهم كتبًا في المشرق يعملون لحسابهم، فيألفون لهم الكتب ويرسلونها إليهم مثلما قام به "أبو الفرج الأصفهاني" من تأليف العديد من الكتب لحساب بني أمية بالأندلس.²

فبالإضافة إلى أن للرحلة أهمية كبيرة عند المحدثين لتحصيل الحديث الذي يعدّ أول أسبابها، والتثبت منه، وطلب العلوّ في السند* الذي يحصل بأن يسمع المحدث حديثًا من راو عن شيخ موجود، فيذهب المحدث إلى ذلك الشيخ و يسمعه منه، وهكذا يقلّ عدد وسائط النقل في السند، وكذا البحث عن أحوال الرواة؛ إذ أنّه من الضروري تقصي أحوال الرواة وأخبارهم حتى يتميز مقبولهم من مردودهم.³

ويؤكد هذه الأهداف أيضا "ابن حجر العسقلاني" حينما يقول: «طلب العلم والرحلة لطلب الحديث للتأكد من صحّة متنه أو لعلوّ إسناده أو لمكانته، ويدخل تحت هذا المعنى الهجرة لهذه الأسباب». لقوله تعالى: «ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله»*.

ويتعدّى حديث "ابن حجر" أن للرحلة فوائد جمّة تتيح نشر العلم والالتقاء بالصالحين الذين ذاع صيتهم، وكذا كسب صداقات جديدة قائمة على تبادل الخبرات والمعارف.⁴

وهذا ما أكّد عليه "حسني محمود حسين" - دكتور بكلية الآداب: جامعة الجزائر - في مقالة له أن الرحلة تكسب صاحبها الكثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية وغيرها ممّا تجعل الرحالة مدوّنا معائنا في أغلب الأحيان نتيجة اتّصاله المباشر بالطبيعة والناس وبالحياة خلال رحلته.⁵

4-3- طرق تحمّل العلم:

من ملامح مناهج المحدثين في النقد والتمحيص لتقديم هذا العلم نقيا صافيا، تركن إليه النفوس؛ وتطمئن إلى قبوله "منهج الرواية" التي عرفها العلماء المسلمون بقولهم: «هي نقل الحديث وإسناده إلى من عزي

¹ - محمد صاحبي، التراث العربي الإسلامي ومرجعياته: دراسة إبستمولوجية في نشأة الببليوغرافيا عند المسلمين. أطروحة لنيل درجة دكتوراه الدولة في الأدب العربي القديم، 2001-2002، ص. 207.

² - عبد الواحد ذو النون طه، دراسات أندلسية. بغداد: منشورات مكتبة بسلام، 1986، ص. 111-112.

* هو قلة عدد الوسائط في سند الحديث مع اتّصال السند.

³ - الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث. تج. نور الدين عتر. بيروت: دار الكتب العلمية، 1975، ص. 18-21.

* سورة النساء: الآية 100

⁴ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان. تج. عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد المعوض. بيروت: دار الكتب العلمية، 1996، ج. 1، ص. 12-15.

⁵ - حسين محمود حسين، دراسات في أدب الرحلة عند العرب. «مجلة الأصالة». الجزائر: وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية. أبريل، 1976، ع. 32، ص. 91.

إليه بصيغة من صيغ الأداء». واختصّ علماء السنّة بها

مؤلفوا التراث الإسلامي، وخاصة ما يرجع منها إلى القرون الأربعة الأولى للهجرة على الأسانيد، لبيان حدود اتصالهم بالإنتاج الفكري السابق، الذي يعدّ مصدرا أساسيا من مصادر المعلومات التي اعتمدوا عليها في تأليف كتبهم. ولذا تأثر المؤلفون في العلوم المختلفة بتلك الطرق التي وضعها المحدثون لرواية الحديث النبوي الشريف - ثاني مصدر للتشريع الإسلامي - صحيحا كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ والتي عمل بها باقي العلماء في روايتهم لكتب العلوم الأخرى، والتي يمكن اعتبارها أساسا وقاعدة عمل تعطينا فكرة عن السلوك الاتصالي الذي انتهجه العلماء والمؤلفون في رواية كتب السابقين في شتى المجالات والاستشهاد بمعلوماتها.²

فنقول أنواع الرواية؛ أو ما اصطلح عليه بطرق تحمّل العلم التي صنفتها كتب علم أصول الحديث إلى ثمانية: السماع، القراءة، الإجازة، المناولة، الكتابة أو المكاتبة، الإعلام، الوصية، الوجدادة.

4-3-1- السماع:

يعتبر السماع أعلى مراتب تحمّل العلم فيما هو مشهور عند جمهور العلماء.³ وهو إملاء الشيخ من حفظه، أو من كتاب على الحاضرين، والسماع أن يروي ما سمعه من لفظ الشيخ، وله أن يقول فيما سمعه وحده: حدّثني فلان، وله أن يقول فيما سمعه مع غيره من لفظ الشيخ: حدّثنا فلان، حسبما جاء به "ناصر محمد عبد الرحمن" في كتاب له نقلا عن الإمام النووي في مؤلفه "التقريب في فن أصول الحديث". وقال القاضي "عياض" * لا خلاف أن يقول السامع "حدّثنا" و"أخبرنا" و"أنبأنا" و"سمعت" و"قال لنا" و"ذكر لنا فلان". وقال الخطيب البغدادي أن أرفع العبارات "سمعت" ثم "حدّثنا" و"حدّثني".

فمن الأمثلة التي تدلّ على أن مؤلفي المسلمين قد انتهجوا هذه الطريقة: مكتبة أبي بكر محمد بن يحيى الصّولي الذي توفي سنة (335هـ / 914م)، والتي ضمّت كتبا عن طريق السماع، والتي نوّه إليها "ناصر محمد عبد الرحمن رمضان" نقلا عن "ابن النديم" في مصنّفه "الفهرست"، والذي يذكر أيضا أنّه

¹ - أبو لبابة حسين، «ملاحم من مناهج المحدثين في النقد والتمحيص». مجلة الحضارة الإسلامية وهران: المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، أبريل 1996. ع. 2. ص. 11-12.

² - عبد الرحمن رمضان ناصر محدّد، الإتصال العلمي في التراث الإسلامي: من صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي. تق. حشمت قاسم. القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع، 1994. ص. 189-191.

³ - فخر الدين الطريحي، جامع المقال فيما يتعلق بأحوال الحديث و الرجال. نج. تع. محدّد كاظم الطريحي. طهران. [د.ن.]، [د.س.] ص. 38.

* ولد عياض بمدينة سبتة في منتصف شعبان سنة 476 هـ، قام بعدة رحلات علمية، و لعلّ رحلته إلى الأندلس كانت تهدف إلى التأكد من سلامة المنهج النقلي الذي يتطلب تصحيح المتن المرويّة و البحث عن أعلى هذه الأسانيد وأقومها وأصحّها. من بين مؤلفاته: "مشارك الأنوار" و كتابه المشهور في علوم الحديث تحت عنوان "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع" ... إلى غير ذلك. توفي رحمه الله سنة 544 هـ: علي أبو لعيك، «القاضي عياض من خلال كتاب "الشفاء"». مجلة كلية الشريعة. المملكة المغربية: جامعة القرويين، 1995. ع. 20. ص. 286-291.

يجوز لمن صحّ عنده كتاب بطريق السماع أن يقتبس منه،

أحمد بن إبراهيم بن أسد العمي سمع كتب أبي أحمد الجلودي كلها ورواها.¹

4-3-2- القراءة:

وذلك أن يقرأ التلميذ أو غيره حديثاً واحداً أو عدداً من الأحاديث من كتاب، أو يلقيها من حافظته على الشيخ، الذي يكون في ذلك منصتاً. ويقدم لهذا بعبارات مثل: "أخبرني" أو "قرأت على..." فتكون في ذلك إما حفظاً أو من كتاب، ويسميه أكثر المحدثين "عرضاً".² والرواية بها سائغة وجائزة عند العلماء.

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله: يحيى بن عبد الله بن بكير: لما عرضنا الموطأ على ملك بن أنس رحمه الله، قال له رجل من المغرب: يا أبا عبد الله، أحدث به عنك، قال: نعم، قال: وأقول حدثنا ملك؟ قال: نعم، أما رأيته فرغت نفسي لكم، وسمعت عرضكم، وأقمت سقطه وزلله؟... إلى أن قال: حدثنا به عني وقولوا: حدثنا به ملك، وسماع العرض (القراءة) على الشيخ كالعرض سواء لا فرق بينهما في المعنى.³

4-3-3- الإجازة:

هي إذن في الرواية لفظاً يفيد الإخبار الإجمالي عرفاً، يعني أنها تتضمن إخباره بما أذن له بروايته عنه، وأركانها أربعة: مجيز، ومجاز به، وإجازة. ويؤديها بلفظ: أجاز لي فلان، أو حدثنا إجازة، أو أخبرنا إجازة. وقد خصّ المتأخرون لها بلفظ --"أبأناً". ولها أنواع ينظر إليها كتب أصول الحديث كتدريب الراوي للسيوطي وغيره.⁴

ومن الأمثلة على ذلك أن "ابن قتيبة الدينوري" صاحب كتاب (عيون الأخبار)، اعتمد على كتاب "الجاحظ". وتفسير ذلك أن الجاحظ كان قد أجاز له رواية بعض كتبه، فيقول "ابن قتيبة": «وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر الجاحظ من كتبه قال: كذا...».⁵

¹ - عبد الرحمن رمضان ناصر محمد، المرجع السابق. ص. 192.

* هي كلمة متداولة جداً في الجوامع القرآنية التي يعرض فيها حفظة القرآن ما تم حفظه على الشيخ الذي يحكم على قدرة الحفظ بإعادة الترسيم، أو يجيز لهم بالانتقال إلى الآيات القرآنية التي تليها.

² - ابن كثير، الباعث الحثيث: شرح اختصار علوم الحديث. تج. أحمد محمد شاكر. الرياض: دار المؤيد، 1997. ص. 102.

* دليل على الإنصات والتركيز.

³ - أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف. ط. 3. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997. ص. 13.

⁴ - محمد أبو الليث الخير آبادي، معجم مصطلحات الحديث وعلومه وأشهر المصنفين فيه. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، 2009. ص. 14-15.

* هو محمد عبد الله بن المسلم ابن قتيبة الدينوري (بكسر الذاو وسكون الباء وفتح النون والواو معاً وكسر الراء وتشديد الباء) من أصل فارسي، ولد ببغداد سنة 213 هـ؛ ومن أساتذته أبو حاتم السجستاني؛ ومن مؤلفاته بالإضافة إلى عيون الأخبار: «الشعر والشعراء»، «أدب الكاتب»، «العلم»، «فرائد الأدر» وغيرها: نظمي خليل أبو العطا «عيون الأخبار لابن قتيبة»

راجع www.a55a.net/firas/arabic (pqge consultée le:15-08-2007)

أيضاً ما قاله يوسف إليان سرقيس في مؤلفه "معجم المطبوعات العربية والمعرّبة". ص. 907.

⁵ - عبد الرحمن رمضان ناصر محمد، المرجع السابق. ص. 197-198.

ويذكر "ابن خير الإشبيلي" * أن للإجازة شروط:

أولها: أن يكون الفرع معارضا بالأصل حتى كأنه هو، ثانيها: أن يكون عالما لما يخبر به، ثقة في دينه وروايته، معروفا بالعلم، والشروط الثالث هو أن يكون المستجيز (الذي أجاز العلم) من أهل العلم متمسما بسمته حتى لا يضع العلم إلا عند أهله.¹

تعدّ الطرق الثلاثة (السماع، القراءة، الإجازة) أكثر طرق رواية كتب السابقين شيوعا بين العلماء والمؤلفين، إلا أن هناك خمسة طرق أخرى نوردها بإيجاز:

4-3-4 المناولة:

إنّ ما قدّمه "أحمد محمد شاكر" في مؤلفه "الباعث الحثيث" في هذه النقطة مفاده أنّ المناولة ضربان: مناولة مقرونة بالإجازة ومناولة مجردة منها، والمقرونة أعلى أنواع الإجازة، ومن صورها أن يرفع الشيخ إلى الطالب أصل سماعه قائلا: هذا سماعي وروايتي عن فلان فاروه، أو أجزت لك روايته؛ فيعطيه أصل كتابه أو الكتاب الذي يرويه، أو يعطيه نسخة مقابلة منه، بحيث تكون ملكا له، أو يشترط على التلميذ أن ينسخها ثم يعيد الأصل للشيخ.²

ومن صورها أيضا أن يرفع الطالب سماعه إلى الشيخ ليتأمله وهو عارف متيقظ فيعيده الشيخ بدوره إلى الطالب ويقول: «هو حديثي أو روايتي فاروه عني أو أجزت لك روايته». وقد سمّي بعض أئمة الحديث ذلك عرضا، كما سمّيت القراءة على الشيخ، لذلك يسمّى العرض الأول عرض مناولة، والثاني عرض قراءة.³ والرواية بالمناولة المقرونة بالإجازة صحيحة ترتقي إلى منزلة السماع.⁴ أمّا المناولة المجردة قد يجوز الرواية بها عند أكثر محدّثين.⁵

4-3-5 المكاتب:

وذلك بأن يعدّ الشيخ بنفسه نسخة من كتابه أو مروياته، أو يأمر شخصا ثقة غيره بأن ينسخ نسخة منه.⁶ سواء لمن حضر عنده أو لمن غاب عنه ويرسله إليه، ويكفي أن يعرف المكتوب له خطّ الشيخ الشيخ أو خطّ الكاتب عن الشيخ.⁷ وهي قسمان: إمّا أن تقترن الكتابة بالإجازة، فيكتب إليه الأحاديث

* ولد أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة في مدينة إشبيلية عام 502هـ، وتوفي في قرطبة عام 575هـ. يقال عنه "الصادق": إكبان حافظا مقرّئا نحويا لغويا متقنا، أدبيا واسع المعرفة، كتب وأقرأ كثيرا بإشبيلية وقرطبة، وخطب بجامعها وأمّ به: يوسف إلبان سرقيس، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة. مصر: مطبعة سرقيس، 1928. مج. 1. ص. 450.

¹ - أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي، المصدر السابق. ص. 15.

² - بشير ضيف بن أبي بكر، مذكّرة في مصطلح علم الحديث. ط. 2. [د. م.] ديوان المطبوعات الجامعية، 1994. ص. 39.

³ - عبد الرحمن رمضان ناصر محدّد، المرجع السابق. ص. 197-198.

⁴ - ابن كثير، المصدر السابق. ص. 115.

⁵ - عبد الرحمن رمضان ناصر محدّد، المرجع السابق. ص. 198.

⁶ - فؤاد سزكين، المصدر السابق. ص. 231.

⁷ - ابن كثير، المصدر السابق. ص. 116.

ثم يذكر له إجازته بها.¹ كأن يكتب إليه: أجزت له ما... العبارات، وهذه في الصحة والقوة كالمناولة المقرونة بالإجازة.² وإما أن يكتب إليه من غير إجازة، وقد منع الرواية بها قوم منهم القاضي الماوردي الشافعي، وأجازها كثيرون من المتقدمين والمتأخرين، منهم أيوب السخيتاني ومنصور بن المعتمر والليث بن سعد، وغير واحد من الشافعيين وأصحاب الأصول.⁴ والراوي بالمكاتب يقول: «حدثني» أو «أخبرني» ولكن يقيدها بالمكاتب، لأن إطلاقها يوهم السماع، فيكون بذلك غير صادق في روايته، وإذا شاء قال: «كتب إلي فلان» أو غيرهما من العبارات التي تؤدي المعنى نفسه.⁵

4-3-6- الإعلام:

هو أن يقول الشيخ أن هذا الكتاب روايته أو سمعته من فلان، من غير أن يأذن له في روايته عنه. بحيث أجازها كثير من الفقهاء والأصوليين منهم «ابن جريج» و «ابن الصياغ»⁶. ويقول «القاضي عياض»: أن الرواية بالإعلام هي أرجح من الرواية بالإجازة المجردة عن المناولة، لأن الإعلام شبه مناولة فيها تعيين للمروي والإشارة إليه.⁷

4-3-7- الوصية:

وهي أن يوصي الراوي قبل وفاته أو عند سفره لشخص آخر حق رواية كتابه أو كتبه.⁸ وهذا النوع من الرواية نادر الوقوع، وتصح الرواية به إن وقع، لأنه نوع من الإجازة، لأنه إجازة من الموصي له برواية شيء معين مع إعطائه إيّاه.⁹

4-3-8- الوجداء:

هي أن يجد الشخص أحاديث بخط راويها، سواء لقيه أو سمع منه، أم لم يلقه، و لم يسمع منه، أو أن يجد أحاديث في كتب المؤلفين معروفين، وفي هذا لا يجوز له أن يرويها عن أصحابها¹⁰، بل يقدم لهذا بإحدى العبارات: «وجدت، قال...» أو نحو ذلك من الألفاظ التي تؤدي المعنى نفسه¹¹.

¹ - محمد عجاج الخطيب، المرجع السابق. ص. 211.

² - الحسين بن عبد الله الطيبي، الخلاصة في أصول الحديث. بيروت: عالم الكتاب، 1985. ص. 109.

³ - محمد عجاج الخطيب، المرجع السابق. ص. 211.

⁴ - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المصدر السابق. ص. 348.

⁵ - ابن كثير، المصدر السابق. ص. 116.

⁶ - أحمد بن محمد القسطلاني، السعي الحثيث إلى جمع فوائد علم الحديث. تق. بشير ضيف بن أبي بكر. الجزائر: تيان المطبوعات الجامعية، 1994. ص. 53.

⁷ - ابن كثير، المصدر السابق. ص. 117.

⁸ - محمد حسين الذهبي، عناية المسلمين بالسنة و مدخل لعلوم الحديث. [د. م.]: دار مرجان للطباعة، [د. ت.]. ص. 31.

⁹ - ابن كثير، المصدر السابق. ص. 117.

¹⁰ - ابن كثير، المصدر السابق. ص. 119.

¹¹ - فؤاد سزكين، المصدر السابق. ص. 231.

وفي مسند* الإمام "أحمد بن حنبل" أحاديث كثير
بخطّ أبي في كتابه» ثم يسوق الحديث.¹

ومن الذين اتّبِعُوا هذا النوع من الرواية "ابن أبي أصيبعة"، الذي استشهد في أكثر من موضع في
مصنّفه: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» أنّه يروي من كتب السّابقين بالوجادة. فيقول: «ووجدت
صاعد بن بشر قد ذكر في مقالته كذا وكذا...».

وبعد فهذه الطرق الثمانية سلكها المحدثون لرواية حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وانتهج
مؤلّفوا كتب العلوم الأخرى المنوال نفسه لكي تكون لديهم منهجية علميّة واضحة و دقيقة مفادها
الوصول إلى الحقيقة، ونقلها إلى الأجيال بكلّ دقّة، مكوّنين في ذلك اتّصالاً علميّاً منهجياً وحضاريّاً
متواصلًا. فلم ينحصر مجال الإجازة والرواية في الأحاديث النبويّة، بل شمل سائر الكتب في مختلف العلوم
العلميّة، ويظهر هذا جليّاً من خلال حرص الطلبة على ربط أسانيدهم إلى شيوخهم.²

* هو أعظم دواوين السنّة، فيه أحاديث صحاح كثيرة.

¹ - ابن كثير، المصدر السابق. ص. 119.

² - حامد الشافعي دياب، «فهارس وإِرامج الشّيوخ و دورها في الطّباط الببليو غرافي للإنتاج الفكري في الأندلس». مجلّة دراسات عربيّة في المكتبات
والمعلومات. القاهرة: دار غريب. س. 3. ع. 3، سبتمبر، 1997. ص. 76.

5- أهمية الإسناد:

5-1- الأقوال الواردة في ذلك:

لقد ذكرنا آنفاً أنّ من الأمور التي امتازت بها الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم. استعمال الإسناد في رواية الحديث النبوي الشريف، بل والتاريخ الإسلامي بأكمله لمعرفة صحيح الخبر من سقيمه. فهو خصيصة فاضلة لها. ولعلّ قول "ابن حزم" في ذلك أبين حينما قال: «نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال*، خصّ الله به المسلمين دون سائر الملل، وأمّا مع الإرسال* والإعصال* فيوجد في كثير من اليهود، ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد صلى الله عليه وسلم، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرا ونحوه».

حيث بدأ الإسناد في الحديث النبوي الشريف في النصف الأول من القرن الأول الهجري.¹ وتعود الحاجة إلى وضعه نتيجة ازدياد الدسّ على السنّة عصرا بعد عصر، وذلك بعدما وقعت الفتنة، وقام اليهودي "عبد الله بن سبأ" بدعوته الآثمة التي بناها على فكرة التشيع القائمة على فكرة ألوهية علي رضي الله عنه، عندئذ تفتّظ علماء الصحابة والتابعين، وبدأوا يتحرّون في نقل الأحاديث، ولا يقبلون منها إلّا بعد معرفة طريقها وروايتها، واطمأنوا إلى ثقتهم وعدالتهم.

ويرجع الفضل إلى إرساء قواعد الإسناد إلى "أبي بكر الزهري" (ت 125هـ / 742م) باعتباره أوّل دوّن الحديث وبحث عن سلاسل إسناده.²

حيث يقول "ابن سيرين" * فيما يرويه عنه الإمام مسلم في مقدّمة صحيحه: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلمّا وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنّة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم». وأخذ التابعون في المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب، ويقول "أبو العالية": «كنا نسمع الحديث من الصحابة فلا نرض حتى نركب إليهم فنسمعه منهم».³

* الإتصال نسبة إلى نوع من أنواع الحديث. والذي ذكره وفصل فيه "ابن الصلاح" في مقدّمته المشهورة، بحيث صنفه في النوع الخامس من مجمل الأنواع الأخرى. «ويقال له أيضا الموصول، وهو الذي اتصل إسنادُه، فيكون كلّ واحد من رواته قد سمعه ممّن فوقه حتّى ينتهي إلى منتهاه». ابن الصلاح، مقدّمة ابن الصلاح في علوم الحديث. تع. مصطفى ديب البغا. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، [د.س]. ص. 26.

* هو الذي أضافه التابعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن هذا التابعي قد لقي الرسول صلى الله عليه وسلم، وحكيه أنّه من أقسام الحديث الضعيف: (www.ar.wikipedia.org) (page consultée le 27-08-2007)

* وهو عبارة عمّا سقط من إسناده اثنان فصاعدا. ومثاله ما يرويه تابعي التابعين قائلا فيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك ما يرويه من دون تابعي التابعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن أبي بكر وعمر وغيرهما: مقدّمة ابن الصلاح، المصدر السابق. ص. 34-35.

¹ - محمّد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في الجرح والتعديل. ط. 4 (مع إضافات مهمة). المملكة العربية السعودية: مكتبة الغرباء الأثرية، 1999. ص. 11.

² - فؤاد سزكين، المصدر السابق. ص. 228.

³ - مصطفى السباعي، المرجع السابق. ص. 90-91.

أي أن الإسناد له أهمية كبرى تجلّت في اعتناء

لخطورة الانتقاص من قيمته¹، لكونه السبيل الوحيد لمعرفة درجة صحّة الحديث من عدمه، وهناك طائفة من أقوال العلماء في أهمية الإسناد، منها ما قاله "يحيى بن سعيد" في أنّه سمع "شعبة" يقول: «إنّما نعلم صحّة الحديث بصحّة الإسناد». وأخرج أيضا بإسناده عن "الأوزاعي" قال: «ما ذهب العلم إلّا ذهاب الإسناد».

وقال "ابن المبارك"² « بعيد الإسناد أحبّ إليّ إذا كانوا ثقات، لأنّهم قد تربّصوا به، وحديث بعيد الإسناد صحيح خير من قريب الإسناد سقيم»³. إذ أنّ صحّة الإسناد تقاس بمدى ثقة رواّته وهنا تكمن أهمية علم الجرح والتعديل -بغضّ النظر عن قرب الإسناد أو بعده-.

وقال أيضا: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»⁴.

إلى غير ذلك من النصوص التي يطول استيعابها الموضوع والتي تحتّ على نقل النصوص الشرعيّة مسندة، لأنّ ذلك يوفر لها عناصر التوثيق العلمي -التي ما أحوج علماءنا إلى انتهاجها- بحيث انعكس هذا المنهج على معظم العلوم والفنون المجاورة، فقلّدهم في ذلك علماء في ميادين أخرى لرسم هدف واحد ألا وهو توثيق الأخبار بإسنادها وإسناد الكتب والمصنّفات، وذلك بنسبتها إلى قائلها⁵.

5-2- دوره في تشكّل العلوم عند المسلمين:

ومن هنا يمكن القول أنّ ما قيل عن أهمية الإسناد يعتبر إطارا عامّا، أو بتعبير آخر - تأييد شكلي وإثبات عن حقيقة صامته -. هذا ما دفعني لإثراء ما تمّ ذكره في هذه النقطة بإلقاء الضوء على أنّ ماهيّة العلوم وتشكّلها عند المسلمين كانت انطلاقا من عناية محدّثين بالحديث وجمعه، وما يتحلّى به هؤلاء من ضبط وتدقيق للخبر، ولن يتأتّى ذلك إلّا عن طريق منهج الإسناد والقواعد التي بني عليها.

إذ يعتبر الإسناد في المنهج الإسلامي - العمود الفقري للخبر- فهو الوسيلة لنقد الأخبار، إذ بمعرفة الثّقلة يعرف قيمة الخبر، والروايات المسندة، لأنّ فيها ما يدلّ على أصلها ويمكن التحكّم في نقدها وفحصها، وهكذا يبقى الهدف من السند هو تصحيح النصوص والأخبار من الأخطاء، ومحاربة الوضع

¹ - محمّد ضياء الرحمن الأعظمي، المرجع السابق، ص. 13.

² - IBN-ALKQUAIM «l'importance de l'isnad en science du hadith» www.islamie.com (Page consultée le 02-12-2007)

* هو أبو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التركي، ولد سنة 118 هـ - 736 م، قضى حياته في طلب العلم فأكثر الثّرحال وأخذ عن لقيهم من الشّابّين، كان جامعا للحديث و الفقه و العربية و آئم الناس و غيرها من خصال الخير. توفي سنة 181 هـ - 797 م مخلفا عدة مصنّفات منها: الزهد، الرّقائق، الجهاد... الموسوعة العربية العالميّة. المصدر السابق. مج. 22. ص. 206.

³ - محمّد ضياء الرحمن الأعظمي، المرجع السابق، ص. 14.

⁴ - محمّد جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث. بيروت: دار الكتب العلميّة، [د.ت]. ص. 201.

⁵ - إدريس الخرشافي، «الإسناد في الثقافة الإسلاميّة: مظهر تميّز وضرورة علميّة». مجلّة كليّة الشريعة. المملكة المغربية: جامعة القرويين. ع. 20، 1995. ص. 56.

والكذب فيها «فالأخبار إذا تعرّت عن وجود الأس

ولأهمية الإسناد فإن استعماله لم يعد قاصراً على توظيفه في الحديث النبوي الشريف كما سبق وأن ذكرنا، وإنما شاع استعماله في علوم أخرى كال تفسير والأدب والأخبار بصفة عامة حتى صار يمثل الصفة الغالبة على منهج تدوين العلوم الإسلامية المختلفة. ذا ما رآه وأكد عليه الدكتور "محمد أمحزون" في مقالة له تحت عنوان "منهج التوثيق وإثبات الحقائق في دراسة التاريخ الإسلامي" المقتبسة من كتابه «تحقيق مواقف الصحابة في الفتن من روايات الطبري والمحدثين»¹.

فمن خلال هذا المنطلق نوجز حديثنا عن بدايات التدوين وتشكل العلوم وتبلورها كعلم قائم بذاته من خلال هذه الالتفاتة.

5- 2- 1- علم التفسير:

فعلم التفسير* أول العلوم القرآنية نشأة. فقد صاحبت نشأته نزول القرآن الكريم وواكبت الوحي². ومن هنا لا يختلف كثيراً عن الحديث من حيث النشوء، حيث أن كتابة التفسير قد بدأت عصر الصحابة وتابعيهم³. حتى وصلت إلى خلق المصنّفات الهائلة التي عني بها العلماء وحذوا من خلالها طريق أوائل المصنّفين فيها.

وبما أن العلوم تتميز أهميتها بشرف موضوعها فإن التفسير حاز على هذا الشرط لأن موضوعه القرآن الكريم -المصدر الأول للتشريع الإسلامي- وهو كلام الله تعالى المتزّه عن الخطأ وفي هذا يقول "الأصفهاني" بأنه «أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان»⁴.

ومما لا شك فيه أن تفسير القرآن الكريم ليس بالأمر اليسير، لأن القطع في الحكم على كلام الله أمر يحتاج إلى معرفة كلّ ما أثر عنه صلوات الله وسلامه عليه⁵.

ولخطورة هذا الأمر كان الصحابة إذا أشكل عليهم معنى من معاني القرآن الكريم، لجأوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوضّحه لهم ويبيّنه. كما قال الله تعالى: «وأنزلنا عليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكّرون»*. وإذا لم يتيسّر لهم أخذه عنه صلى الله عليه وسلم، رجعوا في ذلك إلى اجتهادهم وأعمال رأيهم لأنهم عاشوا فترة نزول الوحي مع النبي فعرفوا بذلك أسباب النزول، وأدركوا

¹ - محمد أمحزون «منهج التوثيق وإثبات الحقائق في دراسة التاريخ الإسلامي» (page consultée le 25- 09- 2007) www.fustat.com

* التفسير: لغة يعني الإيضاح والتبيين: الموسوعة العربية العالمية، مج. 7. ص. 55.

أما اصطلاحاً: فهو المبين لألفاظ القرآن الكريم ومفاهيمها: محمد علي الفاروقي، التهانوي. المصدر السابق. ص. 34.

² - محي الدين بلتاجي، دراسات في التفسير وأصوله. بيروت: مطابع دار مكتبة الهلال، 1987. ص. 14.

³ - ناصر الدين الأسد، المصدر السابق. ص. 146.

⁴ - محمد حسين علي الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم: دراسة مقارنة. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1983. ص. 25.

⁵ - محي الدين بلتاجي، المرجع السابق. ص. 12.

* سورة النحل. الآية: 44.

ما أحاط بالقران من ظروف وملابسات تعين على فهم

ذلك تبعاً لمقدار سماعهم التفسير من رسول الله ولقدار ما شاهدوا من أسباب النزول وغيرها من المؤهلات. حيث قال "السيوطي" في "الإتقان في علوم القرآن": «لقد اشتهر بالتفسير من الصحابة الخلفاء الأربعة، ابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب زيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير». أما في عهد التابعين انقسمت جماعة المفسرين إلى ثلاث مدارس:

- الأولى: مفسروا مكة المكرمة وهم تلاميذ عبد الله بن عباس.

- الثانية: مفسروا الكوفة وهم تلاميذ عبد الله بن مسعود.

- الثالثة: مفسروا المدينة وهم أصحاب زيد بن أسلم العدوي¹.

وتمن كتب في هذا العصر "سعيد بن جبير" الذي أرسل "عبد الملك بن مروان" أن يكتب إليه التفسير، فكتب "سعيد بن جبير" إليه بتفسيره؛ فحفظه "عبد الملك" عنده في الديوان*، حيث سمعه منه غيره وكتبه عنه².

أما في عصر تابعي التابعين فقد اتجهت الهمم إلى جمع ما أثر من التفسير عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن صحابته وعن التابعين وأشهره "مقاتل بن سليمان" المتوفى منتصف القرن الثاني (150هـ/729م)، و"شعبة بن الحجاج" المتوفى سنة (161هـ/740م) وغيرهم مما يطول ذكره³.

من خلال هذه العجالة نجد أن علم الحديث كان له الأثر البالغ في نمو علم التفسير وبزوجه كعلم قائم بذاته، له أصول كما سنّ العلماء من أجله شروط لكل من يباشره كشروط الراوي في الحديث. وأحسن ما قيل في هذا ما سجله "ابن جرير الطبري" في مقدمة تفسيره جامع البيان حيث يقول: «اعلم أن من شرطه - أي المفسر - صحة الاعتقاد ولزوم سنة الدين...» ويواصل حديثه في شرح لما يحمله هذان الشرطان من صحة المقصد وسلامة المعتقد وصدق النية، بعيداً عن هوى من صدّ عن اتباع ما سطره الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام⁴.

¹ - عبد الله شحاتة، علوم التفسير. القاهرة: مكتبة نهضة الشروق، 1986. ص. 14-16.

* الديوان: ج. دواوين، وفعله دَوَّن بمعنى جمع، ويقصد به مجموع الصحف:

المنجد في اللغة والأعلام. ط. 17. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1970. ص. 230. وقال "القلقشندي" كلمة الديوان اختلفت في أصلها، فذهب قوم أنه عربي، فقال "النحاس" «والمعروف في لغة العرب أن الديوان الأصل الذي يرجع إليه ويعمل بما فيه»: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، المصدر السابق. مج. 05. ص. 89.

² - ناصر الدين الأسد، المرجع السابق. ص. 148.

³ - عبد الله شحاتة، المرجع السابق. ص. 17.

⁴ - محي الدين بلتاجي، المرجع السابق. ص. 12-13.

كما أنّ هناك شروط تتعلّق بما يجب أن يجيده الم

السبيل الشريف كعلوم اللّغة، علم التصريف، وعلم أصول الفقه¹. وغيرها من العلوم التي تتحد في مجملها لتكوّن لنا ذلك المفسّر الذي ينفي عن هذا الموروث خبثه، ويكتفي بالصحيح منه.

كما تجدر الإشارة هنا إلى أنّ المفسّرين كانوا يعتمدون أيضا على مادّة الشعر الجاهلي في تفسير ألفاظ القرآن الكريم وفهم معانيه. إذ يقول عمر بن الخطّاب في ذلك: «عليكم بديوانكم لا تضلّوا. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهليّة، فإنّ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم»²، كما كان ابن عبّاس حريصا على هذه المادّة الغنيّة بحثّ الناس على تعلّمه وطلبه لتفسير القرآن وما قاله في ذلك: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنّ الشعر ديوان العرب»³.

6- 2- 2- علم اللغة والأدب:

إذا حاولنا معرفة ما تكونه العلاقة الموجودة بين علم التفسير وعلم اللّغة عند العرب والمسلمين نجد حتما أنّها علاقة تكاملية، عن طريقها يتمّ تبادل المنفعة.

ومن البديهي أنّ تفسير القرآن الكريم إنّما يأتي بلغته المتزلّ بها، لكي يتقارب اللفظ بالمعنى الذي خلق له. ولن يتأتّى ذلك إلّا بوجود أداة تعبّر عن مجموع الألفاظ التي تتقوّم بها المعاني. ومن هنا نجد أنّ علم التفسير يحتاج إلى علم اللّغة؛ هذا من جهة، أمّا من جهة أخرى فإنّ نزول القرآن الكريم بالعربيّة الفصحى أهمّ حدث في نشأة وتطوّر شعب علوم الأدب المختلفة*. وكان له الفضل في توحيد لهجاتها في لغة فصيحة واحدة قائمة في الأساس على لهجة قريش، كما أضاف لمعجمها ألفاظا كثيرة؛ وأضاف لألفاظ أخرى دلالات جديدة، كما كان له الفضل في ارتقاء بلاغة التراكيب العربيّة، ولا شك أنّ هذا التطوّر يخدم بشكل كبير القرآن الكريم وحفظه من الالتباس وما ينعكس عنه من تزييف. فبعدما ظلّت العربيّة تكتب غير معجمة (غير منطوقة) وغير مشكولة بالحركات والسّكنات حتّى منتصف القرن الأوّل الهجري، ونتيجة لدخول أهل الأمصار إلى الإسلام واختلاط العرب بهم ظهر ما يعرف باللّحن على الألسنة، حينئذ توصل "أبو الأسود الدؤلي" إلى طريقة لضبط كلمات المصحف خوفا أن يتطرّق هذا اللّحن

¹ - لمعرفة دور هذه العلوم في علم التفسير ارجع إلى الموسوعة العربيّة العالميّة. مج. 7. المصدر السابق. ص. 26-63.

² - ناصر الدين الأسد، المرجع السابق. ص. 152-153.

³ - طاش كبري زادة، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. تج. كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور. [د.م.]: دار الكتب الحديثة، 1968. ج. 2. ص. 14.

* قال الرعيني الأندلسي - من علماء المائة الثامنة - أنّ النحو والصرف ومسائل اللّغة شعب من علوم الأدب، ويقول في ذلك: « علوم الأدب ستّة: اللّغة والنحو والصرف والمعاني والبديع»: صبحي الصالح، المرجع السابق. ص. 322.

وكان العرب بذلك سبّاقين في التصنيف في علوم اللّغة بحيث يرجع ذلك إلى أواخر القرن الأوّل الهجري (السابع للميلاد). ومن أبرز اللّغويين العرب "الخليل بن أحمد الفراهدي" الذي صنّف كتاب "العين"، وكتاب "الجم" لـ "أبي عمرو الشيباني" وغيرهما: الموسوعة العربيّة العالميّة. المصدر السابق. مج. 21. ص. 138.

Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features

على القرآن الكريم. فوضع بذلك نقطة بلون مخالف من ا.

للدلالة على الكسرة، ونقطة عن شماله للدلالة على الضمة، ونقطتين فوقه أو تحته أو عن شماله للدلالة على التنوين، تاركا الحرف الساكن خاليا من التّقط. إلى أن جاء "الخليل بن أحمد" بطريقة أخرى فجعل للفتحة ألفا صغيرة مضطجعة فوق الحرف، وللکسرة ياء صغيرة تحته، وللضمة واوا صغيرة فوقه، بتكرار الحرف الصغير في حالة التنوين، ثم تطوّرت هذه الطريقة إلى ما هو شائع الآن¹.

فلو اكتفين بهذا التلميح فقط يتّضح لنا أنّ وعي الأدباء واللّغويين لضرورة تقعيد اللغة بقواعد تحكم مبناها ومعناها أمر في غاية الأهمية للدّفاع عن إعجاز القرآن العلمي. وحجّة في وجه كلّ من يريد الانتقاص من شأن سيرورة الحضارة الإسلاميّة بأكملها. وتشكّل العلوم بها. وهذا ما ذهب إليه الدكتور "رشاد سالم" في مقالة له تحت عنوان "القرآن والدين والعربيّة" بإشراف مركز الخليج للدراسات، وتأييده لقول "السيوطي": «القرآن معجز العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلّا علامّ الغيوب»².

هذا جانب أو فرع من فروع تكوّن الملكة اللّغويّة عند العرب والتحكّم فيها. أمّا الشعر أو كلّ ما هو منظوم له الحظّ الوفير في ذلك. كونه ميزة اتّسم بها الشعراء الجاهليّون الذين لم يدركوا الإسلام، أو المخضرمون الذين أدركوا الجاهليّة والإسلام بالإضافة إلى الشعراء الذين لم يدركوا من الجاهليّة شيئا. فانطلاقا إلى ما توحى إليه هذه العبارات من أنّ الشعر كان متناولا منذ العصر الجاهلي؛ فكيف تمّ تناقله؟. لعلّ ما يسرّ لهؤلاء الشعراء بنقل ما عبّرت عنه قريحتهم هو "الإسناد" الذي تأثّر به كلّ من دفعته فطرته، وحسبهم في ذلك أنّه الوسيلة الوحيدة في الحفاظ عليه من الضياع. إلى جانب ذلك فهناك من الصحابة من أشار إلى أخذ الشعر وتلقّيه عن بعض الشعراء قبل الإسلام، فهذا هو ذا "عمر بن الخطّاب" يقول لـ "فراة بن زيد اللّيثي"، وقد تمثّل بشعر لأخيه: «هذا شعر أخيك "قسامة بن زيد" هو أنشدنيّه وعنه أخذته». أليس هذا دليلا على إسناد الجاهليّين أخبار الشعراء نتيجة تأثّرهم بطريقة المحدثين في إسناد الروايات³.

ولولا هذا السبيل لما وصلنا من شعر الأوّلين إلّا النّزر القليل. الذي يعتبر وفي كثير من الأحيان شاهدا لما يقال من أخبار. ولهذا استخدم مصطلح "الإنشاد" مقابل السّماع في الرواية، كأن يقول أحد أنشدني فلان، وهذا ما نجده واضحا مثلا في قول "الحميدي" أنّه قد رأى الأديب الشاعر "أبو محمد بن

¹ - المصدر نفسه. ص. 133-134.

² - رشاد سالم «القرآن والدين والعربيّة» (page consultée le 10- 10- 2007) www.alkhaleej.ae

³ - صبحي الصالح، المرجع السابق. ص. 322-323.

قليل السّجاني" الذي ألف كتاب "القوافي" ويصرّح بذلك
الرياض أبياتا¹.

وزبدة لقول أن نزول القرآن الكريم باللغة العربيّة، له أعظم الأثر في توطيد هذه اللّغة، وتقوية سلطتها على الألسنة، وتهذيبها وتنقيحها واتّساع أغراضها التعبيريّة، فنون القول فيها، ويبدوا ذلك في تنوّع المعاني والأخيلة والأساليب والألفاظ، إضافة إلى ما حفظه لنا من نصوص ولهجات العرب التي لا يرقى شكّ إلى فصاحتها، وسلامة ألفاظها لغة وأداء، وذلك في القراءات القرآنية التي تمثّل منهجا في النّقل السليم الذي استبغ به نقل الحديث وتواتره ضمن سلاسل الإسناد التي تطول وتقصّر.

7- 2-3- علم الأخبار:

ما هو مصدر للخبر مهما كان نوعه علم يعنى بتقييدات العلماء والمؤرّخين الأوائل إن صحّ التعبير. الذي عن طريقهم تأسّس كل من علم (السير والمغازي، علم الأنساب وعلم التاريخ) لأنّهم اهتمّوا بجمع الروايات التاريخيّة وتدوينها المتصلة بأخبار الماضين؛ أخبار العرب في الجاهليّة؛ وكذا حوادث الإسلام. ولذا أطلق عليها المسلمون كلمة **الأخبار** وعلى المختص بها كلمة **الإخباري**. وكلّها علوم متشابكة تخدم التاريخ بصفة عامّة. ولذا كان فضل علم الأخبار أكبر ممّا كنّا نتصوّر. وقول أبي الحسن علي بن الحسين جامع جازم في ذلك حينما قال: «لولا تقييد العلماء خواطرمهم بالأخبار، وكتبهم للآثار، لبطل أول العلم، وضاع آخره، إن كان كلّ علم من الأخبار يستخرج، وكلّ حكمة منها تستنبط، والفصاحة منها تستفاد، وأصحاب القياس عليها يبنون، وأهل المقالات بها يحتجّون، ومعرفة النّاس منها تؤخذ، وأمثال الحكماء فيها توجد، ومكارم الأخلاق ومعاليها منها تقتبس... فكلّ غريبة بها تعرف، وكلّ عجيبة منها تستطرف...»².

5- 2-3-1- علم السير والمغازي:

يعتبر الحديث دافعا أساسيا لعناية المسلمين بالتاريخ. هذا ما دفعهم على جمعه وترتيبه للإستعانة به على تفسير القرآن الكريم. إذ يعدّ الركيزة الثانية بعده للتشريع الإسلامي؛ الأمر الذي يعطي السّنة هذه الأهميّة التي بلغتها عند المسلمين، فكانت العناية بها الأساس الذي قامت عليه فيما بعد السيرة والمغازي. إنّ بداية التدوين التاريخي عند العرب والمسلمين يمكن تلمّسه في سيرته صلى الله عليه وسلم. فعلم التاريخ إذن مدين بظهوره وروايته وتدوينه لتلك السيرة العطرة. إذ لم تقتصر أهمّيّتها عند هذا الحدّ بل

¹ - الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر، المصدر السابق، ص. 619.

² - أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1991، ج. 1، ص. 57.

امتدّت إلى أن أصبحت مادّة من مواد المفسّر، يلجأ إلى
والحوادث المتّصلة بها¹. ومن هنا يتولّد نوع من التشابك المنطقي في مجال التدوين التاريخي عند العرب.
هذا بالإضافة إلى أن جهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته كانت مثار إعجاب المسلمين
وانبهارهم وكذا انتصاراته التي تختلط فيها المعجزة الإلهيّة بالعبريّة البشريّة لقيادته، صارت من أحبّ
المواضيع التي كانت تطرح في مجال السمر عند المسلمين.

وتجدر الإشارة إلى أن مؤرّخي الإيلام الأوّل أوّل ما تناولوه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وما
يتّصل بها من أخبار غزواته، مستندين في ذلك إلى الأحاديث التي رواها الصحابة عنه. وفي هذا كانت
السير والمغازي مندجّة بادئ الأمر في الحديث ثمّ استقلّت عنه². ولما كان ثبوتها بالأحاديث والآثار دجّت
كفرع من فروع الحديث³. غير أنّها لم تلبث أن انفصلت دراستها وأبوابها عن الحديث، حيث ألّفت فيها
الكتب الخاصّة بها، ومع ذلك ظلّ المحدثون يحتفظون بباب "المغازي والسير" في كتب الصحاح الستّة
المشهورة، ففي البخاري (ت: 256هـ / 835م) كتاب المغازي، وفي مسلم (ت: 261هـ / 840م)
كتاب الجهاد والسير⁴.

إنّ استقرار حركة التأليف في السيرة والمغازي يكشف عن وجود ثلاث طبقات من المؤلّفين في هذا
الحقل:

● الطبقة الأولى: مثل هذه الطبقة ثلاثة من أبناء الصحابة، الذين عنوا عناية كبيرة بالحديث والمغازي،
مشكّلين بذلك نواة مدرسة المدينة التي عنيت بالحديث والمغازي وهم:

- عروة بن الزبير: (ت. 92هـ / 671م)، فقد مكّنه نسبه ومكانته الاجتماعيّة في الحصول على الكثير
من الأخبار والأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصادرها الأوليّة. ممّا جعل البلاط الأموي
يوجّه إليه بعض الأسئلة التي تتعلّق بجوانب من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد كان عبد الملك بن
مروان يرسل إليه يسأله عن بعض الحوادث التاريخيّة، فكتب إليه يسأله مرّة عن هجرة الحبشة، ومرّة أخرى
عن وقعة بدر وخروج أبي سفيان، ومرّة ثالثة عن خالد بن الوليد وفتح مكّة. وكان عروة في كلّ مرّة
يكتب إلى عبد الملك مجيباً له عمّا يسأله. فكان ممّا كتبه مثل: «أمّا بعد، فإنّك كتبت إليّ في أب سفيان
وخرجه تسألني كيف كان شأنه؟ كان شأنه أنّ أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام في قريب من سبعين

¹ - ناصر الدين الأسد، المرجع السابق، ص. 149.

² - أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان. تج. تق. عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع. بيروت: دار النشر للجامعيّين، 1957. ص. 1.

³ - صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم. بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002. ص. 520.

⁴ - عمر عبيد حسنة «المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب» (page consultée le 10-09-2007) www.3ilm.com

راكبا، من قبائل قريش كلّها، كانوا تجّاراً بالشام. فأقبلوا

صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك فقتلت قتلى...¹. فقد استعمل عروة "الإسناد" معتمداً في إجاباته التي قدّمها بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يعني أنّه قدّم رواية (قصة) متسلسلة دون ذكر الإسناد. متحرّياً في إعطاء إسناده في رواياته عن الحوادث المهمّة مثل بدء الوحي والهجرة، في أنّ النظرة إلى الإسناد في زمنه لا تزال مرنة ولم تكن القواعد الدقيقة للإسناد قد ظهرت بعد.²

- أبان بن عثمان بن عفان: (ت. 105هـ / 684م)، محدّث له ميل إلى دراسة المغازي، إذ يبدو أنّه يمثّل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي³. إذ روى عن أبيه عثمان، وزيد بن ثابت، وأسماء بن زيد رضي الله عنهم. وكان محلّ ثقة في الحديث كما قال عنه "عمر عبيد حسنة" في كتابه المدرج ضمن سلسلة كتب الأئمة المذكور سابقاً.

- شراحيل بن سعد: (ت. 123هـ / 702م)، الذي يعدّ من معاصري عروة، ويلاحظ على رواياته، اهتمام بتقديم وتقديم قوائم الصحابة الذين شاركوا في معركة بدر وأحد وأسماء الذين هاجروا إلى الحبشة والمدينة.

وقد شارك هؤلاء الثلاثة انهمامهم بالسيرة والمغازي رجل لم يكن من أهل المدينة بل من اليمن وهو "وهب بن منبه" (ت 110هـ / 689م)* ذو الأصل الفارسي، إذ قيل أنّه كان يهودياً وأسلم، وينسبون إليه معظم الإسرائيليات الواردة في المصادر العربيّة⁴. هذا لم يمنع من أنّه ألّف في المغازي، فقد وجد "بيكر" (C.N. Becker) بين مجموعة أوراق بردي (shoft.reinhurdt) المحفوظة في "هيلدبرج"، مجلداً يحوي قطعة من كتب المغازي لوهب بن منبه، وتاريخ نسخ هذه القطعة يرجع إلى سنة (228هـ / 807م) أي القرن الثالث الهجري⁵. وقد ركّز "وهب" اهتمامه على أخبار اليمن في الجاهليّة ومن الكتب المنسوبة إليهم "الملوك المتوجّه من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم"⁶.

فكما سبق وأن بيّنا أنّ "وهب بن منبه" اعتنى بالكثير من الإسرائيليات - وهي قصص وأساطير عن العهد القديم - أراد بها توضيح بعض الإشارات القرآنية وهو بهذا استطاع أن يدخل عنصر القصص إلى

¹ - ناصر الدين الأسد، المرجع السابق. ص. 149.

² - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق. ص. 21.

³ - المرجع نفسه. ص. 20-22.

* كما ذكر ذلك عبد العزيز الدوري في كتابه: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب.

⁴ - عباس سليمان، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب. حسان حلاق. [د.م.]: دار المعرفة الجامعية، 1998. ص. 249.

⁵ - ناصر الدين الأسد، المرجع السابق. ص. 150. حيث ربط تاريخ نسخ هذه القطعة بأنّها كانت بعد وفاة "وهب" بنحو قرن واحد، أي أنّ "وهب" توفي سنة 128هـ. ومن هنا نجد أنّ هناك اختلاف في سنة وفاته إذا ما قورنت بما ذكره عبد العزيز الدوري.

⁶ - عباس سليمان، المرجع السابق. ص. 249.

الدراسات الإسلامية. وقد جمع "وهب" من هذه القصص

"كعب الأخبار" (ت 34هـ / 582م)، و"عبد الله بن سلام" (ت حوالي سنة 40هـ / 99م)، مضيفا إليها ما حصل عليه من القصص نتيجة اتصالاته بأهل الكتاب ومن قراءته للكتب المقدسة¹.

وتجدر الإشارة إلى أنّ "وهب بن منبه" كان يتقن عددا من اللغات القديمة ومنها السريانية والحميرية واليونانية والعبرية. هذا ما أكدّه "المسعودي" في الجزء الثالث من مؤلفه "مروج الذهب" على «إتقان وهب للغات القديمة وحلّ الرموز من أيام سليمان بن داود»².

كما ينسب إلى "وهب" كتاب "المبتدأ" الذي يعدّ أول محاولة لكتابة تاريخ للرّسالات، الذي يتحدث فيه عن بدء الخليقة وتاريخ العهد القديم ثمّ إلى الأنبياء الذين ذكرهم القرآن مثل هود وصالح بل وحتى إلى بعض الصالحين مثل لقمان وأهل الكهف³.

هذا الاتجاه وجد صدقاً قوياً عند المؤرّخين العرب كابن قتيبة الذي اعتمد عليه في كتابه "المعارف" والطبري في كتابه "تاريخ الرسل والملوك" والمقدسي في كتاب "البدء والتاريخ"... وغيرها⁴.

● الطبقة الثانية: ثمّ جاءت الطبقة الثانية التي اهتمت كسابقتها في هذا الميدان وأشهر علماءها:

- عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري (ت 135هـ / 714م) الذي ينتمي إلى أسرة عريقة في الإسلام. فجده الأعلى عمرو بن حزم من كبار الصحابة. اعتنى بالحديث وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد نقلت عنه روايات ذكرها ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والطبري، روى أخباراً تتعلق بالرّدة وأخرى تتعلق بالفتنة، ممّا يظهر اهتمامه المبكّر بالأحداث التي مرّ بها الأمّة، مستخدماً في روايته منهج الإسناد، كما جمع قائمة بغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم مرتّبة على السنين.

- عاصم بن عمر بن قتادة (ت 120هـ / 699م) مدني من الأنصار، كان جدّه قتادة صحابياً جليلاً. ويعدّ عاصم من الرّواد الذين نالوا ثقة المؤلّفين في التاريخ العربي الإسلامي، فيقول عنه "ابن حجر": «كان راوية للعلم، وله علم بالمغازي»⁵.

- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت 124هـ / 703م) يعدّ أعظمهم على الإطلاق. فبالإضافة إلى البصمات الحميدة التي خلّفها في تدوين الحديث النبوي الشريف وضع خطوط السيرة، مؤسساً للمدرسة التاريخية في المدينة المنورة، فجعل من الحديث مادّة له في السيرة.

¹ - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق. ص. 26.

² - عباس سليمان، المرجع السابق. ص. 250.

³ - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق. ص. 26.

⁴ - عباس سليمان، المرجع السابق. ص. 249.

⁵ - عمر عبيد حسنة «المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب» (page consultée le 10- 09- 2007) www.3ilm.com

Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features

وتبدأ خطته للسيرة بذكر بعض المعلومات عن قب

عليه وسلم، ثم يتناول النواحي الهامة من الفترة المكيّة من حياة الرسول، ثم الهجرة إلى المدينة، ويتناول المغازي وفتح مكة. ويتحدث عن فعاليات أخرى للرسول بما فيها مرضه ووفاته. مراعيًا في ذلك التسلسل التاريخي، ومن هنا اشتهر بقوة إسناده، كما أدخل شيئًا جديدًا ما عرف "بالإسناد الجمعي"، حيث يدمج عددا من الروايات في خبر متسلسل، وبذلك يسير خطوة مهمة نحو الكتابة التاريخية المتصلة¹.

فالإسناد الجمعي جدير بأن يستعمله الزهري الذي سلك منهج المحدثين النقدي الذي يسموا بالدراسات التاريخية إلى سلم مرموق ودرجة عالية للوثوق من صحة الخبر المبني على المقابلة والموازنة.

● الطبقة الثالثة: عاش أصحاب هذه الطبقة في العصر العباسي وهم:

- موسى بن عقبة (ت 141هـ / 720م) أتبع بدقة أسلوب مدرسة المدينة الذي يؤكد على منهج المحدثين المتمثل في الإسناد، كما اهتم بذكر تواريخ الحوادث، مستفيدا من مواد مكتوبة (وخاصة من آثار أستاذه الزهري) بالإضافة إلى الوثائق والروايات الشفوية وبحوثه الخاصة².

وقد عثر على قطعة من مغازيه في المكتبة البروسية ونشرت عام 1904، ومع ذلك فهو لم يقتصر على العناية بالمغازي، فقد أبدى اهتماما بالسيرة النبوية، ونظم موسى قوائم بأسماء المشتركين في بيعتي العقبة الأولى والثانية، وقائمة ضمت من اشترك في معركة بدر³.

- محمد بن إسحاق بن يسار المظلي (ت 151هـ / 730م) لقد ذهب ابن إسحاق أبعد من حدود مدرسة المدينة. سواء أكان ذلك في نظريته التاريخية أم في أسلوبه. فمزج بين أساليب المحدثين والقصص في كتابات، كما استفاد من مختلف نواحي الاهتمام بالمغازي وتواريخ الأنبياء فجمع بين الأحاديث والروايات التاريخية، الإسرائيليات والقصص الشعبي. ومن هنا نجد أن مصادر معلوماته خليطا يجلب الإنتباه⁴. وسيرته في صورتها الأصلية تتألف من ثلاثة أقسام: "المبتدأ" ويتناول التاريخ السابق للإسلام منذ الخليفة، وأكثره مستمد من "وهب بن منبه" و من المراجع الإسرائيلية. و"المبعث" الذي يتناول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السنة الأولى من الهجرة أمّا القسم الثالث فيتناول "المغازي" أو غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه إلى حين وفاته⁵.

¹ - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق. ص. 23-24.

² - المرجع نفسه. ص. 27.

³ - عمر عبيد حسنة «المنظور الحضاري في التكوين التاريخي عند العرب» (page consultée le 10-09-2007) www.3ilm.com

⁴ - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق. ص. 27.

⁵ - هاملتن جب، دراسات في حضارة الإسلام. تر. إحسان عباس، محمد يوسف نجم، محمود زايد. ط. 3. بيروت: دار العلم للملايين، 1979. ص. 148.

فبالرغم ممّا وجه لهذا الكتاب من انتقادات في أنّه

المنحولة كما قال "هاملتن جب" في مؤلّفه "دراسات في حضارة الإسلام". إلا أن خطته في التفكير ومنطلق الغوص فيها كانت متشعّية بما امتاز به الكثير من العلماء قبله من قواعد وأساسيات علم الحديث الخالص.

- محمّد بن عمر الواقدي (ت 207هـ / 897م) تميّز عن صاحبه ابن إسحاق بالدقة في المادة والأسلوب مع ضبط للتواريخ وتقديم إطار أوضح للغزوات ومواقعها الجغرافية. مستعملاً في ذلك طريقة الإسناد الجمعي المنتظم، فألّف في ذلك كتباً تشمل "الردّة" و"صفين" و"الجمّل" وفتوح الشام والعراق و"التاريخ الكبير" الذي يتناول تاريخ الخلفاء حتى سنة (179هـ / 758م - 795هـ / 1374م) على الأقل. أمّا مؤلّفه "كتاب الطبقات" أو تاريخ طبقات المحدثين في الكوفة والبصرة مهمّ لأنّه يبرز أثر دراسة الحديث في كتابة التاريخ ويعتبر حينئذ ملجأ المحدثين في التثبت من الأسانيد.

- محمّد بن سعد بن منيع (ت 230هـ / 809م) إذ ألّف كتابه المشهور "الطبقات الكبرى"، فزادت مادّته تنظيمًا وتبويبًا حين تطرّقه لأخبار النبي وسفاراته في القسم الأوّل منه، متدرّجاً إلى الحديث عن بعض الأنبياء الذين لهم صلة برسالة النبي صلى الله عليه وسلم مع ذكر نسبه، وقد اتّسعت دراسته في الحديث عن شمائل وفضائل ودلائل نبوّته صلى الله عليه وسلم¹.

هؤلاء هم أشهر مؤرّخي السيرة والمغازي. الذين حفظوا بمروياتهم ومدوّناتهم سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ومغازيه التي كان أساس دراستهما الحديث وما أسفر عنه من مناهج وقواعد ارتقت بأعمال المؤلّفين في التاريخ الإسلامي الشامل. فجعلتهم أعلاماً أرّخ لهم التاريخ لكي يحتذى بعلمهم وما اكتسبوه من طابع يقترب إلى الدقّة والتثبت من الحقائق. فالتطبّقات يدلّ على الدّرجات ولعلّ هذا المدلول كان متأسّلاً منذ بداية تدوين الحديث النبوي الشريف والتمييز بين صحيحه وسقيمه عن طريق ألفاظ الجرح والتعديل المذكورة سابقاً. ومن هنا يكمن التأثير الإيجابي للجامعي الأخبار ومدوّنوها على وجه أصح.

5-2-3-2 علم الأنساب:

يعود اهتمام العرب بالأنساب إلى عصور قديمة سبقت ظهور الإسلام. باعتباره شكلاً من أشكال التعبير التاريخي عن حركة الأفراد والقبائل بالرغم من أنّ المعلومات المتعلقة بهذا الجانب عولجت بشكل لم يكن بارزاً على النحو الذي اتّسم به بعد ظهور الإسلام.

¹ - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 32.

فأخذ هذا العلم حظّه من المصدرين (القران

بوجوب الاعتناء بالنسب. إذ جاء في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا*»، ثمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا عليه الصلاة والسلام شجّع المسلمين على تعلّم الأنساب من أجل تواصل الأرحام، إذ قال: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم». فأصبح النسب وسيلة للتعرف بين الناس والجهل به ابتعادا عنهم.

فتخطيط العرب لأنسابهم كان لغرض التضايف والتناصر والمحافظة على وجودهم من خلال العمل والحرص على تنظيمهم الاجتماعي.

فكما ذكرنا أنّ الإسناد هو خصيصة الأمة الإسلامية. فعلم الأنساب يعتبر كذلك حيث قال أبو علي الجبائي: «خصّ الله هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد والأنساب والإعراب¹». فرغبة العرب لتدوين أنسابهم كانت تغذي الشعراء في ميدان الفخر والهجاء، كما أنّ الدولة الإسلامية كانت بحاجة إلى هذا النوع من التدوين لتسهيل عمليّة تقدير العطاءات للجنود، ورغبة ولاّة الأقاليم في تدوين أخبار الفتوحات ليعرفوا البلدان التي فتحت صلحا أو عنوة حتّى يتم تحديد الجزية والخراج². يضاف إلى ذلك الخصومات القبليّة، وأثر الأوضاع السياسيّة على وضع القبائل، وكلّ هذا شجّع على دراسة الأنساب³.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ النسابين لا تقتصر معرفتهم بالنسب، بل تتعدّى ثقافتهم إلى الغوص في ما يكوّن هذا العلم من أخبار وأساطير وأشعار لكونها الأساس الذي ينطلق منه النسابة. ومن هنا يصعب التفريق بينه وبين الإخباري. هذا ما يزيد من متانة وأصالة التدوين التاريخي عند العرب. فعلم الأنساب التي تضافرت علوم في إنشاءه وصقله. خدم بشكل لا يمكن تجاهله في جمع المادّة التاريخيّة التي أدخلت علم التاريخ من أوسع أبوابها. وقد خدمت دراسات الأنساب علم التاريخ في المادّة وفي خطّة الكتابة كما قال ذلك عبد العزيز الدوري في كتابه "بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب".

* سورة الحجرات. الآية: 13.

¹ - عيد الخضر جاسم الحمادي، «دور الأنساب في حفظ تاريخ العرب خلال القرنين الأوّل والثاني الهجريين». مجلة افاق الثقافة والتراث. الإمارات العربيّة المتّحدة: قسم الدراسات والمجلة بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث. س. 14. ع. 55، أكتوبر 2006. ص. 57.

² - يحيى بوعزيز، «علم التاريخ بين المسلمين وغيرهم». مجلة الحضارة الإسلاميّة. وهران: المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلاميّة. ع. 3، نوفمبر 1997. ص. 158.

³ - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق. ص. 40.

فمن خلال جمع شتات هذه المادّة التاريخية التي نقا

على حياة القبيلة السياسيّة والإجتماعيّة والإقتصاديّة والتي تعدّ نواة وخدمة كبيرة للتدوين التاريخي. هذا ما جعل المهتمّين بهذا الشأن (علم الأنساب) يتحلّون بمكانة مرموقة.

من خلال هذا التقديم لا يمكن حصر جميع المحاولات سواء تلك البدايات الأولى التي كانت من وراء الإهتمام بهذا العلم الشريف، أو تلكم الأعمال التي تلتها، ولهذا نكتفي بذكر بعض النماذج منها:

- محمّد بن السائب الكلبي (ت: 146هـ - 763م) الذي اعتبره "حاجي خليفة" فاتح وضابط علم الأنساب¹. قام بدراسات في الأنساب واللغة والتاريخ، اعتمد في جمع الروايات القبليّة على أفضل النسابة من كلّ قبيلة، بالإضافة إلى ما رجع إليه من شعر النقائض. وتابع ابنه "هشام بن محمّد الكلبي" (ت: 204هـ - 819م) فألف كتاب "جمهرة النسب".

ومن النسابين أيضاً "مصعب الزبيري" من سلالة ابن الزبير، كان عالماً بالأنساب، فألف بذلك كتابين: "النسب الكبير" و"نسب قريش". أمّا "أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري" * ألف "أنساب الأشراف" وهو كتاب عام للتاريخ الإسلامي في إطار الأنساب.²

5-2-3-3 علم التاريخ:

لم نقصد من وراء الفصل بين العلوم المشكّلة للأخبار (السيرة والمغازي والأنساب). بما فيها علم التاريخ، وإنّما أردنا في هذا الصدد الحديث عن مؤرّخين شهدهم النصف الثاني للقرن الثالث الهجري، الذين لم تحدّهم مدرسة أو اتجاه ممّا ذكر. بل حاولوا أن يستفيدوا من مواد السيرة ومن كتب الإخباريين بما فيهم النسابين، فكان جلّ اهتمامهم انتقاء المادّة بعد النقد، وهذا ما خلفه علم الحديث من قواعد ومعايير شجّعت المؤرّخين على الغوص في فترات تاريخيّة متباعدة ومتعدّدة.

وعلاوة على ذلك فقد تطوّر علم التاريخ بمرور السنين، وصارت له أسسا نقدية معروفة وشروط محدّدة، ينبغي توفرها فيمن يتصدّى لكتابته. كالدقّة في تحرّي الأخبار، والتدقيق في أسانيد الرجال من نقلة الأخبار، وبعد التحقق من أمانة هؤلاء الرجال، يجري تدقيق الخبر نفسه، وهكذا نشأ وجهان من وجوه النقد: أوّلهما نقد الأسانيد، وثانيهما نقد المادّة التاريخية نفسها³.

¹ - حاجي خليفة، المصدر السابق. ص. 179.

* توفي سنة (279هـ - 892م)، مؤرّخ جغرافي، نسابة، له شعر، من أهل بغداد، جالس المتوكّل العباسي. وقيل أنّه شرب البلاذر فأصيب في آخر عمره بذهول شبيه بالجنون. من كتبه بالإضافة إلى "أنساب الأشراف" مؤلفه المشهور "فتوح البلدان".
خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. ط. 5. بيروت: دار العلم للملايين، 1980. مج. 1. ص. 267.

² - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق. ص. 40-41.

³ - سامي الصقار، «تراث العرب في كتابة التاريخ». مجلة البحرين الثقافية = AL-BAHRAIN AL-THAQAFIA. البحرين: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. س. 6. ع. 22، أكتوبر 1999. ص. 49.

تلكم هي المنهجية التي سارت عليها عملية كتابة

الإرتباط الحاصل بين علمي الحديث والتاريخ قد ترك حسب المستشرق "هاملتن جب" طابعا لا يحى في المنهج التاريخي، باستخدام منهج الإسناد في طبيعة الأخبار التاريخية عند العرب، ودقتها المؤسسة على النقد¹. هذا ما سبق وأن أشرنا إليه أثناء الحديث عن كيفية التثبت من صحة الحديث. ومن هنا أخذ التاريخ بالنماء كعلم من أجل العلوم عند المسلمين وأعظمها شأنًا كما ذكر ذلك "ابن خلدون" في مقدمته.

وأول ممثل للتطور الجديد هو "أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري"، فكتابه "فتوح البلدان" و"أنساب الأشراف" ينتقي مادته فيهما بعد الغرلة والنقد، بالإضافة إلى نقد مصادره قبل الاعتماد عليها، والتي تنوعت بين ما هو مكتوب وبين ما هو شفوي مع ذكر الألفاظ الدالة على ذلك. كقوله: "حدثني" و"قال لي" التي تشير إلى روايات شفوية مباشرة، بينما يشير لفظ "روى" بصورة عامة إلى مؤلفات مكتوبة.

أمّا "اليقوبي" (ت: 284هـ - 897م)² صاحب كتاب "التاريخ"³ الذي أمضى كثيرا من أيام شبابه في الأسفار وجمع المعلومات التاريخية من مصادرها. وهنا تكمن دور الرحلة في التثبت من الأخبار، وهذا ما جعله يبين أنه رجع إلى "مارواه الأشياخ المتقدمون من العلماء والرواة وأصحاب السير والأخبار والتأريخات" ووجد أنهم "اختلفوا في أحاديثهم وأخبارهم وفي السنين والأعمار". ما جعله يخوض في عملية التمحيص بالموازنة والمقارنة. وسارت خطته في دراسة التاريخ الإسلامي حسب توالي الخلفاء، إلا أنه راعى خطة تسلسل الحوادث على السنين⁴. وهذا ما تميز به منهج المؤرخين في سوق الأحداث مرتبة حسب العهود، وانساق إلى هذا الإتيان من جاءوا بعد اليقوبي⁵.

أمّا "الدينوري" (ت: 282هـ - 891م) وكتابه "الأخبار الطوال" نموذج آخر للتاريخ العالمي، مراعى في ذلك كسابقه التسلسل التاريخي، مع التركيز على بعض الحوادث ليجعل تاريخه أقرب من أن يكون سلسلة من الأخبار.

ومّا أضحت كتابة التاريخ عند العرب به قمة ما خلفه "الطبري" في كتابه "تاريخ الرسل والأنبياء". فقد نظر إلى التاريخ وأسلوبه في كتابته كمحدث وكفقيه، مما جعله بارعا فيه. فإنّ طريقته في

¹ - هاملتن جب، المرجع السابق. ص. 147.

² - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق. ص. 49-50.

³ - عباس سليمان، المرجع السابق. ص. 252.

⁴ - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق. ص. 51-53.

⁵ - يحيى بوعزيز، علم التاريخ بين المسلمين وغيرهم. «مجلة الحضارة الإسلامية». المرجع السابق. ص. 163.

نقد الروايات تتّجه إلى الإسناد، وقيمتها في نظره تعتمد إلى الحادثة كان أفضل¹.

ومن هنا فإنّ التاريخ كعلم قائم بذاته، ساهمت في ظهوره ونشأته جهود ما سُمّي بالإخباريين الذين أكسبوه أرضية صلبة سليمة سهّلت عليهم إعادة تشكيل ما هو موروث لديهم. هذا إذا انطلقنا من بديهية تقرر أنّ لولا كتابات السير والمغازي وكذا الأنساب وما يتّصل بهما لما أسّس علم التاريخ.

من خلال ما تقدّم نخلص إلى أنّ ما من باحث في مجال التاريخ الإسلامي بشكل عام إلّا وانطلق ممّا أصّله علم الحديث من مناهج وقواعد، لكونه الباعث الحقيقي الذي أرسى سبل التحقق والتثبت من صحة الخبر.

ولا سبيل إلى ذلك إلّا منهج "الإسناد" الذي يعمل على اتّصال الرواية إلى مصدرها الأصلي مهما كان البعد الزمني بين الراوي ووقوع الحدث. وهذا ما سلكه المحدثون في بادئ الأمر، لكونه الوسيلة الوحيدة لرفع الحديث إلى قائله دون زيادة أو نقصان. فكان وراء ظهور هذا المنهج ما تضاعف انتشاره من وضع، الذي يحتمل أن يكون إمّا في المتن (الخبر) أو سلسلة الرواة. وهذا ما نظر إليه المحدثون نظرة ازدراء لما آل إليه المصدر الثاني للتشريع الإسلامي من اختلاق. فعملوا جاهدين إلى إكساب هذا المنهج طرقاتهم وتكشف عن مدى صحة الحديث وسقمه، فظهر ما يعرف بـ "علم الجرح والتعديل" أو "علم ميزان الرجال". الذي يبحث عن الرواة وأمانتهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم. فكثرت التأليف في ذلك، منها ما أفرد لذكر الثقات فقط، ومنها ما أفرد لذكر الضعفاء فقط، ومنها ما أجمع بين الثقات والضعفاء، وصنّفت على أساس نقدي محض.

ومما لا شكّ فيه أنّ المصنّفات في قواعد الرواية وفي الرجال قدّمت خدمة جليلة للسنة المطهّرة، ويمكن الاستفادة منها في حقل التاريخ الإسلامي إلى حدّ ما. وبذلك يمكن للباحث أو المؤرّخ أن يعرف لكلّ خبر قيمته، فيستبعد الأخبار الضعيفة والموضوعة وينبّه عليها ليتجنّبها الناس، ويستخرج الروايات الصحيحة ويبيّنّها. خصوصاً وأنّ الهدف من الدراسات التاريخية هو إبراز الحقائق التي تعتبر هدفا منشودا يتوخّاه كلّ باحث نزيه.

ومن الجهود أيضاً تلك الأسفار والرحلات العلميّة التي خاضها المحدثون فباشروا الرجال، واجتازوا الصّعاب، من أجل تحقيق ضبط وتوثيق للعلم الذي يحملونه. فظهرت بعد ذلك طرق تحمّل العلم الثمانية

¹ - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق. ص. 54-55.

التي تشدّ سلاسل الإسناد عن طريق ما يدلّ عليها من

النصوص والأخبار، ومحاربة الوضع والكذب فيها، ولذا لم يعد استعمال منهج الإسناد قاصراً على الحديث النبوي الشريف، بل شاع استعماله في علوم أخرى كالتفسير والسيرة والتاريخ.

ومما يلاحظ أنّ القواعد التي وضعها العلماء المسلمون للتوصل إلى معرفة النص الصحيح – وإن كانت في الأصل خاصّة بالحديث النبوي – صالحة للتطبيق في مختلف العلوم الإسلامية وخاصّة التاريخ الإسلامي. لأنّ المؤرّخين الأوائل نسجوا على منوال المحدثين في طريقة العرض، وسرد الروايات بالأسانيد. كما أنّ التاريخ عبارة عن أخبار ووثائق ونصوص لا طريق للتثبت من صحتها إلاّ بتطبيق هذه القواعد المنهجية.

وما نريد تأكيده أنّ منهج الإسناد أثر إيجابياً في بلورة وصقل علوم كالسيرة والمغازي والأنساب التي في مجموعها كوّن علم التاريخ. وبالتالي تدوين الموروث الثقافي العربي الإسلامي. ولم يتوقّف تأثيره البناء عند هذا الحد. بل أسّس مجمل النشاطات الفكرية والعلمية التي عرفتها الساحة الإسلامية. فأمسى بعد ذلك من الضروري على كلّ عالم أو مؤرّخ أو فقيه أو محدّث أن يقدم لقرّائه سلسلة الأساتذة أو الكتب التي درسها عليهم، قصد الحفاظ على سلاسل الإسناد. وهذا هو الشكل الأوّل للـ **ليبليوغرافيا** الذي اصطلح عليه **برامج العلماء أو فهارس الشيوخ**. وما بروز ذلك إلاّ نتيجة للمنهجية التي سارت عليها كتابة وتدقيق وتوثيق العلم عند المسلمين.



PDF
Complete

Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

الفصل الثاني:

علم البيولوجيا
والمبدعون العرب فيه

إنَّ يحمل النشاطات الفكرية التي خاضها المدوّنون الأوا:

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

الشريفة عن طريق التواتر قوامها الضبط المبني على منهج "الإسناد" الذي يرمي إلى تنزيه المكتوب (l'écrit) عن كل التباس، هذا ما لا يرتاب فيه المخلصون من هوّاة ومحبي ومحمّصي ما خلّفته الحضارة العربية الإسلامية من موروث ثقافي.

من هذا المنطلق، ومما تمّ التأكيد عليه سابقا في أن السبيل الوحيد في بلورة وصقل علوم السّير والمغازي، الأنساب والتاريخ وغيرها من علم الأخبار هو إرساء قواعد الإسناد توظيفا، وانتهاجا.

ولم يقف مفعولها البناء عند هذا الحد بل تعدى ذلك إلى تشكل علم يُعنى بالحصر وبالضبط الببليوغرافيين للمصنفات ومؤلفيها، هذا ما اصطلح على تسميته بعلم "الببليوغرافيا" (BIBLIOGRAPHIE).

بالرغم من أن لفظة "الببليوغرافيا" هي أكثر حظًا للتداول إلّا أن اللفظ تزامحه بعض المصطلحات التي أريد من خلالها التعبير عن الحقل الذي تشتغل فيه، والتي لا تنفي وجود العلم نفسه، بل تكسبه طابعه ومجاله المستقل المتمثل في الحصر والتحقيق، الجمع والتأريخ، التصنيف والتوثيق والوصف. ومن هنا تعترضنا بعض الإشكاليات: ماذا نقصد بالببليوغرافيا؟ وما هي مختلف المصطلحات الدالة عليها؟.

1- الببليوغرافيا: تعريفها، ماهيتها:

إنَّ كلمة ببليوغرافيا "BIBLIOGRAPHIE" من بين الألفاظ والمصطلحات التي صعب على الباحثين إختيار المصطلح الأدق الذي يُعبّر عنها، هذا ما أدّى إلى تعدد مفاهيمها عبر التاريخ، وتشعب المصطلحات الدالة عليها.

فالتعامل مع المصطلح في حدّ ذاته لازالت تعتريه بعض الغموض في تحديد معالمه الحقيقية، إلّا أن البديهية التي نسلم بها تكمن في أنّ الببليوغرافيا مقرونة بالكتاب¹. وهو مدلول فكري عام². فأصل التسمية يوناني مركّب من لفظين هما: Biblion ومعناها الكتاب وGraphia ومعناها الكتابة؛ أي الكتابة عن الكتب³. إلّا أنّ مدلوله خلال العصر الإغريقي وحتى القرن السابع عشر وتداوله في اللغة اللاتينية، واللغات الأوروبية الحديثة كان بمعنى "نسخ الكتب"⁴. فتغيّر حينئذ مفهوم الببليوغرافي من "كاتب الكتب أو ناسخها" إلى من يكتب الكتب واصفا مراحل نشره من تأليف وطباعة

¹ - Marcelle beaudiquez, Guide de bibliographie générale : methodology et pratique. Paris : Saur, 1993. P. 23.

² - أبو بكر محمود الهوش، المدخل إلى علم الببليوغرافيا. طرابلس: قطاع الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، 1981. ص. 13.

³ - غالب عوض النوايسة، خدمات المستفيدين من المكتبات ومراكز المعلومات. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2000. ص. 93.

⁴ - سعود بن عبد الله الحزيمي، المراجع العربية: دراسة شاملة لأنواعها العامة أو المتخصصة. المملكة العربية السعودية: الإدارة العامة للبحوث، 1990. ص. 289.

وغيرها¹. هذا فيما يخص علم أو فن الببليوغرافيا الذي يهدف إلى غالبا ما يتم التمييز بينه وبين "الببليوغرافية" كقائمة والتي في حد ذاتها هي وليدة أسس علم الببليوغرافيا.

2- بعض المصطلحات المرتبطة بالببليوغرافيا:

إنَّ علم قوائم الكتب أو ما اصطلح على نعتة بعلم أحوال الكتب*، وكل ما يتضمنه من معلومات ببليوغرافية (الكتب أو المصنفات) وببليوغرافية (مؤلفيها) علم حديث النشأة في أوروبا ظهر في القرن الثامن عشر، لكنّه قديم في لغة العرب، وإن لم يعرف فيها بهذا الاسم³، إذ تمتد جذوره إلى أواخر القرن الثاني الهجري، أي إلى ما قبل "الفهرست". بما يقرب من قرنين كاملين، والدليل على ذلك ما صرّحه "ابن النديم" في مؤلفه مشيرا إلى أعمال ببليوغرافية سبقته تنسب إلى "جابر بن حيان" الذي توفي على رأس المائة الثالثة⁴، حيث يذكر أنّ «له فهرست كبير يحتوي على جميع ما ألف في الصنعة وغيرها، وله فهرست صغير يحتوي على ألف في الصنعة فقط»⁵.

فمن خلال هذه الالتفاتة نخلص إلى أنّ علم الببليوغرافيا متجذّر لدى العرب فكرة واستيعاباً إلا أنّ التعبير عنه انصبّ على مجموعة من المصطلحات نوردتها بإيجاز في هذه النقاط:

1-2- الفهرس: (Catalogue): هو قائمة الكتب الموجودة في مكتبة ما والمرتبة بطريقة منهجية بغض النظر عن الوعاء سواء كان على شكل بطاقي، أو شكل فهرس ميكروفيلمي أو في شكل قاعدة بيانات محسّبة⁶. وتذهب "فوزية مصطفى محمد عثمان" إلى أنّ الفهرس كلمة مشتقة من اللفظ الفارسي "فهرست" ويعني «قائمة بأسماء الكتب» أو «بيان بأبواب الكتاب وفصوله»⁷ مرتب بنظام معيّن يوضع في أوّل الكتاب أو آخره، إذ أنّ أقدم عملين ببليوغرافيين أطلقا

¹ - عامر إبراهيم قنديلجي، ربحي مصطفى عليان، إيمان فاضل السامرائي، مصادر المعلومات من عصر المخطوطات إلى عصر الأنترنت. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000. ص. 93.

² - مجبل لازم مسلم المالكي، المراجع: التطورات الحديثة في أساليب الخدمة المرجعية واتجاهاتها. عمان: مؤسسة الوراق، 2000. ص. 92.
* علم أحوال الكتب: هي تسمية طريفة أطلقها "حاجي خليفة" على علم الببليوغرافيا الذي يعتبر من أهم العلوم في نظره، كونه أول مرحلة من مراحل البحث والتتقيب: أنظر في ذلك: الببليوغرافيا أو علم الكتاب: دراسة في أصول النظرية الببليوغرافية وتطبيقاتها، لشعبان عبد العزيز خليفة. ص. 235. وانظر أيضاً ما قاله حاجي خليفة في هذا الصدد في مؤلفه الشهير "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" في المجلد الأول المنشور ببغداد من طرف منشورات مكتبة المثنى. ص. 16.

³ - عبد الستار الحلوجي، دراسات في الكتب والمكتبات. المملكة العربية السعودية: مكتبة مصباح، 1988. ص. 81.

⁴ - أحمد عبد الحليم عطية، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب [د. م.]: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1991. ص. 235-236.

⁵ - ابن النديم، الفهرست. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1994. ص. 436.

⁶ - عبد الوهاب عبد السلام أبو النور، تنظيم المعرفة: مدخل عام وقضايا رئيسية في التنظيم والتصنيف. القاهرة: عالم الكتب، 2000. ص. 99.

⁷ - فوزية مصطفى محمد عثمان، «الببليوغرافيا: مفهومها، أهميتها، تقنياتها». مجلة المكتبات والمعلومات العربية. الرياض: دار المريخ للنشر. ع. 02، أبريل، 1990. ص. 99.

عليهما هذه الكلمة "الفهرست" لابن النديم و"فهرسة" ابن خير بأدق ما تعنيه هاتين الكلمتين.

من هنا تمتاز الببليوغرافيا عن الفهرس في أن الأخير يمثل مجموعة ثقافية تجمعها صفة مشتركة ليست شرطاً أن تكون في مكتبة واحدة أو أكثر، إنما هي تغطية لتلك الصلة أو الصفة².

2-2-الكشاف (Index): كلمة حديثة الاستخدام في لغة العرب، وهي مشتقة من الفعل الثلاثي "كشف" لتعني في المعاجم العربية أظهره ورفع عنه ما يواريه أو يغطيه³. في حين استعملها الباحثون في مجال المعلومات تعريياً لكلمة (Index) الأجنبية، وقد اشتقت هذه الأخيرة من اللفظ اللاتيني (Indicare) الذي يعني لفت النظر أو الإشارة إلى شيء ما أو الدلالة عليه⁴.

والكشاف عبارة عن مجموعة من الكلمات المفتاحية* الموجودة في محتوى الوثيقة*، والمرتبة ترتيباً أبجدياً⁵. فيما أن يكون الكشاف لأسماء الأشخاص أو المؤلفين (Index des noms d'auteurs) أو للأماكن (Index des lieux)، كما يمكن أن يكون كشافاً للعناوين (Index des textes) أو الموضوعات (Index des sujets) (sujets)، وأيضاً للغات (Index des langues)، وكذا للتواريخ (Index des dates)⁷.

والهدف من وضعها هو تمكين الباحث (المستفيد) من إيجادها (الكلمات المفتاحية) بسرعة، وذلك عن طريق أرقام الصفحات (الروابط) التي توضح موضع أو مكان كل منها على حدة، ولهذا اعتبر الكشاف (INDEX) أحد أشكال الحصر الببليوغرافي الداخلي لمصادر المعلومات⁸.

¹ - سعود بن عبد الله الحزيمي، المرجع السابق. ص. 285.

- عبد الكريم الأمين، «الببليوغرافيا: مشاكلها واقتراحات في حلولها». مجلة المكتبة وعروبة الخليج. جامعة البصرة: مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، 1975. ص. 542.

³ - عامر إبراهيم قنديلجي. المرجع السابق. ص. 147.

⁴ - سعود بن عبد الله الحزيمي، المرجع السابق. ص. 287.

* - أو كما يطلق عليها في لغة علم المعلومات برؤوس الموضوعات (les entrées: المداخل): فوزية مصطفى محمد عثمان، المرجع السابق. ص. 101.
* - اشتقت كلمة وثيقة (document) من الثقة وهي الإلتزام على الشيء، والوثاقة هي مصدر الشيء الوثيق، والحقيقة أن مفهومها واسع شامل، يدل على كل وعاء للمعلومات مخطوطاً كان أو مطبوعاً، دراسة كان أو مقالاً: ظاهر محمد صكر الحسنوي، «الوثيقة: مفهومها وأهميتها في الدراسات التاريخية». مجلة آفاق الثقافة والتراث. [د. م.]: دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث. س. 14، ع. 53، أبريل، 2006. ص. 06-07.

⁵ - Henri Jean Martin, «Histoire du livre et bibliologie». In encyclopédie internationale de bibliologie : science de l'écrit. Paris : AIB (association internationale de bibliologie), 1993. P. 325.

⁶ - Dictionnaire encyclopédique des sciences de l'information et de la communication, Bernard lamzit, Ahmed silem. PARIS : MARKETING, 1997. P. 97.

⁷ - Jean meyrat, «La bibliographie». In encyclopédie internationale de bibliologie : science de l'écrit. PARIS ; AIB (association internationale de bibliologie), 1993. p. 551.

⁸ - فوزية مصطفى محمد عثمان، المرجع السابق. ص. 101.

* - سوف نكتفي بذكر هذين المصطلحين اللذين يعتبران أحد أشكال الضبط الببليوغرافي، ونؤخر ذكر بعضها الآخر في كونها تنظم تحت مبحث مستقل، يعني هو الآخر بالحصر الببليوغرافي، ما قيس على تسميته بفهارس الشيوخ أو برامج العلماء.

إنّ مبتدأ ما يمكن استنتاجه ممّا تقدّم إيراده، أنّ آية محاولة لإ

يأمن في شبه يقين، وحتّى يصبح الشكّ سيّد المقام، وتبقى المحاولة حينها عزاءه الوحيد، يمكن أن نستند إلى ما ركبه "عبد الواحد عرجوني" معنّاً شاملاً للببليوغرافيا في مقالة له، والتي أدرجها ضمن صحيفة "المتقف" الثقافية في قوله: «إنّ الببليوغرافيا علم مستقلّ بمجاله الإنتاج الفكري حصراً وتحقيقاً، جمعاً و تأريخاً، تصنيفاً وتوثيقاً ووصفاً، له قواعده وفلسفته و ضرورته لا محيد عنها في زماننا أكثر من أيّ وقت مضى كونه العلم الوحيد القادر على ضبط هذا التدفق والانفجار المعلوماتي»¹.

3- بين الببليوغرافيا والببليولوجيا:

مّمّا هو متعارف عليه أنّ احتفاظ بعض المصطلحات بقلبها المعرّب لا يكسبها الطابع التعريبي (الإيجائي) بقدر ما يضيف عليها طابعه التعريبي (تعريب الشكل الصوتي لا المعنى أو المضمون) كما ذهب إلى ذلك "عبد الواحد عرجوني" في مقالته المذكورة سابقاً نقلاً عن "حسن غزالة" في مجلّده الثاني عشر (12) من مصنّفه "ترجمة المصطلحات الأدبية وتعريبها".

من خلال هذه الالتفاتة المختصرة نؤول إلى أنّ إستقراء حقيقة ميلاد "الببليوغرافيا" عند المسلمين يتّسم بضرورة الإستعانة ببعض المحاولات الغربية في إيجاد «تفسير لنشأة الببليوغرافيا»².

لعلّ هذه الدّراسات تكوّن لنا ولو فكرة عن التدرّج المنطقي في ظهور الحاجة إلى ما يعرف الآن بالحصص ذو الصبغة الببليوغرافية، ولهذا نحبّذ التذكير ببعض الرواد البارزين في مجال النشاط الببليوغرافي الغربي.

¹ - عبد الواحد عرجوني «الببليوغرافيا: المفهوم والأنواع» (page consultée le 25-11-2007) www.almothaqf.com
² - محمّد صاحبي، المرجع السابق. ص. 19.

إذ نجد أن "غابريال نوديه" * (Gabriel naudé) هو

"الببليوغرافيا السياسية" (Bibliographia politica)¹، وكان ذلك عام 1633 بحيث درس فيها باللاتينية آثار المؤلفين الذين كتبوا عن السياسة فلاسفة كانوا أو مؤرخين².

ثم يأتي بعده أي بعد قرنين من الزمن عام 1802 "إتيان غابريال بينيو" (Etienne gabriel peignot) الذي أصدر كتاباً يتناول فيه موضوع الببليوغرافيا تحت عنوان: "Dictionnaire raisonné de bibliographie" أي القاموس المصنّف في علم الكتاب. ويليه "بول أوتلي" (Paul otlet) الذي يعتبر أوّل من طرح تساؤلاً حول تاريخ الببليولوجيا³، والذي أطلق عليه علم الكتاب أو المكتوب (L'écrit) أو ما عبّر عنه بعلم "الوثائق" (La science du document)⁴ جاعلاً الببليوغرافيا فرعاً من الببليولوجيا⁵، حيث اعتمد في ذلك على تطبيق النظرية الكونية لتاريخ العلوم، ومن هنا قسّم مراحل تاريخ الببليولوجيا إلى أربعة أقسام:

– المرحلة الأولى: تميّز بإنتاج الكتب وتقنيات الكتابة.

– المرحلة الثانية: وتتميّز بخلق المكتبات والفهارس.

– المرحلة الثالثة: توافق نشوء الببليوغرافيا.

– المرحلة الرابعة: تمثّل ولادة الببليولوجيا⁶.

فمن خلال ترتيب "بول أوتلي" (Paul otlet) لمراحل ولادة الببليولوجيا كعلم يبدو لنا أنّه قد اعتمد في طرحه هذا على منهج علمي، ولهذا جاء هذا الترتيب ترتيباً علمياً، منطقياً وتاريخياً. فخصّص المرحلة الأولى لظهور الكتابة كأداة منهجية لتسجيل المعارف والعلوم، وحفظها للأجيال القادمة، والخروج بذلك بمجموعة من المخطوطات والكتب التي

* غابريال نوديه كان كاتباً للوزير الفرنسي "مازاران" (mazarin)، وقبّما على خزانته (la mazarine) نسبة إلى (mazarin). بحيث يعتبرها المؤرخون أول مكتبة عمومية بفرنسا فتحت عام 1643م. تقع في الجناح الأيسر من مقر الأكاديمية الفرنسية بباريس، ألحقت أولاً بالمكتبة الوطنية عام 1923م، ثم ألحقت ثانياً وأخيراً بمعهد الأكاديمية الفرنسية عام 1945م. وتحتوي على رصيد هائل من الكتب الموسوعة في لغات مختلفة: أحمد شوقي بنين، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي. الرابط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1993. ص. 201.

¹ - Louise- noelle malcles , Manuel de bibliographie. 4° ed. PARIS : presse universitaire de France, 1985. P. 12.

² - Louise- noelle malcles , La bibliographie. Col. Que sais- je ?. 5° ed. PARIS : presse universitaire de France, 1956. p. 07.

³ - Robert estivals, «La bibliologie» in encyclopédie internationale de bibliologie : les sciences de l'écrit. PARIS ; AIB (association internationale de bibliologie), 1993. p. 32.

⁴ - Robert estivals, «Les sciences de bibliologie». Schéma et schématisation sur la bibliologie, la documentologie et les sciences de l'information. SAUFIA : société de bibliologie et de schématisation, 23, 28 novembre, 1981. P. 21.

⁵ - Louis- noelle malcles , La bibliographie. Col. Que sais- je ?. Op.cit. p. 09.

⁶ - Robert estivals, «La bibliologie» in encyclopédie internationale de bibliologie : les sciences de l'écrit. Op.cit.p. 33.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

تستلزم إيجاد أماكن لحفظها، وتمثّل في المكتبات. وبعدها أد

الفهارس. أي أنّ هذه الأخيرة قد سبقت الببليوغرافيا. ثمّ تليها المرحلة الثالثة والتي تخصّ ولادة ونشوء الببليوغرافيا كعلم قائم بذاته، ذلك أنّ الفهرس غير الببليوغرافيا. أمّا المرحلة الرابعة تمثّل ولادة الببليولوجيا (Bibliologie). ومن هنا استقلّت الببليوغرافيا عنه ليصبح جزء منه بوصف الكتب ونقدها وتحليلها. هذا ما يجعلنا القول أنّ المرحلتين الثالثة والرابعة يمكن تصوّرهما على أنّ نهاية الببليوغرافيا هي بداية الببليولوجيا.

4- لمحة عن بعض الأعمال الفاعلة للضبط الببليوغرافي العربي:

ما يمكن أن أعترف به في خضمّ هذا العنصر الفعّال أنّي كنت جاهلة كلّ الجهل أنّ أسبقية الخوض في المضمار الببليوغرافي العربي الإسلامي قديم العهد؛ خاصّة حينما تتابع التأليف خلال القرن الثاني للهجرة في مختلف فروع المعرفة. إذ لم يلبث العرب أن أحسّوا بالحاجة إلى تدوين تراثهم وتاريخهم فظهرت كتباً جمّة*. وازدهرت بذلك حركة التأليف ازدهاراً رائعاً يدفعها ويمدّها بأسباب الخصب والتماء بفضل ما اكتسبه المجتمع العربي من طبقة جديدة تعرف بطبقة الورّاقين التي تمارس مهنة الوراقة*. إذ لم تكن حوانيت الوراقة آنذاك مجرد دور للنسخ؛ وإنّما كانت مجالس للعلماء والشعراء وملتقى الطبقات المثقفة. فأصبحت بذلك مركز إشعاع للنشاط العقلي ومستودعاً لكلّ ما أنتجته العقلية الإسلامية في شتى فروع المعرفة¹. من هذا المنطلق أبنّا أن نتخطّى عهداً لا يستهان به في ظهور الظاهرة اللّمية التي دفعت عجلة الضبط الببليوغرافي العربي ورسم حدوده عامة، وتمتين أسسه لروّاده خاصة.

ومن هنا يمكن القول أنّه من الناحية التاريخية الكرونولوجيّة لا يمكن لـ "ابن النديم" وضع فهرسته؛ وحتى الذين جاءوا بعده دون وجود مكثّف للإنتاج المعرفي الذي ألّف عنه الأوائل. بالرغم من أنّ الصورة الببليوغرافيّة لم تكن واضحة المعالم لديهم، فكان "ابن النديم" محظوظاً لرفع لواء الوصف والضبط الببليوغرافيين بأدقّ ما تعنيه الكلمتين.

من خلال هذه التوطئة نتساءل: فيما تمثّلت هذه الأعمال؟ وهل كانت حقاً مصادر لمرجعيات التراث العربي الإسلامي عامّة وللأعمال الببليوغرافية خاصّة؟. هذا ما سوف نحاول إلقاء الضوء عليه في هذه النقاط.

* في اللغة والشعر والتاريخ متأثرة في أول أمرها بطريقة التأليف في الحديث، فكان أصحابها لا يسوقون خبراً إلا مشفوعاً بسلسلة الأسانيد التي تكشف عن مدى الثقة به والإطمئنان له؛ كما سبق وأن بيّنا في الفصل السابق في دور منهج الإسناد في صقل العلوم العربيّة بمختلف منابعها.

* الوراقة: هي «عملية الإنتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبيّة والدواوين»: ابن خلدون، المقدّمة. المصدر السابق. ص. 421.

¹ - عبد الستار الحلوجي، لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1987. ص. ص. 36-39.

4-1- معاجم التراجم والطبقات:

من بين الأعمال التي كان لها الأثر البالغ في بلورة النشاط العلمي برمته كمّا وكيفاً تلکم التصانيف التي اصطلح على تسميتها بمعاجم التراجم والطبقات. فماذا نقصد بكلّ مصطلح؟ وإلى من يرجع الفضل في بروزها.

4-1-1- تعريف المعجم:

تفيد مادة "عجم" في اللغة معنى الإبهام والغموض، ومعنى "أعجم" أزال العجمة أو الغموض أو الإبهام*، وم يكن اللغويون أوّل من استعمل لفظ "المعجم" في معناه الإصطلاحي، وإثما سبقهم في ذلك رجال الحديث النبوي الشريف الذين أطلقوا كلمة "معجم" عن الكتاب المرتب هجائياً الذي يجمع أسماء الصحابة ورواة الحديث، ويقال أنّ "البخاري" (194هـ-773م/256هـ-835م) كان أوّل من أطلق لفظه "معجم" وصفاً لأحد كتبه المرتبة على حروف المعجم، كما وضع "أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى" (210هـ-789م/305هـ-886م) "معجم الصحابة"¹ فسمّى "المعجم" إذن إمّا لأنّه مرتّب على حروف المعجم، إمّا لأنّه يزيل الإبهام بشرح الكلمة وبيان معانيها عبر العصور، ولكي يتّضح معناها غاية الاتّضاح ينبغي عرضها من سياقات متعدّدة وجمل مختلفة، ليتسنى للقارئ الوقوف عند استعمالاتها المختلفة². هذا ما حقّقه وبرع فيه "الخليل بن أحمد الفراهيدي" الذي صبّ كل خبراته في معجمه الذي سّماه "العين"، والذي يعدّ أوّل معجم عربي وأسبقه وضعاً للغات العالم «فاشتمل على علوم العربيّة* الفصيحة الخالية من الغريب المستهجن الذي ترجع غرابته -غالباً- إلى مخالفته لسنن الفصاحة التي كان عليها عصر الخليل»³.

* - ومن هنا أطلق على نقط الحروف لفظ "الإعجام" لأنّه يزيل ما يكتنفها من غموض واحتمال: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب: مع دراسة لقضيّة التأثير والتأثر. ط. 04. القاهرة: عالم الكتب، 1972. ص. 151.

¹ - أحمد مختار عمر، المرجع السابق. ص. ص. 151-155.

² - المرجع نفسه. ص. 152-153.

* رغم شهرة "الخليل بن أحمد الفراهيدي" بالبصري، فإنّه قد ولد في عمان عام 100 هـ (القرن الأوّل الهجري). ولكن نشأته بالبصرة غلاماً، وتلقية العلم بها تلميذاً، ورياسته مدرستها شيخاً جعلته يشتهر بهذا اللقب. فلم يبرز "الخليل" في العلوم اللسانية من نحو ولغة وشعر فحسب، بل كان له دراية بالعلوم الشرعيّة والرياضيّة، وبراعته في الموسيقى والنغم جعلته ينال اسم واضع علم العروض كما هو متفق عليه. توفي سنة (170 هـ/749م). من مؤلفاته: النقط والشكل، النغم، العروض، الشواهد، الإيقاع، الجمل: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين. تح. الحميد هندراوي. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2003. مج. 01. ص. 09-10.

* شمل كتابه على علوم العربيّة من معجم وأصوات ولغة ونحو وصرف وعروض وبلاغة وأدب ومعرفة بأيام العرب وغير ذلك ممّا يسموا بصاحبه لأن يكون ذا عقليّة مبتكرة.

³ - المصدر نفسه. ص. 04.

4-1-2- تعريف التراجم:

مفردها ترجمة ومقابلها باللغة الأجنبية (BIOGRAPHIE)* وهي مشتقة من الكلمتين اليونانيتين (BIOS) وتعني الحياة، و (GRAPHEIN) وتعني يكتب. وهذه اللفظة هي من الكلمات الأجنبية الدخيلة إلى اللغة العربية، ذو أصل آرامي، وقد بدأ توظيفها لأول مرة خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي حينما استعملها "ياقوت الحموي" في معجمه بمعنى "حياة الشخص". وتتميز عن السيرة في أنها تدرس حياة الفرد بصفة موجزة، بينما تطلق كلمة "سيرة" على التاريخ المطول لحياة فرد أو عدد من الأفراد.¹

4-1-3- تعريف الطبقات:

لقد وظف مصطلح "الطبقات" تعبيراً عن ما اهتم به مؤلفو معاجم التراجم بصفة عامة، وحرصهم على ترتيب مادة تصانيفهم أكثر من اهتمامهم بالجوانب التاريخية والإعلامية، حيث يتم تقسيم المترجمين لهم حسب طبقاتهم أو فئاتهم، وذلك إما بتأبع الترتيب الأبجدي أو الترتيب للفئات داخل الطبقات بالأخذ بعين الاعتبار سني الوفاة، أو حسب قيمة المترجم له ومكانته الدينية والعلمية والاجتماعية.² وأحسن ما يمثل به في هذا الصنف من الكتب: "الطبقات الكبرى" لـ "محمد بن سعد بن منيع البصري" (198هـ-777م/230هـ-809م)، والذي يعتبر أقدم كتب الطبقات، ولا يعلم أقدم منه في مجال الطبقات إلا مصنف "الطبقات" لـ "الواقدي"³ المتوفى سنة (207هـ-786م) الذي تميز فيه بدقته في المادة والأسلوب، وكذا عنايته بتحقيق تواريخ الأحداث.⁴ ويهتم بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه وتراجم الصحابة والتابعين، كما اشتمل كتابه هذا على حوالي 3000 ترجمة مرتبة وفقاً لنظام الطبقات، حيث يختص كل جزء منه بطبقة معينة من الصحابة والتابعين، كما أثرى كل جزء بما يحويه من فهراس.⁵ وما يلاحظ على طبقات ابن سعد بروز بعض الملامح البليوغرافية التي تهتم بالكتابة عن المؤلفات حيث يذكر مجموعة من الكتب وموضوعاتها من غير تحديد لأسمائها أو أوصافها، ويظهر ذلك جلياً حينما ذكر كتب فقه لـ "عروة بن الزبير" وقال عن كتب "عبد الله بن عباس" رضي الله عنه أنها حمل بعير أو عدل بعير.⁶

* وهناك عبارة أخرى تتجاذب مع لفظ بيوغرافيا (BIOGRAPHIE) وهي البيوغرافيا (BIOBIBLIOGRAPHIE) وهي نوع من البليوغرافيا الموضوعية التي تهتم بإعطاء ترجمة المؤلف والتنويه عن مؤلفاته وما ألف عنه: أحمد شوقي بنين، المرجع السابق. ص. 181. ومن هنا نجد تداخل كبير في مصطلحات اللغة العربية نتيجة الإهتمام المتكامل للتحكم في الإنتاج المعرفي، وتكايف الجهود في تنوع الأعمال التي تخدم وتساهم في السيطرة عليه.

¹ - محمد صاحبي، المرجع السابق. ص. 255. نقلاً عن محمد عبد الغني حسن في مؤلفه "التراجم والسير".
² - المرجع نفسه. ص. 257.

³ - سعد بن عبد الله الحزيمي، المرجع السابق. ص. 328.

⁴ - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق. ص. 30.

⁵ - سعد بن عبد الله الحزيمي، المرجع السابق. ص. 328.

⁶ - محمد صاحبي، المرجع السابق. ص. 257. نقلاً عن محمد بن سعد، الطبقات الكبرى. ج. 05. ص. 179-239.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

وتجدر الإشارة إلى أن بروز المعاجم بأنواعها مع اتساع دائرة

المعجمي راجع إلى ما أسفر عليه منهج الإسناد من صرامة ونقد للرجال¹. فكانت هذه هي الغاية الأولية من إنجاز التراجع قصد تنقية الحديث والإطمئنان لصحته والتمييز بين ما هو صحيح وموضوع بانتهاج منهج الجرح والتعديل كما أسلفنا الذكر.

ولم يقتصر ابتكار هذا النوع من المصادر على المحدثين فحسب؛ بل تناوله المسلمون وألّفوا فيه في مختلف الميادين الأخرى كالأدب واللغة والشعر والطب، حيث تُعتبر هذه المؤلفات امتدادا لما ألّفه علماء الحديث الشريف في طبقات المحدثين. حرصين في ذلك على اتخاذ منهج الجرح والتعديل أساسا لما يترجمون له، وتعريفا بمدى الثقة في روايتهم عن المؤلفين السابقين².

فمن بين مصادر المحدثين الذين اعتنوا بهذا النوع من التأليف "أسد الغابة في معرفة الصحابة" للشيخ العلامة "عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني" المعروف بـ "ابن الأثير" الذي راعى في ترتيب مادّته على حروف المعجم مستندا في ذلك على سلاسل الإسناد. و مصنف "الإصابة في تمييز الصحابة" لـ "ابن حجر العسقلاني" (773هـ-1352م/852هـ-1431م) متبعا الترتيب الأبجائي للأسماء في كلّ قسم من أقسامه الأربع³.

وللتذكير فإن استعمال مصطلحي "المعجم" و"الطبقات" في معظم معاجم التراجم. وإثراء لهذه النقطة ارتأينا أن نقدّم بعض نماذج التراجم التي كان "المعجم" و"الطبقات" إسمًا بارزا لأحدهما في عناوين مؤلفات بعينها.

4-2- نماذج من معاجم التراجم:

4-2-1- معجم الشعراء: لـ "المرزباني أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى"، المتوفى سنة (384هـ-963م). الذي قام بتحقيقه "عبد الستار أحمد فراج" والمنشور من طرف دار إحياء الكتب العلميّة سنة 1960، والذي يحتوي على 590 ص.

¹ - محمد صاحبي، المرجع السابق. ص. 254.

² - ناصر محمد عبد الرحمن، المرجع السابق. ص. 218.

³ - محمد صاحبي، المرجع السابق. ص. 258.

4-2-2- معجم الأدياء: لـ "ياقوت الحموي" الذي يقو

الأديب". تتبّع فيه التواريخ وراعى الترتيب الألفبائي المعتاد في معظم المعاجم العربيّة، مع تميّزه بالدقة وحرصه على توثيق الأخبار بالإضافة إلى تأثره بمنهج المحدثين النقدي، بتوظيفه لألفاظ الجرح والتعديل، والإهتمام بسلاسل الإسناد في الرواية. فيقول عن منهج معجمه: «وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إليّ من أخبار النحويّين والمؤرّخين والورّاقين المعروفين، والكتب المشهورين، وأصحاب الرسائل المدوّنة، وأرباب الخطوط المنسوبة المعيّنة، وكلّ من صنّف في الأدب تصنيفاً، أو جمع فيه تأليفاً. مع إثارة الاختصار والإعجاز في نهاية الإيجاز، ولم آل جهداً في إثبات الوفيات وتبيين المواليّد والأوقات، وذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم، والإخبار بأنسابهم، وشيء من أشعارهم في تردادي إلى البلاد ومخالطّيّ للعباد، وحذفت الأسانيد إلى ما قلّ رجاله، وقرب مناله، مع الإستطاعة لإثباتها سماعاً وإجازة. إلّا أنّني قصدت صغر الحجم، وكبر النفع، وأثبتّ مواقع نقلي، ومواطن أخذي من كتب العلماء المعوّل في هذا الشأن عليهم والمرجوع في صحّة النقل إليهم»¹.

4-3- نماذج من كتب الطبقات:

بالرغم من أنّ التراجم لم يكن الهدف الرئيسي لوضعها ذكر الكتب فإنّ الميل إلى ذلك كان بارزاً في كتب التراجم السابقة على "ابن النديم" والمعاصرة له، بل وحتى بعيدة العهد عنه. فكانت ترمي في بعض الأحيان إلى ذكر أسماء كتب المؤلّفين أو تقتصر على أهمّها بالرغم من أنّ الصفة الببليوغرافية لم تكن مقصودة. ففي كتاب "مراتب النحويّين" مثلاً يذكر لنا صاحبه "أبو الطيّب اللّغوي" * بعض مصنّفات النّحاة الذين يترجم لهم مثل كتاب "الإكمال" و "الجامع" لـ "عيسى بن عمر" و "الغريب المصنّف" و "غريب القرآن" و "غريب الحديث" لـ "أبي عبيد القاسم بن سلام". وكان الغرض من ذكرها بالنسبة لـ "أبي الطيّب اللّغوي" خدمة للترجمة لا غير، ولعلّ ما يؤيّد هذه الفكرة ما يقوله في ترجمة "أبي الحسن سعيد بن مسندة": «و لم يكن الأخفش ناقصاً في اللّغة أيضاً، وله فيها كتب مستحسنة». فبالرغم من أنّه لم يُولِ الاهتمام إلى ذكر أسماء الكتب؛ فقد أورد ترجمة ستة عشر عالماً من علماء النحو، وذكر لهم من الكتب نحو ثمانية عشر كتاباً². وما فعله "أبو الطيّب" في مراتب النحويّين، طبّقه "الزبيدي" المتوفى سنة (379 هـ - 958 م) في "طبقات النحويّين".

* هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس، الحموي المولد، البغدادي الدار. الملقب بشهاب الدين، ولد سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة، وتوفي يوم الأحد لعشرين من شهر رمضان سنة ستّ وعشرين وستمئة بظاهر مدينة حلب. من تصانيفه أيضاً كتاب "معجم البلدان"، وكتاب "معجم الشعراء": ياقوت الحموي، معجم الأدياء. ط. 02 (منقحة ومضبوطة وفيها زيادات). مصر: مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1922. ج. 01. ص. 18-40.

¹ - ياقوت الحموي، المصدر السابق. ص. ص. 21-48.

* - أبو الطيّب من رجال القرن الرابع الهجري توفي سنة (350 هـ - 929 م).

² - محمّد صاحبي، المرجع السابق. ص. 257.

4-3-1- طبقات المفسرين: للحافظ "شمس الدين محمد بن

المفسرين، فيهتم فيه صاحبه "الداوودي" بذكر أصل المفسر، صفاته. كأن يقول مثلاً: «قليل الكلام، كثير الصمت...» وتاريخ وفاته، عدد أولاده وحالتهم كأن يقول: «وله من الولد سبعة كلهم خير»، كما يثري ترجمته بذكر مجموعة من الروايات في خبر واحد. كأن يقول: «وقال عنه الذهبي...»، «وقال عنه البرزالي...». هذا بالإضافة إلى تبين مصدر الإسماع كأن يقول: «قال الحافظ زين الدين بن رجب في طبقات الحنابلة... وسمع منه البرزالي والذهبي وغيرهما...»¹. هذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على طريقة التمهيد الدقيق في التمييز بين مفسر وغيره، والإحتفاظ بميزة المحدثين في التحديث والتجريح والتعديل. ولم تتوقف براعة "الداوودي" في توثيق تراجم المفسرين بل تعدّى إلى خدمة التأليف والضبط الببليوغرافيين بذكره لمؤلفات المفسرين دون الغوص في محتوياتها أو ما يقرب إلى ذلك فيذكر مثلاً في ترجمة "إبراهيم بن خالد أبو ثور" أن له كتاب "أحكام القرآن" كما يحيل إلى أماكن ذكره في مصنفات بعضها. فيقول: ذكره "ابن النديم" تحت عنوان: الكتب المؤلفة في أحكام القرآن. كما يحيل في معظم الأحيان إلى ترجمات أخرى في مصادر موثوقة كـ "تاريخ بغداد" لـ "الخطيب البغدادي"، "تذكرة الحفاظ" و"ميزان الاعتدال" لـ "الذهبي"، "تهديب التهذيب" لـ "ابن عماد الحنبلي"،... وغيرها².

أ- **طبقات الأطباء والحكماء:** لـ "أبي داود سليمان بن حيان الأندلسي" المعروف بـ "ابن جليل"، المتوفى سنة (377 هـ - 956 م)، وهو معجم شامل للأطباء والحكماء حتى عصر المؤلف³. كما اهتم فيه بذكر أسماء أهم الكتب التي ألفها أو ترجمها كل من ترجم لهم⁴.

ب- عيون الأنباء في طبقات الأطباء: لـ "ابن أبي أصيبعة"

أمّا "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لـ "موفق الدين أحمد بن قاسم" المعروف بـ "ابن أبي أصيبعة"⁵ هو معجم شامل للأطباء المسلمين وغير المسلمين حتى زمن المؤلف⁶، وقد قسم كتابه هذا إلى خمسة عشر باباً⁷، يخصّ في كلّ منها طائفة من الأطباء. ابتداءً بترجمة كبار الأطباء زمن الإغريق والرومان والهنود، وهو يحوي ما ينوف عن 400 ترجمة. كما يذكر في كتابه الكثير من الشعر العربي الذي نظمته الأطباء الذين ترجم لهم⁸. وكان دافع "ابن أبي أصيبعة" لتأليف

¹ - شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، طبقات المفسرين. ضبطه ووضع حواشيه عبد السلام عبد المعين. بيروت: دار الكتب العلمية، 2002. ص. 10-11.
² - المصدر نفسه. ص. 13.
³ - محمد صاحبي، المرجع السابق. ص. 256.
⁴ - عبد الستار الحلوجي، دراسات في الكتب والمكتبات. المرجع السابق. ص. 85.
⁵ - ابن أبي أصيبعة ولد في دمشق عام «600 هـ - 1179 م» في بيت علم وأدب، فقد كان والده من أشهر الكاثلين (أطباء العيون) في دمشق، توفي سنة (680 هـ - 1259 م).
⁶ - محمد صاحبي، المرجع السابق. ص. 250.
⁷ - موفق الدين أحمد بن القاسم، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تج. نزار رضا. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1965. ص. 08.
⁸ - المصدر نفسه. ص. 05-06.

مصنّفه ومنهج ترتيبه بارزين في ثنایا مقدّمته إذ يقول: «وإنّه لما

في مباحثها وأصولها، منذ أوّل ظهورها إلى وقتنا هذا، وكان فيهم جماعة من اكابر اهل هذه الصناعة، وأولى النظر فيها والبراعة ممّن قد تواترت الأخبار بفضلهم، ونقلت الآثار بعُلوّ قدرهم وبذلهم، وشهدت لهم بذلك مصنّفاتهم، ودلّت عليهم مؤلّفاتهم، ولم أجد لأحد من أربابها ولا من أنعم الإعناء بها كتابا جامعا في معرفة طبقات الأطباء القدامى والحديثين، ومعرفة طبقاتهم على توالي أزمنتهم وأوقاتهم، وإن أودعه أيضا نبذا من أقوالهم وحكاياتهم، ونواديرهم ومحاضراتهم، وذكر شيء من أسماء كتبهم... فإنّ كثيرا منهم وإن قدمت أزمانهم، وتفاوتت أوقاتهم فإنّ لهم علينا من النعم فيما صنّفوه، والمنن فيما قد جمعوه في كتبهم من علم هذه الصناعة تفضّل المعلّم على تلميذه، والمحسن إلى من أحسن إليه*، وقد أودعت هذا الكتاب أيضا ذكر جماعة من الحكماء والفلاسفة، ممّن لهم نظر وعناية بصناعة الطب، وجملا من أحوالهم ونواديرهم وأسماء كتبهم، وذكرت كلّ واحد منهم في الموضع الأليق به على حسب طبقاتهم ومراتبهم»¹.

فمن خلال هذه المقدّمة الشافية الكافية التي وضعها "ابن أبي أصيبعة" يتبيّن لنا وضوح هدفه الذي تمثّل في تجميع أسماء الأطباء والحكماء القدامى والحديثين، إحساسا منه بجميل ما قدّموه لنا من مصنّفات في صناعة الطب، وامتنانا لهم. كونهم تواترت ونقلت أخبار هذه الصناعة بفضل جهودهم التي عبّرت عنها مؤلّفاتهم. وهذا أدنى واجب بالنسبة لـ "ابن أبي أصيبعة" لجمع تراثهم تعبيرا منه على وفاء لخدمتهم المتواصلة عبر الأزمان.

فعبر عن منهجه في الترتيب بمصطلحين اثنين هما: الطبقات والمراتب بتوالي أزمنتهم. إذ يذكر أصل الطبيب أو الحكيم وتاريخ وفاته، ويسترسل في وصفه وصفا تامّا. كأن يقول في أوّل طبيب اسمه "أستقليبيوس": أصله يوناني، وكانت مدّته على الأرض اثنتين وثمانين سنة، قال "المبشّر ابن فاتك": «كان رجلا آدم اللون*، تامّ القامة، حسن الوجه، كثّ اللحية، تامّ الباع*... ضخّم العظام، براق العين أكحل، متأنّيا في كلامه، كثير الصمت... يحرك إذا تكلم سبّابته»².

ولم يهتم "ابن أبي أصيبعة" بالتفصيل عن صفات الحكيم الخلقيّة والخلقيّة فحسب، وإنّما كان يعتني بغيره من كتاب التراجم بذكر المصنّفات دون وصفها أو التلميح إلى محتوياتها. فيقول عن "محمد بن تميم" أنّ له كتاب في الطب.

* - الوفاء بالمعلّم أو الشيخ دافع اشتراك فيه "ابن أبي أصيبعة" مع معظم دوافع تلكم الأعمال الأولى لمحاولة الضبط الببليوغرافي، التي سبقت "ابن النديم" وبرزت بروزا فعّالا بعده، والتي بُعثت على تسميتها ببرامج العلماء أو فهارس الشيوخ.

¹ - موفق الدين أحمد بن القاسم، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق. ص. 07-08.

* - بمعنى أسمر اللون.

* - بمعنى تامّ القوة وكمال الخلق.

² - المصدر نفسه، ص. 31.

وعن "عبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم" * أن له من الكتب: "ك

الإكتفاء بالدواء من خواص الأشياء"، "كتاب السمائم"¹. كما احتوى مؤلفه في الأخير على فهرس الاعلام والامكنة مرتب على حروف الهجاء محيلا إلى أرقام الصفحات الموجودة بها، وانحصر بين الصفحتين (788 - 792).

لم تكن معاجم التراجم محصورة بين معاجم الأدباء أو اللغويين وغيرهم من المفسرين والأطباء بل تنوعت في التصنيف الذي يختصّ بذكر أرباب منطقة معينة، ويمكن أن نعتبرها ضمن قائمة المعاجم المكانية كما هو الشأن في "تاريخ بغداد" * لـ "الخطيب البغدادي" *. هذا ما سوف نعول عليه من خلال هذه الإلتفاتة:

4-4- معاجم التراجم المكانية:

4-4-1- "تاريخ بغداد" لـ "الخطيب البغدادي":

جعل "الخطيب البغدادي" مؤلفه هذا عنوانا يرسم سعة اطلاعه وقابليته في النقد والتمحيص كعالم ناقد، متفنن في ترجيح الروايات المتعارضة. متّخذا من منهج الإسناد مطيّة أو سبيلا في تأريخ الحديث وكذا تأريخ التاريخ بصفة عامة، ولأهمية هذا المصدر في كونه جمع بين الضبطين (الرواية والإسناد)، وضبط الحركة الثقافية من طرق التدريس ومناهج العلماء وغيرها من الحلقات العلمية «والتعريف بالمدارس التي انتشرت في القرنين الرابع والخامس الهجريين التي تعكس لتاريخ بغداد نشاط العلماء ومدى اتصال الحركة الفكرية في المدن الإسلامية ببعضها البعض، وذلك عن طريق ذكره رحلة العلماء في طلب العلم، إمّا تصريحاً أو بواسطة ذكر نسبتهم إلى أكثر من مدينة، وبالتالي يعكس مدى الصلات الفكرية بين تلك المدن». هذا بالإضافة إلى أهمية مصنفه العظمى التي تجلّت في ترجمة حوالي خمسة آلاف ترجمة هم من رجال الحديث من إجمالي 7831 ترجمة هم عدد تراجم الكتاب².

أمّا قيمة "تاريخ بغداد" أو "مدينة السلام" البليوغرافية تتضح من خلال ذكره لأسماء العديد من المصنّفات التي بلغت 446 كتاباً، ألّفت جميعها خلال القرون الثالث، الرابع والخامس الهجري. والتي تنوعت موضوعاتها في مجالات

* - من أعيان أطباء الأندلس وفضلاءها.

¹ - موفق الدين أحمد بن القاسم، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق. ص. 491-493.

* - أطلق على تسميته أيضاً "مدينة العلوم" في قول "الخطيب البغدادي" «هذا تاريخ مدينة السلام، وخبر بناءها، وذكر كبراء نزلها وذكر إراديها وتسمية علماءها»: أبو بكر محمد بن علي، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام. تخ. مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997. ج. ص. 34. (مقدمة المصنّف).

* - هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، ولد يوم الخميس لستّ يقين من جمادى الآخرة سنة (392هـ - 971م)، نشأ في "درزيجان" وهي قرية كبيرة بجنوب غربي بغداد، توفي يوم الإثنين سابع ذي الحجة سنة (463هـ - 1042م)، من مؤلفاته بالإضافة إلى ما استقناها من مادة في الفصل الأول من كتابيه "تقييد العلم" و "الرحلة في طلب الحديث". له أيضاً "الكفاية في علم الرواية"، "الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة" وغيرها: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام. ص. 04-21.

² - المصدر نفسه. ص. 22.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

شتّى، فحظي علم القرآن (57 كتاباً)، والتفسير (24 كتاباً)، و

إلى مقارنة عدد المؤلفات الخاصة بتراجم "تاريخ بغداد" وغيرها المذكورة في كتاب "الفهرست" لابن النديم فتبين أن "الخطيب البغدادي" يفوق "ابن النديم" بـ 298 كتاباً، مما يدل على أهمية الإضافة التي نوّه لها "الخطيب البغدادي"¹.

أمّا منهج "الخطيب البغدادي" في "تاريخ بغداد" فقد حاول أن يقدم ترجمة متكاملة، تحتوي على التعريف بصاحب الترجمة بذكر إسمه، ونسبته وكنيته وشيوخه وتلاميذه، وأحياناً يسرد بعض أخباره الدالة على أخلاقه، ومكانته، ثم أقوال النقاد في بيان حاله من الجرح والتعديل ثم تاريخ وفاته، وربما موضع قبره. ويقول في هذا الصدد: «وهذه تسمية الخلفاء والأشراف والكبراء والقضاة والفقهاء والحدثين والقراء والزهاد والصلحاء والمتأدّين والشعراء من أهل مدينة السلام الذين ولدوا بها أو سواها من البلدان، ومن كان من النواحي القريبة منها، ومن قدمها من أهلها، وما انتهى إليّ من معرفة كنههم وأنسابهم، ومشهور مآثرهم وأحسابهم، ومستحسن أخبارهم، ومبلغ أعمارهم، وتاريخ وفياتهم، وبيان حالاتهم، وما حفظ فيهم من الألفاظ عن أسلاف أئمتنا الحفاظ من ثناء ومدح و ذم و قدح و قبول و طرح و تعديل و جرح»².

فمن خلال إفصاح "الخطيب البغدادي" عن منهج تأليفه لـ "تاريخ بغداد" يتبين لنا أنّ سعة إطلاعه وسمّة دقته في نقد الروايات في الأخبار جعلت من شخصيته تتكامل في كونه محدّث ناقد ومؤرّخ صادق، هذا وبالإضافة إلى أهميّة هذا المصنّف دُيِّل من طرف الإمام الحافظ "محمد الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن المعروف بابن النّجار البغدادي (المتوفى سنة 643 هـ—1222م).

إذا قلنا أنّ ما ذهبنا إليه بنوع من العمق أنّ رحلة المحدثين الأوائل انعكست إيجاباً في الالتقاء بالعلماء الذين ذيعت أصياهم قصد التثبت من الحديث، إسناداً وممتناً وكذا من أجل علو الإسناد، فهذا لا يعني أنّ فائدتها انحصرت في مجال محدود، بل استطاع المسلمون من خلالها التأليف الذي تمتاز فيه الحوادث التاريخية بقرينتها الجغرافية وكان أساس هذه المصنّفات المشاهدة والتجربة بالإضافة إلى «الفضول العلمي الذي عمّقه روح القرن الرابع الهجري»³ في أن ينقلوا لنا حوصلة ما عاشوه من تجارب ممتعة أثناء تجوّلهم في شتّى البقاع فعبرت قريحتهم وحسّهم المرفه عن ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع. وأوّل من تخصّص في هذا النوع من المعاجم الجغرافية "البكري".

¹ - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، المصدر السابق. ص. 23.

² - المصدر نفسه. ص. 227.

³ - محمد صاحبي. المرجع السابق. ص. 227.

4-5- المعاجم الجغرافية أو تقويم البلدان:

4-5-1- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: لـ "أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري" * الأندلسي:

الذي يعبر عن دافعه لوضع هذا الكتاب قائلاً: «فإني لما رأيت ذلك قد استعجم على الناس أردت أفصح عنه بأن أذكر كل موضع مبين البناء معجم الحروف حتى لا يترك فيه لبس ولا تحريف. وقد قال أبو مالك الحضرمي رب علم لم تعجم فصوله فاستعجم محصوله، فإن صحة هذا لا تدرك بالفطنة والذكاء، كما يلحق المستبق من سائر الأسماء، وما أكثر المؤتلف والمختلف في أسماء هذه المواضع مثل ناعجة وباعجة...»¹. فكان ترتيب هذا المعجم حسب الحروف الهجائية. حيث يقول في مقدمة كتابه: «هذا ترتيب الحروف في هذا الكتاب على طريق المغاربة: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ...»². أم عن وصف المعجم وبيان قيمته العلمية والتاريخية فيعبر عنه المحقق في قوله: «هذا معجم ما استعجم من أسماء المواضع والبلاد لـ "أبي عبيد البكري"، هو معجم لغوي جغرافي، يصف جزيرة العرب، ويتقرى ما بها من المعالم والمشاهد، والبلدان والمعاهد، والآثار والحفاد، والمناهل والموارد. ويتتبع هجرة القبائل العربية من أوطانها واضطرابها في أعطائها، وترددها بين مصايفها ومرابعها، ومباديها، ومحاضرها، ويذكر أيامها ووقائعها، وأنسابه، وعشائرها. وهو أثر نفيس من صميم التراث العربي والعلمي»³.

أمّا توثيق الخبر والأمانة العلمية عند هذا المعجمي الجغرافي اللبيب كانتا صفتين بارزتين في مصنفه، إذ يقول: «وأنسب كل قول إلى القائمة من اللغويين والأخباريين المشهورين، وجمع ما أورد في هذا الكتاب من السكوني، فهو من كتاب أبي عبيدة عمرو بن السكوني في جبال قنطرة، ومن محالها تحمل جميع ذلك عن أبي الأشعث بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك الكندي عن غرام بن الأصبع السلمي الأعرابي...»⁴. فعلى الرغم من الشهرة التي اكتسبها "البكري" في معجمه إلا أن "معجم البلدان" لـ "شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي أو الرومي" المتوفى سنة (622 هـ - 1201 م) ببغداد يعتبر أوسع وأدق ما صنفه العرب في مجال تقويم البلدان.

فبالإضافة إلى تميز طريقته بالدقة والغزارة في التنوع، وإيراده للأعلام بذكر الاسم وتوضيحه لطريقة نطقه، ومحاولته لتفسير اشتقاقه مع تمثيله لذلك بشواهد من أقوال الشعراء، كما يبين طول وعرض المكان، يسترسل إلى ذكر نبذة عن المكان وما عُرف عنه من أخبار مع توضيح مواضع ذكره في القرآن والحديث والإنتهاء بذكر صفوة كبار

* - هو أبو عبيد عبد الله بن أبي مصعب عبد العزيز بن أبي زيد محمد بن أيوب بن عمرو البكري، وهو لغوي من الطراز الأول في الأفق الأندلسي، توفي سنة (487 هـ - 1066 م) عن سن عالية. من أشهر مؤلفاته وأهمها بالإضافة إلى هذا المعجم: كتاب اللآلئ في شرح أمالي القاضي، كتاب المسالك والممالك، كتاب الإحصاء لطبقات الشعراء، كتاب إشتقاق الأسماء، كتاب التدريب والتهديب في ضروب أحوال الحروب... وغيرها: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. تح. مصطفى السقا. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1945. مج. 01. ص. ص. (ص. ق).

¹ - المصدر نفسه. ص. (ه).

² - المصدر نفسه. ص. 01.

³ - المصدر نفسه. ص. (خ).

⁴ - محمد صاحبي، المرجع السابق. ص. 264.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

العلماء الذين ينتمون إليه. فإنه لا يقتصر على جزيرة العرب كجهات العالم المعروف. كما له الفضل في الحفاظ على الكثير من أسماء الكتب التي فقدت حين ذكره للمصادر التي استقى منها مادته. هذا ما ذهب إليه "حسين نصّار" في كتابه "المعجم العربي: نشأته وتطوّره"¹.

من خلال إلقاء نظرة عامّة لبعض نماذج معاجم التراجم بأنواعها، نلاحظ أنّ ما تميّز به رُؤاد هذا النوع من الكتابات أنّهم بالرغم من تخصيص معاجمهم لطائفة معيّنة من العلماء سواء كانوا شعراء، لغويين أو نحويين، مفسرين أو أطباء. فإنّ السّمة البارزة في تصانيفهم هي السّمة الموسوعيّة، حيث نجد براعتهم تفوق لأن يكونوا متخصصين في مجال معيّن. فنلمسهم محدّثين تارة، نسابين وإخباريين تارة أخرى، راسمين منهج تقوم النصوص (الإسناد) القائم على مقوّمات المحدّثين الأوائل من نقد وتمحيص...

ومن هنا نؤول إلى أنّ كتب التراجم والطبقات لم تكن مجرد أعمال عفويّة، وإنّما قيمتها أسمى من ذلك في أنّها حفظت لنا ولغيرنا أسماء العديد من العلماء ومصنّفاتهم. هذا ما يستدعي القول بأنّ أصحاب معاجم التراجم بما فيها كتب الطبقات، سواء التي برزت قبل "ابن النديم" أو تلتها كان لها الفضل في رفع الإعجام (الغموض والإبهام) المتعلّق بالمفردات أو الأعلام. وبوعيتها السديد هيأت الأرضيّة لما يعرف الآن بالضبط البليوگرافي أو معرفة أحوال الكتب والكتّيبين، بالرغم من أنّها لم تحظ لأن تنظّم تحت مظلة الأعمال البليوگرافية المألوفة. وعلى هذا الأساس يمكن القول بأنّ كتب التراجم بمختلف أنواعها، وطرق ترتيبها تميّزت ولو بشكل نسبي بمحاولة الضبط البليوگرافي، إذ كان لها تأثير لا محالة في ظهور أعمال بليوگرافيّة خالصة. هذا ما سوف ننتهي إليه في العنصر الموالي.

¹ - محمّد صاحبي، المرجع السابق. ص. 265-266.

5- نظرة عن بعض الأعمال التصنيفية المهيّنة للضبط البليوغرافي

لقد دفعت النهضة الشاملة في مجال التأليف والترجمة عددا كبيرا من العلماء إلى اتجاهين من الدراسات، التي تهتم بالعلوم والكتب ذات العلاقة التكاملية، يقتضي الأول وصف العلوم ومحاولة وضعها في إطار تصنيفي معيّن وفقا لعلاقتها ووظائفها، هذا ما يُعرف في وقتنا بـ "التصنيف": Classification*. أمّا الثاني فيقتضي التعريف بالكتب ومؤلفيها (علم دراسة أحوال الكتب). وما انجرّ مع ازدهار المراكز الثقافية والعلمية في مختلف البلدان الإسلامية من انتشار استخدام الورق* منذ القرون الأولى من تاريخ الدولة الإسلامية. مجموع ذلك أدّى إلى تشابك العلوم وظهور الحاجة الملحة إلى تنظيم المعرفة وترتيب علومها؛ فكانت النتيجة نزوع بعض العلماء والفلاسفة نحو ظاهرة لم تكن مألوفة عند المسلمين آنذاك. ألا وهي حصر العلوم وتبويبها، وتصنيفها والتعريف بها لما يتماشى ونظريات المعرفة السائدة وقتذاك. ويأتي على رأس هؤلاء العلماء الذين عبّدوا الطريق لـ "ابن النديم" وهيئوا أرضية خصبة لبروز منهجية حصر المؤلفين والمؤلّقات:

5-1- الفارابي*: وكتابه "إحصاء العلوم" الذي سَمّاه "ابن النديم" بـ "مراتب العلوم"¹. تناول فيه علوم عصره، وبوّها، وعرّف بها. حيث يقول "الفارابي" شارحا المغزى من تأليف كتابه: «قصّدا في هذا الكتاب أن نُحصي العلوم المشهورة علما علما، ونعرّف جمل ما يشتمل عليه كلّ واحد منها، وأجزاء كلّ ما له منها أجزاء، وجمل ما في كلّ واحد من أجزائه... وينتفع بما في هذا الكتاب الإنسان إذا أراد أن يتعلّم علما من هذه العلوم وينظر فيه، علّم على ماذا يُقدّم، وفي ماذا ينظر، وأيُّ شيء سيفيد نظره، وما غناء ذلك، وأيُّ فضيلة تنال به، ليكون إقدامه على ما يقدم عليه من العلوم على معرفة وبصيرة، لا على عمى وغرر»².

من خلال مقصد "الفارابي" لتأليف مؤلّفه يتّضح لنا أنّه نظر نظرة ثاقبة إلى ضرورة فكّ الإعجام الحاصل نتيجة تشابك العلوم لتوضيح طبيعة العلم وحدوده، وكذا التمييز بين مختلف المفاهيم التي تخدم كلّ علم على حدة. من هنا

* - التصنيف: Classification: يعرفه "بالدون" في "Dictionary of philosophy" بأنّه عملية جمع الأشياء المتشابهة، أمّا "برودفيلد" "Broadfield" يرفض هذا التأكيد على التشابه، ويرى أنّ الاختلاف قد يكون ذا أهميّة أكبر. وتقادي "بليس" الجدّ حول هذه النقطة، وأعطى تعريفا لعلّه أكثر التعريفات إفادة؛ فيقول: «التصنيف عبارة عن سلسلة أو نظام من الأشياء، تُسَقّت في ترتيب ما، وفقا لمبدأ أو غرض أو تصوّر أو مصلحة ما، أو مزيج من هذه جميعا...»: عبد الوهاب أبو السلام أبو النور، المرجع السابق. ص. 210-212.

* - (الورق: (بفتح الراء)، إسم جنس يقع على القليل والكثير، واحده ورقة، وجمعه أوراق، وجمع الورقة ورققات. وبه يسمّى الرجل الذي يكتب ورّاقا، وقد نطق القرآن الكريم بتسميته قرطاسا وصحيفة، ويسمّى أيضا الكاغد (بغين ودال مهملة)، ويُقال للصحيفة أيضا طرُس ويُجمع على طروس: أبو العباس أحمد بن علي الفلقشندي، المصدر السابق. مج. 02. ص. 487.

* - الفارابي: هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي نسبة إلى فاراب الداخلية، وهي إحدى مقاطعات فارس، لا يعرف أحد تاريخ مولده بالضبط. إنّما يُظنّ أنّه وُلد حوالي سنة سنّتين ومائتين للهجرة (260 هـ - 839 م)، وبلغ عمره ثمانين عاما، أي أنّه توفي نحو سنة تسعة وثلاثين وثلاثمائة للهجرة (339 هـ - 918 م). من أهمّ مؤلّفاته: الجمع بين رأي الحكيمين: أفلاطون وأرسطوطاليس، معاني العقل، عيون المسائل، إحصاء العلوم... دائرة المعارف العربية في علوم الكتب والمكتبات والمعلومات. شعبان عبد العزيز خليفة. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، يناير، 2000. ص. 241-242.

¹ - ابن النديم، المصدر السابق. ص. 323.

² - أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم. تج. عثمان محمد أمين. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1931. ص. 02.

يُوجّه الباحث بصفة عامّة إلى أنفع وأفضل العلوم وأوثقها. فهذا في مجال تصنيف العلوم وتبويبها.

وللتوضيح فقط، فإنّ كتابه هذا مقسّم إلى خمسة فصول تحتوي على ثمانية علوم أساسية وهي: علم اللسان (خمس أجزاء)، علم المنطق وأقسامه (إحدى عشر جزء)، علم التعاليم وينقسم إلى سبعة أجزاء، العلم الطبيعي والعلم الإلهي وينقسم إلى جزئين، وأخيراً العلم المدني وعلم الفقه وعلم الكلام (ثلاث أجزاء).

كما أتى بعد "الفارابي" وتعاصر مع "ابن النديم":

5-2- الخوارزمي*: ومؤلفه "مفاتيح العلوم"* الذي حاول من خلال تصنيفه رصد ترتيب العلوم المعروفة في عصره، فاعتبر بذلك كتاباً موسوعياً يحتوي على معلومات عامّة عن العلوم المختلفة وشرح مختصر لمصطلحاتها¹. فهو دراسة جديدة تهدف إلى تصنيف العلوم وذكر المواضيع التي تشتمل عليها هذه العلوم².

وقبل أن يبدأ "الخوارزمي" بالحديث عن العلوم وتقسيماتها وحدودها وماهيتها، يلهمنا في مقدّمة كتابه عن هدفه من إنجاز هذه الموسوعة فيقول: «ولما قصر الله همّة الشيخ الخليل السيد أبي الحسن عبيد الله بن أحمد (العتبي) أطال الله بقاءه وأدام للزمان بهاءه على حبّ العلم وأهله، وإيواءهم إلى ظليل ظلّه، وإيلاء قاصيهم ودانيهم عوائد برّه وفضله دعيتي نفسي إلى تصنيف كتاب باسمه النابه أعلاه الله يكون جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، ومضمّناً ما بين كلّ طبقة من العلماء من الموصفات والإصطلاحات التي خلت منها أو من جلّها الكتب الحاصرة لعلم اللّغة حتّى إنّ اللّغوي المبرز في الأدب إذا تأمّل كتاباً من الكتب التي صنّفت في أبواب العلوم والحكمة، ولم يكن مأّ صدراً من تلك الصناعة لم يفهم شيئاً منه، وكان كالأمّي الأعتم الذي لا نظر فيه»³.

وما يلاحظ أنّ "الخوارزمي" لم يكن يتوخّى من خلال كتابه تقسيم المعرفة كما فعل سابقه "الفارابي"، وإنّما يريد وضع موسوعة مختصرة للعلوم ومصطلحاتها⁴. موضحاً ذلك في مقدّمته بقوله: «فمن قرأه وحفظ ما فيه ثمّ نظر في كتب الحكمة هدّها هدّاً، وأحاط بها علماً، وإن لم يكن زاوها ولا جالس أهلها»⁵.

* - الخوارزمي: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، وُلد في بلخ دون أن يُعرف بالتحديد تاريخ ولادته، إلا أنّ وفاته كانت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري سنة (387 هـ - 997 م). وقد جرى "المفريزي" على تلقيه بـ "البلخي" في كتابه "الخطط": أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، مفاتيح العلوم. تج. نهى التجار. بيروت: دار الفكر اللبناني، 1993. ص. 26-27.

* - وضع الخوارزمي "مفاتيح العلوم" نحو عام (397 هـ - 976 م): المصدر نفسه. ص. 27.

¹ - سعود بن عبد الله الحزيمي، المرجع السابق. ص. 71.

² - عبد التواب شرف الدين، نظم المعلومات الببليوغرافية. القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، 1998. ص. 15.

³ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، المصدر السابق. ص. 62.

⁴ - محمد صاحبي، المرجع السابق. ص. 309.

⁵ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، المصدر السابق. ص. 63.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

وقد قام المؤلف بتقسيم كتابه هذا إلى مقالتين تحتوي

وتحتوي المقالة الثانية على تسعة أبواب، وفيها واحد وأربعين فصلا. وذلك بتخصيص المقالة الأولى للعلوم الشرعية والعربية كالفقه، والكلام والنحو. وخصّص الثانية لعلوم أخرى مثل: الفلسفة، المنطق والطب وغيرها. ويقول في ذلك: «وجعلته مقاليتين إحداهما لعلوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية، والثانية لعلوم العجم من اليونانيين وغيرهم».

من خلال ما تقدّم يمكن ربط أهمية كتب تصنيف العلوم من خلال هذين المؤلفين "إحصاء العلوم" للفرابي و"مفاتيح العلوم" للخوارزمي وغيرهما ممّا يصعب حصرهم في هذا المقام؛ بالكتب البليوغرافية، كون الأولى تُيسّر التعرف على طرق تنظيم المؤلفات ذو الصبغة البليوغرافية، حيث استخدمت التقسيمات والتصانيف التي توصّل بها مؤلفوها كأساس لتنظيم الأعمال البليوغرافية العربية.

فظاهرة تصنيف العلوم وتبيين طبيعتها وحدودها جرّت إلى قرينتها التي تكاد تكون لصيقة بها أو ذيلا لها، إذ كان لابدّ من تأليف يذكر على ضوء هذا التقسيم أسماء العلوم موزعين على ميادينهم العلميّة، مشفوعا بأسماء كتبهم مع التعريف بها. فكان هذا العبء أثقل وأضخم من الأوّل، فالأمر مع الأوّل يكفيه علم، وهو مع الثاني يتطلّب إلى جانب العلم استقصاء واسعاً، ونظراً كثيراً، ورجوعاً إلى الكتب إن توفّرت، ثمّ الإعتماد على فهارس المكتبات، وهذا الجهد ليس باليسير في عصر لم تكن وسائل التمكين فيه هيّنة أو سهلة المنال.¹

هذا ما سوف نُعرّج عليه من خلال تفحص بعض مصادر من تصدّى للخوض في هذا العمل الشاق، انطلاقاً من قاعدة أساسها أنّ ما من دراسة لظاهرة من الظواهر إلّا والبدء بتحليل مكوناتها لتبيّن ماهيتها.

وفي هذا ارتأيت أن أُلقي الضوء على أهمّ الأعمال البليوغرافية التي كان لها الفضل في إتمام ما بدأوه الأوائل من توثيق وتمحيص انطلاقاً من منهج الإسناد، بما فيه من جرح وتعديل. هذا ما سعى إليه المحدثون في تنقية السّنة من الشوائب، وتابعهم بنفس المنهجية الأخباريون بصفة عامة، وكذا الخوض في معاجم التراجم والطبقات التي كانت أساساً ومرجعاً أصيلاً لمصادر الثقافة العربية الإسلامية، بالإضافة إلى ما تنبّه إليه مصنّفوا العلوم حسب ما اقتضت إليه الحاجة، كنتيجة منطقية انبثقت من وعي لخطورة التعامل مع التضخّم والانفجار المعلوماتي. هذا كلّ استدعى إلى حصر وضبط بليوغرافي، في كونه الوسيلة المثلى للتعريف بالمؤلفات ومراتبها ومصادرها. ومن هنا يمكن أن نُحوّر بعض التساؤلات التي نحاول من خلالها رسم صورة شاملة عن أعمال بليوغرافية، كانت مجال اهتمام الباحثين في التنقيب والبحث عن أصولها العميقة في تاريخ الثقافة العربية، والتي يمكن أن ترقى لأن تكون ثمرة جهود من كان التحقيق والضبط أساسين لمدوّنتاتهم منذ العصور الأولى من تاريخ الثقافة العربية الإسلامية. هذا ما سوف نتناوله بالعرض الموجز لبعض نماذج البليوغرافيات

¹ - إبراهيم الأبياري، «الفهرست لابن النديم». مجلة تراث الإنسانية. [د.م.]: الدار المصرية للتأليف والترجمة. ع. 01، 1966. مج. 03. ص. 195.



الشاملة التي قدّمها لنا صفوة من العلماء في أزمنة مختلفة منذ زمر الذي إن لم يعرفوه العرب بتسميته الحديثة "الببليوغرافيا" فإنّ مفهومه مألوف عندهم معنىً وصناعة؟، ماهي مختلف الأعمال الببليوغرافية التي شاعت في مختلف العصور الإسلاميّة؟، وما الهدف من إنشاءها؟، وما هو منهجهم في التأليف؟، وهل كانت حقاً أعمالاً متناسقة متكاملة تعكس الإنتاج الثقافي وتعرّف به؟. ولإحاطة بهذه الإشكاليّات، انتقيت أعمالاً موزّعة زمنياً، واتّخذت من المنهج التاريخي الكرونولوجي أساساً للوقوف عند المحطّات البارزة في مجال الحصر والضبط الببليوغرافيين.

6- دراسة تحليلية لبعض الأعمال البليوغرافية العربية التراثية

6-1- ابن النديم ومؤلفه "الفهرست":

6-1-1- ابن النديم:

هو محمد بن إسحاق بن يعقوب بن النديم البغدادي الورّاق، ويكنّى بـ "أبي الفرج". تكاد تكون سيرته مجهولة، إذ لا يُعرف تاريخ ميلاده ووفاته، ولا تاريخه العلمي ونشأته وارتحاله، ولو بصفة تقترب إلى الدقة. وكلّ ما يوحى إليه أنّه كان ورّاقاً ينسخ الكتب ويبيعها في بغداد خلال القرن الرابع الهجري، وقد انتهى من تأليف كتابه "الفهرست" في سنة 377 هـ¹. كما بيّن ذلك في مقدّمته التي اشتملت على قول يصف فيه غرضه من تأليف فهرسته. هذا ما جعل "إبراهيم الأبياري"^{*} يقول أنّ «قِلّة المكتوب عن "ابن النديم" جعل المتصلين بكتابه "الفهرست" يُفتشون بين ثنايا هذا الكتاب، علّهم يجدون شيئاً يلقي ضوء على حياته»².

والشيء الغريب حقّاً أنّ كتب التراجم التي فصّلت في تراجم رجال هذا القرن -الربع الهجري، العاشر الميلادي-، واستوعبت تراجم البغداديين استيعاباً شديداً قد أهملته، ولم تورد له ذكراً. فـ "الخطيب البغدادي" صاحب "تاريخ بغداد" المذكور آنفاً، قد أغفل ذكر "ابن النديم"³. ولم يكن هو الوحيد الذي لم يُترجم له، فـ "القفطي"^{*} صاحب "تاريخ الحكماء"، و"ابن خلكان"^{*} صاحب "وفيات الأعيان"، ينقلان عن "ابن النديم" في مواضع عديدة؛ لم يُترجما له، إنّما تحدّث الأوّل عنه بإيجاز في كتابه "إنباه الرّواة على أنباه النّحاة" قال فيه: «فمّن قال ذلك محمد بن إسحاق أبي يعقوب أبو الفرج المعروف بابن النديم، وكان كثير البحث والتفتيش عن الأمور القديمة، كثير الرغبة في الكتب وجمعها وذكر أخبارها، وأخبار مصنّفيها ومعرفة خطوط المتقدّمين...»⁴.

ومن الذين أنصفوا "ابن النديم"، وقدّروا إنتاجه "ياقوت الحموي" -المعجمي المشهور- صاحب أكبر معجمين في البلدان وفي تراجم الأدباء المذكورين سابقاً، قال في ترجمته له: «هو محمد بن إسحاق النديم كنيته أبو الفرج وكنية أبيه

¹ - عبد التّواب شرف الدين، «روائع التراث الإسلامي: الفهرست لابن النديم». المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات. تونس: المعهد الأعلى للتوثيق. ع. 04، مارس، 1986. ص. 74. أنظر أيضاً: عبد الستار الحلوجي، دراسات في الكتب والمكتبات. المرجع السابق. ص. 93.

^{*} - "إبراهيم الأبياري": أحد المحقّقين في مجال التراث العربي الإسلامي.

² - إبراهيم الأبياري، المرجع السابق. ص. 199.

³ - عبد الستار الحلوجي، دراسات في الكتب والمكتبات، المرجع السابق. ص. 93.

^{*} - القفطي: هو علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي، أبو الحسن جمال الدين، وُلد بقط من الصعيد الأعلى بمصر سنة 568 هـ/ 1172 م. سكن حلب ووُلّي القضاء ثمّ الوزارة، ولُقّب بالوزير الأكرم، توفي بحلب سنة 646 هـ/ 1248 م: خير الدين الزركلي، الأعلام، المصدر السابق. مج. 05. ص. 33.

^{*} - ابن خلكان: أحمد بن محمد بن إبراهيم الدين أبو العباس البرمكي الأربيلي الشافعي، وُلد في أربيل سنة (608 هـ- 1211 م)، توفي بدمشق سنة (681 هـ- 1281 م)، من مؤلفاته المشهورة: "وفيات الأعيان" الذي ألفه ما بين سنتي (654 هـ- 1256 م/ 672 هـ- 1254 م): عباس سليمان، المرجع السابق. ص. 265.

⁴ - إبراهيم الأبياري، المرجع السابق. ص. 200.

أبو يعقوب، مصنف كتاب "الفهرست" الذي جود فيه واستوعب الكتب... صنف هذا الكتاب سنة ثلاثمائة وسبع وسبعين¹.

أمّا المؤرّخ الشهير "شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي" المتوفى سنة (748 هـ) قال عنه: «هو محمد بن إسحاق النديم البغدادي، أبو الفرج الأخباري الأديب الشيعي المعتزلي، صاحب التصانيف، فمن كتبه: كتاب "الفهرست" وكتاب "التشبيهات" *...»².

أمّا "ابن حجر العسقلاني" * فكان أشدّ الناس تحريجا لابن النديم، حيث كال له الشتائم بسبب اتهامه بالتشيع والإعتزال، وذكر ذلك في مصنفه "لسان الميزان" حيث يقول: «ولما طالعت كتابه ظهر لي أنّه رافضي معتزلي، فإنّه يسمّي أهل السنّة الحشويّة، ويسمّي الأشاعرة المجبرة، ويسمّي كلّ من لم يكن شيعيا عاميا...»³.

من خلال هذا الطرح، يجمع الباحثون في هذا المضمّار أنّ إغفال بعض مؤلّفي التراجم لترجمة "ابن النديم"، كون "ابن النديم" سابق لعصره، هذا ما جعل كتاب هذا النوع من التّأليف غير متنبّهين إلى موهبته وعمله العلمي العظيم إلّا بعد وفاته بفترة طويلة، ومن هنا كانت معلومات حياته قد اندثرت، كما يرجع السبب جزئيا إلى توهم بعضهم كـ "ابن حجر" مثلا إلى تشييعه واعتزاله سببا وجيها لإهمال ترجمته عند لاحقيه ممّن اعتنوا بتاريخ الرجال والأدباء⁴.

ولهذا يمكن الإجماع بين ثلاث فرق في تأييدهم لوفاة "ابن النديم"، فأغلبية المؤلّفين يميلون إلى سنة 380 هـ. ومنهم من يستقصي سنة وفاته حتى عام 385 هـ، كما ذهب إلى ذلك "ابن النجّار" في كتابه "ذيل تاريخ بغداد". وهناك من يرجع وفاته بعد ذلك في زمن متأخّر عن الستين الأوّليتين أي بعد الأربعمئة، كما ذهب إلى ذلك "ابن حجر العسقلاني"⁵.

فبالرغم من أنّ كلّ محاول للتنقيب والبحث عن حياة "ابن النديم" بصفة عامة، سواء في مختلف الإستنتاجات التي يوردها كتابه "الفهرست"، أو المؤلّفات التي تُعنى بتاريخ الرجال. لا يفلت محاولها من شبه يقين، إلّا أنّه يخلص إلى بعض السنوات التقريبية التي تدلّ في مجملها أنّه من رجال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي. والشيء الوحيد الذي يُشفي

¹ - عبد الكريم الأمين، المرجع السابق. ص. 534.

* - يُدعى أيضا كتاب "الأوصاف والتشبيهات"، لم يُرَ عليه أثر: Henri-jean martin. Op. cit. p. 31.

² - محمد صاحبي، المرجع السابق. ص. 364.

* - لقد تمّ ترجمته باختصار في الفصل الأوّل في النقطة المتعلقة بجهود العلماء للتخلّص من العلم الموضوع، فاستدللت بمصنّفه "الإصابة في تمييز الصحابة" كأحد الكتب المصنّفة في الجرح والتعديل.

³ - إبراهيم الأبياري، المرجع السابق. ص. 197.

⁴ - أرجع في ذلك إلى شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 196. وأيضا: مقالة عبد الكريم أمين، المرجع السابق. ص. 543.

⁵ - انظر: إبراهيم الأبياري، المرجع السابق. ص. 197-200. وانظر أيضا: أطروحة الدكتور محمد صاحبي، المرجع السابق. ص. 364.

غليل المستقصي الذي لم يصل في نهاية المطاف إلى حُجّة قطعٍ سوف نُحيل إليه الكلام بالتعريف به في هذه النقاط التالية.

6-1-2-الفهرست *

يعتبر الفهرست أقدم وثيقة شاملة تبين مبلغ ما وصلت إليه الحياة العقلية الإسلامية في عصر من أزهى عصور الحضارة، وهو عصر بني العباس، ولولاه لضاعت أسماء العديد من كتب تراثنا وأوصافها.

6-1-2-1-تسمياته:

إنّ ما أجمع عليه أنّ اسم كتاب "الفهرست" لا "الفهرس"، وأنّ هذا العنوان لا يحمل إلى جانبه لفظاً آخر¹، إلّا أنّ عدداً قليلاً جداً من المصادر قد أضافوا كلمات لا شك أنّها أكسبته طابعاً شارحاً لمعناه، فنجد "ياقوت الحموي" في "معجم الأدباء" ذكره على أنّه "فهرست الكتب"، وأطلق عليه "ابن حجر العسقلاني" "فهرست العلماء"²، وأسماء "الصفدي"³ "الفهرست في أخبار الأدباء"، أمّا "حاجي خليفة" فقد سمّاه "فهرس العلوم"، وتبعه بنفس المنوال "إسماعيل البغدادي" في مؤلّفه "هدية العارفين"⁴، وأطلق على تسميته "فوز العلوم"، ويعرّفه بأنّه «كتاب الفهرسة» في الأخبار والتراجم وأنواع العلوم⁴.

بالرغم من أنّ هذه التسميات اختلفت أوصافها، إلّا أنّها تصبّ في نفس المعنى، وهو الحصر الببليوغرافي للمؤلّفين ومؤلّفاتهم. ولكي نتعرّف سوياً عمّا قصده "ابن النديم" من كتابه هذا بشكل دقيق. يجب أن نتفحص في ثناياه عن الغرض الذي أراد "ابن النديم" تحقيقه.

6-2-1-2-غرض ابن النديم من وضع "الفهرست":

لقد حدّد "ابن النديم" الإطار العام لكتابه الفهرست مبيناً الغرض من تأليفه قائلاً: «هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب وقلمها، في أصناف العلوم وأخبار مصنّفيها، وطبقات مؤلّفيها،

* - ارجع (في هذا الفصل) إلى أصل الكلمة ومعناها في النقطة المتعلقة بالمصطلحات المرتبطة بالببليوغرافيا.

¹ - إبراهيم الأبياري، المرجع السابق. ص. 201.

² - عبد الستار الحلوجي، دراسات في الكتب والمكتبات. المرجع السابق. ص. 94.

* - الصفدي: هو الخليل بن أيّك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين. أديب ومؤرخ كثير التصانيف الممتعة، وُلد في صفد في فلسطين سنة (696 هـ - 1296 م) وإليها نسبته، تعلم بدمشق فمهر بصناعة الرسم ثمّ ولع بالأدب وتراجم الأعيان، توفي بدمشق سنة (764 هـ - 1363 م). له زهاء مائتي مصنّف منها: الوافي بالوفيات، وهو في التراجم: خير الدين الزركلي، المصدر السابق. مج. 03. ص. 315-316.

³ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 197.

* - سوف نتطرّق إليه لاحقاً، كونه ذليلاً لأهمّ عمل ببليوغرافي سار في القرن الحادي عشر، ألا وهو: "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون".

* - ذهب "أحمد شوقي بنين" في مؤلّفه المذكور أنّا أنّ فهرست ابن النديم لم يكن كتاباً في الفهرسة بقدر ما هو كتاب ببليوغرافي بهر بتنسيقه وتنظيمه وتصنيفه المحذّنين من المستشرقين والأخصائيين في الأدب الببليوغرافي.

⁴ - عبد الستار الحلوجي، دراسات في الكتب والمكتبات، المرجع السابق. ص. 94.

وأنسابهم وتاريخ مواليدهم، ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم، وأخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة».

من خلال قول "ابن النديم" في وصف كتابه يتبين لنا أنه بالرغم من أنه استعمل لفظ "الفهرست"، إلا أنه كان يقصد الحصر الببليوغرافي الشامل، بأوسع معاني الكلمة وأدقها². عن طريق حصر وتسجيل ووصف الكتب التي وُرفت (نُشرت) في العالم الإسلامي باللغة العربية، سواء كانت مؤلفة أو مترجمة³. ولم يقف عند حدّ إحصاء الكتب بل تجاوزه إلى الكلام في حياة المؤلفين وأخبارهم، والكلام في أصناف العلوم وأساليب الدراسة و البحث عند العرب و ما يتعلق بشؤون الثقافة والحضارة الإسلاميّتين.

فهو بذلك لم يقف عند موضوع معيّن فيكون ببليوغرافية موضوعية، ولا عند إقليم معيّن، فيكون ببليوغرافية قومية أو وطنية*، وإنما هو يتسع به ليستوعب كل ما أُلّف في لغة العرب أو ترجم إليها من اللغات الأخرى في شتّى فروع المعرفة منذ أقدم العصور حتّى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة (377هـ)⁴.

6-1-2-3- أقسام "الفهرست" ومحتوياته:

قسّم "ابن النديم" كتابه إلى عشرة أبواب سمّاها مقالات، وقسّم كلّ مقالة منها إلى فصول سمّاها فنونا، وبهذه الأبواب، والفصول استوعب المؤلف معظم الكتب والمؤلفين التي عرفتها الثقافة العربية الإسلامية آنذاك. إذ قسّم المادة العلمية إلى عشرة مقالات، وكلّ مقالة إلى فنون، وهذه الفنون تتفاوت عدداً تحت كلّ مقالة، بل إنّ المقالة العاشرة لم يتم تقسيمها. ولقد بلغ مجموع الفنون إذا اعتبرت المقالة العاشرة فناً واحداً، ثلاثة وثلاثين فناً⁵. ومن هنا تجدر الإشارة إلى محتوياته قصد التعرف على المبدأ أو المنهج العام الذي انطلق منه "ابن النديم" في التصنيف.

¹ - ابن النديم، المصدر السابق. ص. 07.

² - عبد التواب شرف الدين، نظم المعلومات الببليوغرافية، المرجع السابق. ص. 16.

³ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 197.

* - بما أنّ الدراسة لا تسمح لنا بالإطّباب في أنواع الببليوغرافيات التي تتفرّع وتشابك إلى درجة أصبحت غير قابلة للتحديد الدقيق لها، ولأنّ ما يهّمنا أكثر منها ما ينسجم بالشموليّة، ولهذا أفضل أن أحيل إلى بعض المراجع التي اعتنت بهذه النقطة:

- ربحي مصطفى عليان، مقدّمة في علم المكتبات والمعلومات.

- مجبل لازم مسلم المالكي، المراجع: التطوّرات الحديثة في أساليب الخدمة المرجعية وأجائاتها.

وهناك مقالة قيّمة في هذا المجال لفوزية مصطفى محمد عثمان. تحت عنوان: «الببليوغرافيا: مفهومها، أهميّتها، تقنيّاتها». مجلة المكتبات والمعلومات العربية. Marcelle beaudiquez. Guide de bibliographie générale: méthodologie et pratique وهناك مرجع باللغة الفرنسية يهتم بالتفصيل في أنواع الببليوغرافيات

⁴ - عبد التواب شرف الدين، نظم المعلومات الببليوغرافية، المرجع السابق. ص. 16.

⁵ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 198.

* - انظر الملحق رقم 01.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

إنَّ مجمل الصفحات المكوّنة لمقالات "ابن النديم" في

مجال محدّد متجانس الموضوعات: مجال المقالة الأولى عام وهي ثلاثة فنون. حصّص الفن الأول لنشأة اللغة والكتابة وتطوّرها، والفن الثاني درس فيه الكتب المقدّسة الخاصّة بالدين اليهودي والدين المسيحي، أمّا الفن الثالث فقد خصّصه للقرآن الكريم وعلومه¹.

وتنحصر عدد صفحات المقالة الأولى من صفحة (13 إلى 59)، والمقالة الثانية تدور حول النحو والنحويين، وما يتّضح هنا أنّ التصنيف هنا قام على أساس العلم (النحو ثمّ النحويين) وهي تتكوّن من ثلاثة فنون من صفحة (61 إلى 116)، أمّا المقالة الثالثة فكان التصنيف فيها على أساس العلوم أو الفنون المتمثّلة في الأخبار والآداب والسير والأنساب، والتي تنوّع على ثلاثة فنون. وبلغ عدد صفحات هذه المقالة 73 صفحة من صفحة (117 إلى 190)، أمّا المقالات الثلاث التالية يكون التصنيف فيها على أساس العلوم، وهذا يبيّن من خلال عناوينها. فالمقالة الرابعة حول الشعر والشعراء إلى قتين. وعدد صفحاتها 17 صفحة، من صفحة (191 إلى 208)، وهي أصغر المقالات حجماً، أمّا المقالة الخامسة تدور حول الكلام والمتكلّمين، وهي خمسة فنون، عدد صفحاتها 35 صفحة. ما بين صفحة (209 - 244)، وتليها المقالة السادسة في الفقه والفقهاء، وتحتوي على أكبر عدد من الفنون (ثمانية فنون)، عدد صفحاتها 47، تنحصر ما بين (245 - 292). وتتطرّق المقالة السابعة إلى العلوم البحتة والتطبيقية، كما سمّاها "شعبان عبد العزيز خليفة" بفنونها الثلاث: الفلسفة الطبيعية، الهندسة والرياضيات والفلك، وأخيراً الطب، ومُجمّل صفحات هذه المقالة 72 صفحة، من صفحة (293 - 365). وعالجت المقالة الثامنة مجال الترفيه والسحر، وهي على ثلاثة فنون، تكتسي (20 صفحة)، ما بين (366 - 386)، أمّا المقالة التاسعة فكانت حول المذاهب والإعتقادات، وهي فنّان، احتوت على (41 صفحة) من (387 - 427). أمّا المقالة العاشرة والأخيرة فلم تُقسّم إلى فنون بل إنّما يدور الحديث فيها حول الكيميائيين والصنوعيّين، وتتألّف بين (13 صفحة) من (428 حتى 441 صفحة).

من خلال إلقاء نظرة عامة حول منهج تصنيف ابن النديم في تبويبه وتفرّيعه على هذا النحو الواسع الذي لخصّته مقالاته العشر و ما احتوته من فنون. لا ريب في أنّ تنوّع الكتب بين يدي "ابن النديم"، جعلت منه أن يُحوّر تصنيفاً علمياً موضوعياً للإمام بكلّ علم ومؤلّفه*. ومن هنا فلقد استوعب "ابن النديم" معظم المؤلّفات والمؤلّفين في الثقافة العربيّة خلال عصورها الأولى.

* ابن النديم، الفهرست. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1994. 464 ص. (وهي الطبعة المعتمد عليها في كامل الدراسة).

¹ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 198.

* هذا بالإضافة إلى أنّ عبد الستار الحلوجي في كتابه "دراسات في الكتب والمكتبات" لم يستبعد على أن يكون "ابن النديم" متأثراً في تقسيمه العشري بـ "عيون الأخبار" لابن قتيبة، و"طبقات فحول الشعراء" لابن سلام، وكتب الحماسة لأبي تمام، التي جعلت التقسيم العشري أساساً لأعمالها.

ومهما يكن من أمر فقد هذا كثير من الببليوغرافيين أو

مثل "طاش كبري زادة" و"حاجي خليفة"¹. كما استفادت من التصنيف العملي لابن النديم وباقي التصنيفات المعرفية

كالفارابي معظم التصنيفات الغربية، كالتصنيف العشري "ديوي" CDD (Classification Décimale Dewey) في تقسيمه العشري للمعرفة². ولهذا يعتبر "الفهرست" لابن النديم مصدراً أساسياً لتاريخ التأريخ بصفة عامة.

6-1-2-4- منهج ابن النديم في ترتيب مادة الفهرست:

لقد سار ابن النديم في تأليف كتابه على منهج موضوعي سبق فيه غيره من الباحثين في عصرنا الحالي ليصبح رائداً في التأليف الموسوعي الببليوغرافي لدى علماء المسلمين.

بالرغم من أن "ابن النديم" يبين في مقدمته أنه يسعى إلى ذكر الكتب ومؤلفيها بشيء من الاختصار، في قوله: «رب يسر برحمتك النفوس أطل الله بقاءك، تشرّب إلى النتائج دون المقدمات، وترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل في العبارات...». إلا أن هذا المبدأ قد لا يتحقق في كثير من المواضع.

حيث اعتمد الترتيب العام للفهرست على تقسيم العلوم إلى قسمين أساسيين: القسم الأول: خاص بالعلوم الإسلامية، ويتألف من المقالات الستة الأولى، أما القسم الثاني فيهتم بالعلوم والمواضيع غير الإسلامية من فلسفة وعلوم قديمة وديانات ومذاهب. وعلى أساس هذا الترتيب يتبين أن "ابن النديم" قد أحترم التدرج الزمني لظهور وتطور العلوم عند المسلمين؛ إذ كانت الأسبقية للعلوم الإسلامية عن العلوم الأجنبية الأخرى³.

هذا عن تقسيم العلوم وترتيبها بصفة عامة، أما عن منهج التأليف، فإن "ابن النديم" يبدأ كل مقالة بمقدمة تمهيدية تتضمن تعريفاً لكل علم من العلوم التي يتناولها في تلك المقالة، مع حرصه على تقديم ترجمة للذين كتبوا فيه. فيذكر شيء من تاريخ حياتهم، ويحدد سنتي ولادتهم ووفاتهم إذا تيسر له ذلك. ثم يذكر مؤلفاتهم مع وصف كل كتاب فيحدد موضوعه وعدد أجزاءه أو أوراقه والخط الذي كتبه به، وأحياناً كان يقوم بتقويم الكتاب ويذكر رأيه فيه بعد أن يوضح أسلوب اتصاله به سواء بالقراءة أو الرواية عن الغير⁴.

* - سوف نتناول بالدراسة إن شاء الله هذين العاملين الببليوغرافيين اللذان راجا بعد القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي.

¹ - عبد المنعم محمد موسى، «المكتبة القومية»، مجلة المكتبة وعروبة الخليج. جامعة البصرة: مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، تشرين الأول، 1975. ص. 204.

² - عبد التواب شرف الدين، «روائع التراث الإسلامي: الفهرست لابن النديم». المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات، المرجع السابق. ص. 82.

³ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 198. / محمد صاحبي، المرجع السابق. ص. 170-173.

⁴ - فوزية مصطفى عثمان، «من تاريخ الببليوغرافيا». مجلة المكتبات والمعلومات العربية. الرياض: دار المريخ للنشر. ع. 01، يناير، 1989. ص. 74.

هذا منتهى ما وصل إليه "ابن النديم" في الدقة، ليكون

حصرها نحو ثمانية آلاف وخمسمائة كتاب (8360 على وجه اليقين)، أما عدد المؤلفين فيدور حول ألفي مؤلف، كما احتوى "الفهرست" على 13.000 وصفة بليوغرافية².

وللتنويه فقط، فقد ترددت في "الفهرست" ثلاثة أشكال من الإنتاج الفكري: الكتاب، الرسالة، المقالة. مما يوحي أنّ استخدام "ابن النديم" لهذه الأشكال لأجل وصف كمية المادة العلمية في العمل وليس طريقة المعالجة للمادة، فالتمييز بينها واضح؛ فالكتاب أغزر مادة علمية، تليه الرسالة التي هي أقل منه في المادة، ثم المقالة التي هي أصغر الأشكال من ناحية المادة العلمية التي تحويها³.

أما بالنسبة لترتيب المؤلفين داخل كل فن، فلم يصرح "ابن النديم" مبداً في ذلك، ولذا ذكر كل مؤلف وما صنّفه من كتب دون أن يخضع المؤلفون أو المؤلفات لأي نوع من الترتيب هجائياً كان أو زمنياً⁴، ففي معرض حديثه عن النحويين واللغويين والبصريين في الفن الأول من المقالة الثانية، يتعرض لذكر أسماء فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء فيقول: «قال محمد: اقتضى ذكرهم في هذا الموضع مع اختلاف أصقاعهم، وتباين أوقاتهم، أنّ العلماء عنهم أخذوا، فذكرهم على غير ترتيب»⁵. غير أنّه في موضع آخر في الفن الثاني من المقالة الثانية المخصصة لـ "أخبار النحويين و اللغويين والكوفيّين" يذكر سبب تقديمه للبصريين عن الكوفيّين بقوله: «إنّما قدّمنا البصريّين أولاً لأنّ علم العربيّة عنهم أخذ، ولأنّ البصرة أقدم بناء من الكوفة»⁶. ويقول في الفن الثالث من المقالة السابعة: «إنّما ذكرنا من ذكرناه قبل هذا الموضع لأنّهم متقاربون في العلم والزمان»⁷.

ومن هنا فالدراسة المتأنية تكشف أنّ "ابن النديم" ربّ المؤلفين ترتيباً زمنياً آخذاً بعين الاعتبار قدر ومترلة كل واحد منهم. فكان المبدأ العام الذي يحكم ترتيب المؤلفين في "الفهرست" هو "الشهرة" — رغم أنّها نسبية — هذا ما يعترف ويصرّح به "ابن النديم" في الفن الثالث من المقالة الثالثة في ثنايا قوله: «إذا ذكرت من المصنّفين المشهورين إنساناً أتبعته بذكر من يقاربه ويشبّهه، وإن تأخّرت مدّته عن مدّة من أذكره بعده، وهذه سبيلي في جميع الكتاب»⁸.

فبغضّ النظر عن المبدأ العام لترتيب مادة "الفهرست"، فقد كان "ابن النديم" رائداً سبقاً في وضع أساس عام للمعرفة العربية الإسلامية، فكان بذلك منبعاً غزيراً يلجأ إليه كُتّاب التراجم بصفة خاصّة وباحثوا المعارف بصفة عامّة.

¹ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 203.

² - Henri-jean martin. Op. cit. p. 31.

³ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 205-206.

⁴ - عبد الستار الحلوجي، دراسات في الكتب والمكتبات، المرجع السابق. ص. 96.

⁵ - ابن النديم، المصدر السابق. ص. 66.

⁶ - المصدر نفسه. ص. 89.

⁷ - المصدر نفسه. ص. 359.

⁸ - المصدر نفسه. ص. 179.

6-1-2-5-مصادر تجميع مادة "الفهرست":

إذا اعتبرنا أنّ الفهرست أهمّ عمل بيبليوغرافي، أعدّه صاحبه ليكون فهرستا أو بيبليوغرافية شاملة تحصر وتجمع الكتب العربيّة والكتب المنحولة إليها من اللّغات الأخرى في جميع فروع المعرفة، وإذا كان المصنّف يحصر الإنتاج الفكري لفترة من أزهى فترات الثقافة العربيّة الإسلاميّة، وما شهدته من نشاط علمي خلال القرون الأربعة الأولى. وإذا اعتبرنا هذا العمل قائمة بيبليوغرافية أو معجم تراجم للمؤلّفين والمترجمين ودائرة معارف، فلا بدّ لرائد هذا العمل الشاق من تمويل. هذا ما يجعل سياق حديثنا عن مصادر تجميع المادّة العلميّة للفهرست.

أ- الوراقة *

إنّ أهمّ ظاهرة أدّت إلى النشاط البيبليوغرافي بصفة عامّة هي ظاهرة الوراقة والورّاقين، فلقد ساهمت هذه المهنة بقسط كبير في تكوين شخصيّة "ابن النديم"، وتحفيزه على تصنيف كتابه "الفهرست". حيث أنّها أتاحت له الإطّلاع على كتب كثيرة، سواء من خلال المتاجرة فيها (البيع والشراء)، أو من خلال نسخها. كما هيّأت له فرصة الإلتقاء والإحتكاك والاتّصال بعدد كبير من المؤلّفين والمثقفين الذين يرتقبون سوق الوراقة، بالإضافة إلى أنّها أتاحت له زيارة المكتبات الشخصيّة أو الخاصّة التي عرفت انتشارا واسعا آنذاك¹. هذا كلّ جعله يحيط بكلّ مصدر من مصادر المعرفة. والتفتيش عنها في كتب الأوّلين والمخطوطات النادرة². كقوله مثلا: «قرأت في بعض الكتب القديمة أنّ أوّل من كتب بالعبرانيّة عابر بن شالح»³.

ب- المكتبات:

ومّا شجّع على ظهور "الفهرست" لابن النديم انتشار المكتبات بكافة أنواعها⁴. والتي عرفت رواجاً كبيراً في الدولة الإسلاميّة، ولاشكّ أنّ بيت الحكمة* وغيرها من المكتبات ببغداد كانت مصدراً لاستفادة "ابن النديم" من رصيدها، كقوله مثلاً في الفن الثالث من المقالة السابعة: «وكانفي خزانة الحكمة لهارون الرشيد...»⁵، هذا بالإضافة إلى تعهّد "ابن النديم" إلى مراكز كانت الثقافة الإسلاميّة قد انتعشت فيها طوال القرون الأربعة الأولى للهجرة كالكوفة

* - لقد سبق التعريف بهذه المهنة وماهيّتها في العنصر الخاص ببعض الأعمال الفاعلة للضبط البيبليوغرافي (كتب التراجم والطبقات).

¹ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 212-213.

² - محمّد صاحبي، المرجع السابق. ص. 366.

³ - ابن النديم، المصدر السابق. ص. 27.

⁴ - عبد التّواب شرف الدين، نظم المعلومات البيبليوغرافية، المرجع السابق. ص. 10.

* - بيت الحكمة: لقد أنشئت في عهد الرشيد في الربع الأخير من القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي.

⁵ - ابن النديم، المصدر السابق. ص. 335.

والبصرة. كما أشار "ابن النديم" أنه زار الموصل ومكتباتها الر المكتبات الرسميّة في زمن المؤلّف تقوم باقتناء مجموعة ضخمة من المجلدات¹.

ج- أهل الثّقة:

ويُقصد بهم أهل العلم والمعرفة الذين يحضّون بثقة الجميع. فكان "ابن النديم" من بين الذين كانوا يلجأون إليهم، ويسألهم عن المؤلّفين والكتب عندما يصعب عليه الحصول على المعلومات الببليوغرافية أو البيوغرافية، ولقد سدّ هذا المصدر ثغرات كبيرة. هذا ما نجده مبثوثا في ثنايا "الفهرست"، ومن الأمثلة على ذلك قوله في المقالة العاشرة «نحن نذكر جملا من كتبه رأيناها وشاهدنا الثّقات فذكروها لنا»². وقوله في الفن الأوّل من المقالة الأولى «قال لي من أثق بحكايته»، وقوله أيضا في الفن الثالث من المقالة نفسها «روى الثّقة...»³، ويتردّد قوله أيضا في الفن الأوّل من المقالة السابعة «خبرني الثّقة...»⁴، ويقول في المقالة العاشرة في موضعين «ورأيناها وعرفنا الثّقة أنّه رآه...»، «حدّثني بعض الثّقات...»⁵. وغيرها من الأمثلة التي توحى إلى توثيق "ابن النديم" وحرصه على الأمانة العلميّة في إصدار الأحكام. كما أنّ مصدر الثّقة قد يكون من بعض أساتذته⁶، كقوله في الفن الأوّل من المقالة الثانية «قال شيخنا أبو سعيد* رحمه الله...»⁷.

د- الدراسات السابقة:

من المؤكّد أنّ فترة ما قبل "ابن النديم" عرفت محاولات للحصر الببليوغرافي بالرغم من فيها من قصور في كونها كانت متخصصة في موضوعات محدّدة أو لشخص معيّن، كما هو الحال لفهارس الشيوخ* التي تُعتبر بدايات الضبط الببليوغرافي عند المسلمين، والتي ظهرت على استحياء في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، ولا شك أنّ "ابن النديم" قد استفاد من مادّتها.

هذا إلى جانب تلكم القوائم التي أعدّها مؤلّفوها كضرب من ضروب توثيق الإنتاج المعرفي وحصره، فابن النديم نفسه يعترف في مواضع مختلفة من كتابه أنّه مسبوق إلى هذا الفن، وأنّ هناك أعمالا أوحى إليه بوضع هذا التأليف الذي

¹ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 213.

² - ابن النديم، المصدر السابق. ص. 436.

³ - المصدر نفسه. ص. 26.

⁴ - المصدر نفسه. ص. 34-41.

⁵ - المصدر نفسه. ص. 299.

⁶ - محمّد صاحبي، المرجع السابق. ص. 367.

* - أبو سعيد السيرافي توفي سنة (368 هـ/ 947 م).

⁷ - ابن النديم، المصدر السابق. ص. 81.

* - سوف يتمّ الحديث عنها كعمل فريد من نوعه، يخدم هو بدوره العمل الببليوغرافي، وذلك بعد الإنتهاء من دراسة "الفهرست" لابن النديم.

أراد أن يكون حصرا لكل ما أُلّف في اللّغة العربيّة، وكل ما تُر

الهجري، العاشر الميلادي. ولهذا فكتاب "الفهرست" لا يمكن إلا أن يكون ثمرة جهود متّصلة ومحاولات سابقة. ومن الأمثلة التي تدل على أسبقية الأعمال الببليوغرافية واستفادة "ابن النديم" منها قوله في الفن الثالث من المقالة السابعة: «وإذا رجعنا إلى فهرست كتب جالينوس الذي عمله حين* إلى علي بن يحيى علّمنا أن الذي نقل حين أكثره إلى السرياني وربما أصلح العربي من نقل غيره أو تصفّحه»².

وتحت أخبار "جابر بن حيّان"* وأسماء كتبه في المقالة العاشرة: «له فهرست كبير يحتوي على جميع ما أُلّف في الصنعة وغيرها، وله فهرست صغير يحتوي على ما أُلّف في الصنعة فقط». كما يذكر "ابن النديم" مؤلفات "الرازي"* نقلا عن فهرسته إذ يقول «ما صنّفه الرازي من الكتب منقول من فهرسته»، وبعد أن ينتهي من نقلها يقول: «تم ما وُجد من فهرست الرازي»³.

إذن فقد وجد "ابن النديم" من قبله أعمالا ببليوغرافية فردية فتحت أمامه الطريق إلى التجميع الببليوغرافي الشامل الذي تمثّل في كتابه "الفهرست" «إلا أنّها لم تتم بالقدر من الوضوح في مناهجها وطرق تجميعها وترتيبها... وبكفيها فخرا أنّها اقتحمت ميدان العمل الببليوغرافي قبل أن تعرفه أوروبا بما يقرب من تسعة قرون»⁴. هذا ما جعل حديثنا يتواصل ليبرز أهمية "الفهرست" وقيّمته الببليوغرافية بشكل عام.

¹ - عبد الستار الحلوجي، دراسات في الكتب والمكتبات، المرجع السابق. ص. 89-90.

* - هو حنين بن إسحاق العبادي، ويكنّى أبا زيد، كان فاضلا في صناعة الطب، فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية، توفي يوم الثلاثاء لست خلون من صفر سنة سنتين ومائتين (202 هـ - 781 م)، وله من الكتب: كتاب أحكام الإعراب على مذاهب اليونانيين، كتاب المسائل في الطب للمتعلّمين، كتاب ذكر ما تُرجم من الكتب، كتاب إلى ابن المنجم في استخراج كمّيّة كتب جالينوس: ابن النديم، المصدر السابق. ص. 356.

² - ابن النديم، المصدر السابق. ص. 351.

* - جابر بن حيّان: هو أبو عبد الله جابر بن حيّان بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفي، من الشخصيات البارزة في الفكر الإسلامي، تضاربت الآراء حول اسمه ومسقط رأسه ومولده، إلا أنّه توفي على رأس المائة الثالثة، كما اختلفوا في أمره وإلى أيّ مذهب ينتمي، فقالت الشيعة: «إنّه من كبارهم... وزعم قوم من الفلاسفة أنّه كان منهم... وزعم أهل صناعة الذهب والفضة أنّ الرئاسة انتهت إليه في عصره...». وجمع بين هذه الأقوال "زكي نجيب محمود" في كتابه عنه قائلا: «فهو من الشيعة سياسة، وهو من الفلاسفة جدلا، وهو من الكيمائيين علما، وسَمّي جابرا لأنّه هو الذي جبر العلم أي أعاد تنظيمه». انظر في ذلك: فهرست ابن النديم. ص. 435/ عبد الستار الحلوجي في كتابه "دراسات في الكتب والمكتبات". ص. 90. وأيضا: أحمد عبد الحليم عطية في مؤلفه: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب. ص. 160-161.

* - هو أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي، أوجد دهره وفريد عصره. جمع المعرفة بعلوم القدماء، سيما الطب، وكان ينتقل في البلدان، عُمي في آخر عمره، توفي سنة 311 هـ. من مؤلفاته: كتاب البرهان، كتاب في استدراك ما بقي من كتب جالينوس ممّا لم يذكره حنين ولا جالينوس في فهرسته، وغيرها: ابن النديم، المصدر السابق. ص. 360-361.

³ - المصدر نفسه. ص. 361-364.

⁴ - عبد الستار الحلوجي، دراسات في الكتب والمكتبات، المرجع السابق. ص. 89.

6-2-1-6 - أهمية كتاب "الفهرست":

إنّ ما يجب أن نوضّحه في هذا العنصر التنويه عن أهمية "الفهرست" بصفة عامة، لنترك الإستقصاء الكلّي عن جهد "ابن النديم" في التجميع والفحص والتدقيق، ومختلف الأدوات التي من شأنها أن تضع "الفهرست" عنواناً للأعمال الببليوغرافية الهادفة إلى التفتيش عن أصول المعارف الببليوغرافية (الحيويّة) والببليوغرافية (الكُتبيّة)*. وفيما يلي عرض لما يتحلّى به "الفهرست" من أهمية.

بما أنّ "ابن النديم" سعى إلى حصر وتسجيل ووصف الكتب في العالم الإسلامي باللغة العربية، سواء كانت مؤلّفة أو مترجمة. فحسبه في ذلك أن تتحلّى عظمة فهرسته في أنّه «أول ثبت ببليوغرافي شامل» لما نُشر عن الثقافة العربيّة الإسلاميّة من كتب خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة. فهو بذلك المرآة التي تعكس حركة التأليف في شتى فروع المعرفة، وأشمل وثيقة تبيّن ما وصل إليه المسلمون في حياتهم العقليّة والعلميّة في عصر من أزهى عصور حضارتهم، وبذلك كان له الفضل في حفظ عناوين الكتب ونسبتها إلى مؤلّفيها، ولولاه لضاعت أسماء الكتب وأوصافها، ولتعدّر على من يتصدّى لتأريخ مُجمل الحضارات التي عرفتها الساحة الإسلاميّة. وحسبه أيضاً أنّه الأساس الذي اعتمد عليه الببليوغرافيون المسلمون، وحتى الغربيّون في تصانيفهم الببليوغرافية. بالإضافة إلى أنّ مادّته مبنوثة في كتب التراجم والطبقات فكان مصدراً مُعِيناً وثبتاً أصيلاً ومنبعاً فريداً لاستقواء المعارف.

لقد تميّز "الفهرست" عن مختلف الأعمال الببليوغرافية التي سبقته بوضوح منهجه وأتباعه لطريقة منظّمة في الترتيب، ممّا يجعل التعامل مع مادّته هيّنة وميسورة لعامة الباحثين، وبذلك كان منارة تلقي التّور على من يريد الخوض في البحث عن مراحل تاريخ علم الببليوغرافيا عند المسلمين، إذ من خلاله بدأت تظهر «الملاحم الأولى للوصف الببليوغرافي»¹ للمؤلّفين والمؤلّفات «فهو بحق النّهائيّة للأعمال الببليوغرافية التي سبقته، والبذرة الأولى في تاريخ التأليف الببليوغرافي المستقل»².

ومن هنا يستحق قول "ياقوت الحموي" في "معجم البلدان" أنّه «جدّد فيه واستوعب استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون من العلم وتحقّقه لجميع الكتب». ويعبّر المستشرق الإيطالي "كارلوانليني" عن قيمة "الفهرست" بقوله: «هذا الكتاب من أنفس النفائس، لا نظير له فيما يتعلّق بمعرفة مصنّفي العرب وتأليفهم في كلّ فن إلى أواخر القرن الرابع للهجرة، ومعرفة ما تُرجم إلى العربيّة من كتب الهند والفرس واليونان والسرّيان... وهو منبع غزير ومصدر لا يفرغ لكلّ

* هذا ما سوف نفرده بدراسة خاصّة لمنهج "ابن النديم" في التّثبت من الأخبار وما ينجرّ عنها. وهذا هو لبّ الموضوع.

¹ - عبد الستار الحلوجي، دراسات في الكتب والمكتبات، المرجع السابق. ص. 91.

² - سعود بن عبد الله الحزيمي، المرجع السابق. ص. 321.

من يشتغل بتاريخ أدبيات العرب القديمة، بل لا تقتصر أهميته على
أيضا على فوائد لا تُقدّر قيمتها في أخبار أمم وملل غير إسلامية» .

من هنا نكون قد أجمعنا الحديث عن أهمية عمل "ابن النديم" البليوغرافي الذي لم يكن محلّ إعجاب العرب
فحسب، بل تعدّى ذلك إلى تولّي المستشرقين له بالدراسة والإعطاء. فكان بذلك مصدرا لا يستهان به في تأريخ تاريخ
الحضارة العربية جمعاء.

7- عناصر منهج الإسناد البارزة في فهرست "ابن النديم":

إستدراجا لما تقدّم ذكره في إعطاء لمحة عامّة عن منهجية الكتابة وترتيب مادّة الفهرست لابن النديم، نولي
الإهتمام في هذا العنصر الأهمّ في استنباط بعض الأحكام التي من خلالها نلقي ولو نظرة شاملة لتوظيف عناصر منهج
الإسناد في ذكر المصنّفات ومصنّفها انطلاقا من مقالات ابن النديم التي درجها في عمله البليوغرافي:

- توظيف "ابن النديم" أدوات تحمّل العلم كالسّماع والقراءة والوجادة. كقوله: «قرأت بخطّ ابن أبي سعيد»²،
«قرأت بخطّ أبي عبد الله محمد بن عبد ربّه...»³، «قرأت بخطّ إسحاق قال لي أبو زيد...»⁴، وغيرها من الأمثلة، وقوله
عن السماع الذي يوحى إلى أنّ المؤلّف سمع عن أحد أو مجموعة من المشايخ كقوله: «سمع الثّقّة أنّه سمع مشايخ من أهل
اليمن يقولون...»⁵، ويقول مثلا في الوجادة أنّ "الفضل بن شاذان" قال: «وجدت في مصحف عبد الله بن مسعود
تأليف سور البقرة على هذا الترتيب: البقرة، النساء...»⁶، وقوله أيضا: «قرأت بخطّ عتيق يوشك أن يكون كتب في زمن
داود بن علي...»⁷.

- ذكر سلاسل الإسناد المبنية على: قال، حدّثني، حدّثنا، عن، أخبرني، خبرني. كقوله: «أخبرني أبو علي بن سوار
الكاتب أنّ في خزائنه بالبصرة من كتب "السبي"»⁸، أي أنّ ابن النديم صرّح بأنّه لم ير من كتب "السبي" شيئا فيذكر
فيذكر في ذلك أنّ "أبا علي بن سوار" أخبره أنّ لديه كتباً له في خزائنه بالبصرة. وقوله في موضع آخر: «قرأت بخطّ أبي
الحسن علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الكوفي الأسدي: حدّثني فضل بن محمد البيهقي، قال: حدّثني أبو الفرج
الأصفهاني، قال: حدّثني أبو بكر محمد بن خلف وكيع، قال: سمعت حماد بن إسحاق يقول: ما ألّف أبي هذا الكتاب قطّ

¹ - أحمد عبد الحليم عطية، المرجع السابق. ص. 93.

² - ابن النديم، المصدر السابق. ص. 13.

³ - المصدر نفسه. ص. 24.

⁴ - المصدر نفسه. ص. 68.

⁵ - المصدر نفسه. ص. 15.

⁶ - المصدر نفسه. ص. 43.

⁷ - المصدر نفسه. ص. 267.

⁸ - المصدر نفسه. ص. 171.

(كتاب الأغاني الكبير)¹. وأحسن مثال على إيراد سلاسل
سمع كتاب العين بهذا الإسناد: «قال... حدثني...»².

- ذكر بداية المؤلفات، في قوله: "كتاب مجرد الغريب" على مثال العين، أوله «هذا كتاب ألفه في غريب كلام
العرب ولغاتها على عدد حروف الهجاء الثمانية والعشرين التي هي: ألف، باء، تاء ثم علاوة الحروف»³.

- يركز ابن النديم على ذكر مشايخ المؤلف أو الذين لقيهم أو أخذ عنهم، تركيزاً منه على مدى ثقة المؤلف
واتصاله المباشر بهم. كقوله: «أخذ النحو عن الأخفش وغيره، وقرأ كتاب سيبويه، وأخذ اللغة عن أبي زيد الأصمعي»⁴،
الأصمعي⁴، وقوله أيضاً: «قرأ على الأصمعي وغيره من العلماء...»، «قرأ الرياش النصف الأول من كتاب سيبويه على
على المزني...»⁵. وقوله أيضاً: «سمع نبطويه من محمد بن الجهم وعبد الله بن إسحاق بن سلام...»⁶، وأيضاً: «قرأ على
على سعيد السيرافي...»⁷، «أخذ عن أبيه وعن جماعة من الرواة...»⁸.

- توظيف مصطلح "الإنشاد" حينما يتطرق إلى ما نُظم من الشعر، كما في قوله: «ولقد أنشدني ابن أبي طاهر
شعرا يعرضه علي في إسحاق بن أيوب»⁹.

- توظيف الألفاظ المخصوصة التي تقابل مصطلحات المحدثين في الجرح والتعديل، كالحافظ، الثقة، الصادق. كقوله
أنّ: «أبا العباس المبرّد» سمع "أبو حاتم السجستاني" يقول: قرأت كتاب سيبويه على "الأخفش" مرتين، وكان صادق
الرواية¹⁰. وقوله أيضاً: «كان "برزخ" حافظاً، راوية»¹¹. وقال عن "المزباني": «آخر من رأينا من الأخباريين
المصنّفين، راوية، صادق اللهجة، واسع المعرفة بالروايات، كثير السماع»¹². وقال عن "عبد الله بن قعب الحارثي" المتوفى
سنة إحدى وعشرين ومائتين أنّه: «كان ثقة صالحاً»¹³.

- الإتصال المباشر بالمؤلف، مما جعله يقرّب الفكرة للقارئ بوصفه كقوله: «كتاب "الأوسط" رأيته، كتاب
"غريب القرآن" (لطيف)، كتاب "الواضح" (كبير)، (مليح الخطّ)»¹⁴، «كتاب "الأخبار المسموعة" رأيته، كتاب

¹ - ابن النديم، المصدر السابق. ص. 174.

² - المصدر نفسه. ص. 65.

³ - المصدر نفسه. ص. 112.

⁴ - المصدر نفسه. ص. 80.

⁵ - المصدر نفسه. ص. 81.

⁶ - المصدر نفسه. ص. 110.

⁷ - المصدر نفسه. ص. 112.

⁸ - المصدر نفسه. ص. 124.

⁹ - المصدر نفسه. ص. 180.

¹⁰ - المصدر نفسه. ص. 82.

¹¹ - المصدر نفسه. ص. 97.

¹² - المصدر نفسه. ص. 164.

¹³ - المصدر نفسه. ص. 247.

¹⁴ - المصدر نفسه. ص. 100.



"الأخبار والأنساب والسير رأيت بعضه، لم أره كاملاً"¹، »
رأيت منه شيئاً يسيراً بخطّه، كتاب "المناهل والقرى" رأيت بخطّه»، «كتاب "الخراج" كبير رايت المسودة بخطه نحو الف
ورقة»³.

- ذكر عدد أجزاء كل مصنف، مع ذكر عدد أبواب كل جزء. حيث يذكر مثلاً أن كتاب "معاني الشعر الكبير" يحتوي على إثني عشر جزء، منها: كتاب الفرس (ستة وأربعون باباً)، كتاب الإبل (ستة عشرة باباً)، كتاب الحرب (عشرة أبواب)... أمّا كتاب "عيون الأخبار" فيحتوي على عشرة كتب، يذكر من بينها: كتاب السلطان، كتاب الحرب، كتاب السؤدد... موضحاً ذلك بأنه رآه فيقول: «هذا كتاب رأيت منه ثلاثة أجزاء نحو ستمائة ورقة بخطّ برك»⁴، وفي موضع آخر جزءاً صاحب كتاب "جامع الرسائل" مصنفه إلى ثمانية أجزاء، وأضاف إليه بعد ذلك تاسعاً سماه: "كتاب الموصل ونثره بالنظم"⁵. وقال أيضاً: «يحتوي كتاب "المنتهى في الكمال" على اثني عشر كتاباً وهي: كتاب ملح الأدب، كتاب صفة البلاغة...»⁶. أمّا كتاب "المنثور والمنظوم" لـ "ابن أبي طاهر" «يحتوي على أربعة عشر جزء، والذي بيد الناس ثلاثة عشر جزء»⁷.

- ذكر عدد النسخ إن وجدت. مثال ذلك قوله: «كتاب النوادر» لأبي عمر الشيباني ثلاث نسخ (كبرى وصغرى ووسطى)⁸، وقوله أيضاً: «كتاب "الخراج" لـ "الكوداني" نسختان الأولى: عملها سنة ست وعشرين، والثانية في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة...»⁹.

- ذكر عدد صفحات المؤلف كقوله: «كتاب الأمثال» لعبيد بن شريحه نحو خمسين ورقة ورأيت¹⁰، وقوله أيضاً: «كتاب الدولة» نحو ألفي صفحة¹¹، و"كتاب رسائل" لقمامة بن زيد «رأيت نحو مائة ورقة»¹²، «كتاب "شعر حاتم الطائي" نحو مائتي ورقة»، «كتاب الهدايا» نحو ثلاثمائة ورقة»¹³...

¹ - ابن النديم، المصدر السابق. ص. 144.

² - المصدر نفسه. ص. 106.

³ - المصدر نفسه. ص. 168.

⁴ - المصدر نفسه. ص. 105.

⁵ - المصدر نفسه. ص. 169.

⁶ - المصدر نفسه. ص. 170.

⁷ - المصدر نفسه. ص. 180.

⁸ - المصدر نفسه. ص. 116.

⁹ - المصدر نفسه. ص. 163.

¹⁰ - المصدر نفسه. ص. 118.

¹¹ - المصدر نفسه. ص. 138.

¹² - المصدر نفسه. ص. 151.

¹³ - المصدر نفسه. ص. 165.

- تلميح على محتوى المؤلف. كما في قوله: «كتاب أس

العلماء وما شاهد من أخبار الجلة»¹، وقوله أيضا: «للمزباني كتاب عدد ورقه عشرة آلاف ورقة في المسنين، فيه أخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من شعراء الحداث ومختار أشعارهم على أنسابهم وأزمانهم. أولهم "بشار بن برد" وآخرهم "ابن المعتز"². وقوله أيضا: «كتاب الرياض" عدد ورقه ثلاثة آلاف ورقة، فيه أخبار المتيمين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين...»³.

- ذكر اتصاله المباشر بالمؤلف. بحيث يذكر اسم المؤلف ثم يصرح أنه شاهده كما في قوله: «أبو سعيد وهب بن إبراهيم بن طاراذ" ممن شاهدناه»⁴. وقوله عن "الطحاوي": «وكان السواد أغلب على لحيته من البياض»⁵. وقوله عن "أبو بكر البردعي": «قال لي أن له في الفقه عدة كتب وذكرها»⁶.

- ذكر سلاسل الإسناد مع التدقيق بتاريخ الوفاة. هذا ما كان واردا في الحكم عن صحة الخبر ووثوق صاحبه. لقول القاضي حفص بن غياث: "إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين". وهنا تتبين قيمة تاريخ الرجال. فيذكر ابن النديم: «ومن أصحاب أبي عبيد ممن روى عنه وأخذ منه: علي بن عبد العزيز، ومات سنة سبع وثمانين ومائتين»⁷. وقوله أيضا عن أحد رواة الأخبار والأشعار والأنساب المدعو "أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي البصري" أنه «مات ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثمائة»⁸. وكان ذكر ذلك بهدف التأكيد على صحة الرواية فعلا، خاصة إذا كان تاريخ الأخذ كما يزعم يكون بعد وفاة الراوي الأصلي.

من خلال إدراج عناصر منهج الإسناد الموظفة في أغلب مواضع مقالات "الفهرست" بصفة تعدو إلى الشمولية، فإن ما يمكن أن نقول إلى الإفصاح عنه أن "ابن النديم" قد حذت به فطرته إلى صبغة الوراقة حذو المحققين المحصنين في نسبة المؤلفات. بمختلف أشكالها (الكتاب، المقالة، الرسالة) إلى أصحابها. ولتوثيق هذه الأخبار لجأ هذا الوراق إلى الاستناد إلى بعض عناصر منهج الإسناد، كتوظيفه لأدوات تحمّل العلم خاصّة منها الشائعة الإستعمال. كالسماع والقراءة والوجدادة، التي تُحيل إلى مصادر الأخبار من جهة، أو في ذكر سلاسل الإسناد المبنية على: قال، حدثني، حدثنا، أخبرني وخبرني من جهة أخرى. والتي تُشدّ سلاسلها عن طريق العنونة. هذا بالإضافة إلى توظيفه لمصطلح "الإنشاد" بالنسبة للمنظوم من الشعر مقابل السماع أو التحديث فيما هو منشور. ناهيك على اهتمامه بذكر الألفاظ المخصوصة التي تقابل

¹ - ابن النديم، المصدر السابق. ص. 157.

² - المصدر نفسه. ص. 164.

³ - المصدر نفسه. ص. 165.

⁴ - المصدر نفسه. ص. 163.

⁵ - المصدر نفسه. ص. 257.

⁶ - المصدر نفسه. ص. 291.

⁷ - المصدر نفسه. ص. 97.

⁸ - المصدر نفسه. ص. 143.



مصطلحات الجرح والتعديل، كالحافظ، الثقة، الصادق، التي تشب

مصادره موثوقة يمكن الإعتماد عليها بدون اغترار أو تذبذب في صحّة مكتوبها.

أمّا عن ضبطه البليوغرافي للأعمال، فكان "ابن النديم" حضّه فيها وافرا. إذ أنّنا نلمس أنّه يقربّ لنا المعنى لتكوين وصفات بليوغرافية شبيهة بالتي هي سارية المفعول في معايير الفهرسة في مفهومها الحالي. وهذا لن يتأتّى إلّا عن طريق مباشرة وتفحص أشكال المعلومات عن قرب، ويتجلّى ذلك في ذكره الدقيق لأجزاء وأبواب ونسخ، وعدد الأوراق وأحجامها. هذا ما وصل إليه العالم الورّاق "ابن النديم" في الإلمام بكلّ ما لاحظته وعينه، أو اتّصل بأحد الثّقات. فكان بذلك مصدرا للأخبار في عصر لم تكن فيه وسائل التمكين ميسورة أو سهلة المنال.

وبعد: هل امتدّت وتواصلت الأعمال البليوغرافية بعد الفهرست مباشرة أم أنّها هدأت أمواجهها لبثّ نفس جديد في قالب أصيل... هذا ما سوف نتوجّه للحديث عن ماهيّته.



PDF
Complete

Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

الفصل الثالث:

فهارس الشيوخ:

مفهومها ونماذجها

إضافة لما أشرنا إليه سابقا فإنّ "فهارس الشيوخ" ربّما

عامة في الفكر الإسلامي مواصلة لتأليف المسلمين من فهارس وأثبات في إطار علم الحديث، وروايته على الشكل الذي يطمئن إثباته سندا وممتنا. حيث استند العالم إلى منهجية المحدثين في رواية الحديث، كونها الطريقة المثلى في إعلاء ما استقاه من علم إلى مصادره الأولى، وذلك بتسجيل رواياته سواء في الحديث وغيره بالسند، والكتب التي قرأها والشيوخ الذين درس عليهم، بالإضافة إلى طريقة تحمّل العلم.

لقد عرفت هذه الفهارس تطوّرا ملحوظا منذ القرن الثالث الهجري إلى غاية القرن الرابع عشر الهجري. وازدهرت بصفة لافتة للنظر في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، هذا ما يجعلنا نقول أنّ المدّة التي تفصل بين "الفهرست" لابن النديم وعمل بليوغرافي في مستواه طويلة جدا، تقرب إلى نحو ستّة قرون، إلّا أنّ الفاصل بينهما سمح بظهور أعمال أخرى متميّزة تخدم النشاط البليوغرافي. هذا ما اصطُلح على تسميته بـ "فهارس الشيوخ أو برامج العلماء".

فقد عرفت الحضارة العربيّة الإسلاميّة كثيرا من كتب الفهارس أو البرامج التي اهتمّت بمختلف طبقات العلماء والرواة، وقد شغف علماء الأندلس بهذا النوع من التأليف شغفا كبيرا لعنايتهم بحبّ العلم وأهله، ورغبتهم في الإلتحاق بالسند والتشريف بالإجازة، والعناية بالرواية. حينئذ اعتُبر كنشاط بليوغرافي تمتدّ جذوره إلى مختلف المعارف التي أنتجها العرب والمسلمون، والتي اتّحدت لِتُكوّن لنا مناهج التوثيق الأولى للتأليف وتدوين العلوم.

من خلال هذا التقديم نؤول إلى أنّ من بين المؤلّفات القديمة التي تدخل في الإطار البليوغرافي، تلكم التأليف التي نعتها أصحابها بالفهرسات أو البرامج أو الأثبات. فماذا نقصد بهذه التسميات؟، وما هي أصولها، وأسباب ظهورها؟، وما طرق تأليفها وترتيبها؟، وكيف خدمت الضبط البليوغرافي؟.

1- فهرس الشيوخ أو برامج العلماء:

1-1- مفهومها:

يقصد بفهارس الشيوخ؛ تلك القوائم التي كان بها العالم المسلم يحصر ويسجّل ويصف الكتب التي درسها على أساتذته -شيوخه- بإحدى طرق تحمّل العلم، إمّا قراءة أو إجازة...¹، فيقدّم من خلالها معلومات مثل ذكر المكان والتاريخ والسند، والتعريف بحياة الشيوخ ومزلتهم العلميّة²، فتلك الفهارس تعطي إذن معلومات عن الكتب وأوصافها، وعن الأساتذة وتراجمهم في وقت واحد، والتي تُعرف في أيّامنا بـ"الببليوغرافيات الحيويّة"³.

وتتنوّع المفاهيم والمسمّيات الخاصّة بهذا النوع من التأليف، ولكن مدلولاتها تتّحد أحياناً وتتقارب، وهي في مجموعها تدور حول وظيفة واحدة هي وظيفة إعداد القوائم في الفكر العربي الإسلامي. فظفرت هذه الوظيفة بعدد غير قليل من المصطلحات التي يمكن حصر أهمّها فيما يلي:

أ- الفهرس: بالكسر، الكتاب الذي تُجمع فيه الكتب أو الذي يجمع فيه العالم شيوخه -أساتذته-، وأسانيده (الكتب التي درسها عليهم)، وما يتعلّق بذلك، وقد اشتقّ منها الفعل فهرس يُفهرس، والمصدر فهرس، وذلك على قياس دحرج⁴. ومن هنا فلقد أُستُخدمت الصّيغ الثلاث: فهرسة، فهِرست، فهرس في عناوين الببليوغرافيات الحيوية الإسلامية⁵.

ب- البرنامج: من الألفاظ الفارسيّة التي عربّها العرب، وفيه تخليط، إذ لا يدري ما يُفتح فيه، والظاهر أنّه بفتح الموحّدة، وسكون الراء وفتح النون والميم، وصوّب الفتح غير واحد من أهل اللغة، قاله في الديباج باختصار. وقال "الهوريّ" يرادف الفهرسة البرنامج، واستعمله "ابن خلدون" في المقدّمة⁶. ويدل البرنامج في الأصل على الورقة الجامعة للحساب. وهي خطّة يخطّها المرء لعمل يريده⁷. وهي كلمة مركّبة من (بر) ملآن، و(نامة) كتاب، مفادها مجموعة

¹ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 168.

² - مجبل لازم مسلم المالكي، المرجع السابق. ص. 98.

³ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 168.

⁴ - عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فُهرس الفهارس و الوثائق والمعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. تح. إحسان عباس. ط. 02. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982. مج. 01. ص. 39-40.

⁵ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 168.

⁶ - عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، المرجع السابق. مج. 01. ص. 40.

⁷ - المنجد في اللغة والأعلام. ط. 40. بيروت: دار المشرق، 2003. ص. 597.

كتب¹. وكان استعمالها أكثر عند الأندلس بمعنى الفهرسة². إ
كتب الحديث ومروياته³.

ج- المشيخة: جمعها مشيخات، وهي كلمة عربية تُطلق على الكتاب الشامل على أسماء الشيوخ الذين لقيهم المؤلف، وأخذ عنهم، وأجازوه، وإن لم يلقهم⁴. ثم صاروا يطلقون عليه بعد ذلك المعجم. لما صاروا يُفردون أسماء الشيوخ ويرتبونهم على حروف المعجم، فكثرت استعمال وإطلاق المعاجم مع المشيخات. وأهل الأندلس يستعملون ويطلقون البرنامج، أما في القرون الأخيرة فأهل المشرق يقولون إلى الآن الثبت، وأهل المغرب إلى الآن يسمونه الفهرسة⁵.

د- المعجم: يطلق على المشيخة في حالة ترتيب المشايخ فيها على حروف المعجم، أي حسب الحروف الهجائية، فكثرت استعماله على إطلاق المعاجم على المشيخات⁶.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المعاجم كانت تسير جنباً إلى جنب مع فن التراجم التي تعرف على أنها نوع من الأنواع الأدبية التي يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر تعريفاً يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو على السطح تبعاً لحالة العصر الذي كُتبت فيه الترجمة⁷.

ولهذا اعتنى نقاد الحديث منذ أول الأمر في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي بمعرفة رجال الحديث وضبط أسماءهم، والحكم عليهم بأنهم ثقة أو ضعفاء. أي الصفات التي يجب توافرها في المحدث الثقة، وهو ما يعرف بالجرح والتعديل. وقد أدت بهم حاجتهم إلى السند المتصل أن يتجاوزوا البحث في حياة الرواة والحكم عليهم إلى عمل تاريخ لهم⁸.

¹ - حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 72.

² - عبد الحي بن عبد الكبير الكتان، المرجع السابق. مج. 01. ص. 41.

³ - حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 72.

⁴ - الموسوعة العربية العالمية، المصدر السابق. مج. 09. ص. 109.

⁵ - عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، المرجع السابق. مج. 01. ص. 38.

⁶ - حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 72.

⁷ - محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير. [د.م.]: دار المعارف، 1955. ص. 09.

⁸ - آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن 04 الهجري أو عصر النهضة في الإسلام. تر. محمد عبد الهادي أبو ريبة. القاهرة: دار الفكر العربي، 1999. ص. 257-258.

فتميّزت هذه الفترة بالترجمة لرجال العصر والشيوخ كـ

فيه قرابة 1300 شيخ، و"ابن حجر العسقلاني" في كتابه "المجمع المؤسّس للمعجم المفهرس" الذي ترجم فيه لاساتذته وشيوخه¹.

ولم يسقط مؤلفوا التراجم ومؤرّخوها في الإسلام المرأة العربيّة المسلمة، وأنصفوها حين وضعوها في قوائم أعمالهم، فأفردوا بعض النساء بالترجمة في كتب خاصّة. كما فعل "أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر" المتوفى سنة 571 هـ عندما خصّص ثبنا لأشياخه من النساء² بعنوان "معجم النسوان"، ذكر فيه الشيخات اللائي أخذ عنهنّ العلم³.

هـ- الثّبت: يقال أثبت الكتاب: سجّله وأقام حجّته. والثّبت: الحجّة والصّحيفة يُثبت فيها الأدلّة⁴. أمّا "عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني" قال: «وأوّل من رأيته تكلم على الثّبت من الحُفّاظ "السّخاوي" في شرحه على الألفيّة، لدى كلامه عل ألفاظ الجرح والتعديل قال: والثّبت سكون الموحّدة الثابت القلب واللسان والكتاب، والحجّة، وأمّا بالفتح فما يُثبِت فيه المحدث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه. لأنّه كالحجّة عند الشخص كسماعه وسماع غيره. وفي "فتح الباقي" لشيخ الإسلام "زكريا الأنصاري": الثّبت بالإسكان الثابت، والفتح الثّبت والحجّة ما يُثبِت فيه المحدث سماعه مع أسماء المشاركين له فيه»⁵. والثّبت هو الفهرسة التي يُجمع فيها المحدث مروياته وأشياخه⁶.

و- المسلسل: هو ما تتابع فيه رجال الإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند روايته على حالة واحدة⁷.

من خلال هذه المفاهيم يتبيّن لنا أنّها تشترك حول مفهوم واحد يخدم النشاط البليوغرافي المتمثّل في تسجيل الكتب والشيوخ المؤلّفة لها.

ولقد شاع عند المشاركة استعمال مصطلحات "ثبت"، "معجم"، "مشيخة". أمّا المغاربة والأندلس فاستعملوا مصطلحات "برنامج" و"فهرسة" وغيرهما.

* - الذهبي: هو الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، وُلِدَ سنة (673 هـ - 1252 م) بدمشق، توفي سنة (748 هـ - 1327 م): أبو عبد الله الذهبي، ميزان الاعتدال. نج. علي محمد البجاوي. [د.م.]: دار الفكر، [د.ت.]. ج. 01. ص. ص. (و). (د).

¹ - محمد عبد الغني، المرجع السابق. ص. 48.

² - المرجع نفسه. ص. 18.

³ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 180.

⁴ - المعجم الوسيط. ط. 02. تركيا: المكتبة الإسلاميّة للطباعة والنشر والتوزيع، 1967. ج. 01. ص. 93.

⁵ - عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، المرجع السابق. مج. 01. ص. 38-39.

⁶ - الموسوعة العربية العالمية، المصدر السابق. مج. 09. ص. 109.

⁷ - أحمد الكيرانوي، المرجع السابق. ص. 19.

1-2-أصولها: ترجع كتب الفهارس والبرامج في أصولها إلى

مصطلحات علم الحديث وأساليبه، لدرجة اصطلاح العلماء على إطلاق لفظ مشيخة على نوع من كتب الحديث، وكان من أهم أصول المنهجية وقواعدها نقد مصادر المعرفة، وتتبع طرائق الأخذ لضمان سلامة وسائل الرواية¹. هذا ما أدى بالنقلة والرواة بالتزام تلك المناهج، وأنحو بالملامة على من يأخذ العلم دون إسناد، واعتبروا مروياته غير صالحة للعلم والعمل². ثم انتقلت المسألة من إسناد الأحاديث إلى تسجيل كل المرويات في جميع فروع المعرفة الإنسانية، سواء في العلوم الأصلية كاللغة والأدب والتاريخ والأنساب... أو العلوم التي أخذها العرب من الأمم الأخرى مثل الفلسفة والمنطق والرياضيات... وغيرها³.

وهكذا اعتمد مؤلفوا كتب التراث الإسلامي، وخاصة ما يرجع منها إلى القرون الأربعة الأولى للهجرة على الأسانيد لبيان حدود اتصالهم بالإنتاج الفكري السابق، الذي كان يعدّ مصدراً أساسياً من مصادر المعلومات التي اعتمدوا عليها في تأليف كتبهم⁴.

وللإشارة فإنّ "شعبان عبد العزيز خليفة" يذهب إلى أنّ هذا النوع من الببليوغرافيات لم يعرفه الغرب، ولذا لا يوجد مصطلحاً غربياً مقابل له⁵.

1-3-أسباب ظهورها:

لعلّ السبب في كثرة ظهور كتب برامج العلماء خلال الفترة التي تلت "الفهرست" (377 هـ - 987 م) هي شيوع عادة الرحلات العلمية*، والبحث عن الإجازة من جانب كثير من طلبة العلم حينذاك. فالرحلات العلمية كانت تُعدّ من الممارسات التي أكدّ عليها الدين الإسلامي، وطالب أفرادها بالرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة⁶. هذا ما دفع أصحابها لوصف رحلاتهم العلمية في كتب يلتزمون فيها ذكر اتصالاتهم العلمية في البلاد التي زاروها، وذلك عن طريق ترجمة للشيوخ الذين التقوا بهم وأخذوا عنهم العلم، مع وصف المجالس العلمية والأدبية والمناقشات والمناظرات، فتكون

¹ - حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 75.

² - حسن عزوزي، «الإسناد في الثقافة الإسلامية: مظهر تميّز وضرورة علمية». مجلة كلية الشريعة. المملكة المغربية: مطبعة محمد الخامس، 1995. ع. 20. ص. 55.

³ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 170.

⁴ - ناصر محمد عبد الرحمن، المرجع السابق. ص. 189.

⁵ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 149.

* - لقد تمّ التفصيل في الحديث عن الرحلات العلمية وأهميتها، كجهد من جهود العلماء للتخلص من العلم الموضوع، وكان ذلك في الفصل الأول.

⁶ - عبد الواحد ذو النون، المرجع السابق. ص. 76.

حينئذ كتبهم حاوية لشييوخهم، جامعة لمروياتهم، مسجلة لـ
معاصريهم في مختلف البقاع الإسلامية التي تمّ عن طريق شيوخها تحمّل العلم.

ولعلّ من بين العوامل أيضا التي أسهمت في بروز المئات من هذا النوع من الكتابات هو تبجيل العالم لشيخه، والشعور بالوفاء أتجاهه هذا من جهة، وحينه إلى عهد الدرس والطلب من جهة أخرى. وأحسن ما يمثّل ذلك ما ذكره "الرّعيني" كسبب وجيه إلى وضع برنامج قائلًا: «فأثبتّ ما لم يُفْلِتْه ذكرى، وأوردت ما لم يَرْتَبْ فيه فكري من أسماء الأشياخ الذين لقيتهم وأخذت عنهم، والإفصاح ببعض ما استفدته منهم... ومّا حثّني على إثبات ذلك واكتتابه، وجداني إلى إيراده واجتلابه، ما حدّثني به الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن أحمد الغافقي إذنا، قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى. قال سمعت القاضي أبا علي الصفدي يقول: سمعت أبا محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي الإمام رحمة الله عليه يقول: يُقَبَّحُ بكم أن تستفيدوا بنا ثم لا تذكرونا ولا تترحموا علينا...»².

ومهما تعدّدت أسباب ظهور فهارس الشيوخ أو برامج العلماء فإنّ هذين العاملين -الرحلة والشعور بالوفاء- قد ساهما إسهاما يَبِينُ في خلق هذا النوع من التأليف البليوغرافي الذي يُعْنَى بالتراجم من جانب، ويوصف المواد الكُتِبَتْ أو الدراستيّة من جانب آخر.

1-4- أهيتها وقيمتها:

تتجلّى قيمة فهارس الشيوخ أو برامج العلماء في كونها تُعَدُّ من المصادر المهمّة في معرفة تاريخ العلوم والكتب، ومدى شيوعها واستخدامها في مختلف عواصم الإسلام القديمة، كما تمثّل أيضا مصدرا أساسيا في حصر النتاج الفكري الذي أنتجته الحركة العلميّة ومراكز الحضارة العربيّة الإسلاميّة³.

ويرى "عبد العزيز الأهواني" في مقالة له بعنوان "كتب برامج العلماء في الأندلس" المنشورة في مجلّة معهد المخطوطات العربيّة، لأنّ هذا النوع من الكتب «يكشف لنا عن منابع الثقافيّة التي ارتوى منها العالم، والأصول التي اعتمد عليها، والتي كانت بغير شكّ مراجع له فيما ألّفه من كتب»⁴.

➤ تمدّنا بصورة صادقة عن الحركة العلميّة، والحياة الثقافيّة في العصر الذي دُوّنَتْ فيه وتطوّرها.

¹ - حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 73.

² - محمّد صاحبي، «من مصادر الثقافة والعلم: فهارس الشيوخ أو برامج العلماء». مجلّة عصور. الجزائر: مكتبة الرشاد والطباعة والنشر. ع. 03، جوان، 2003. ص. 56-57.

³ - مجبل لازم مسلم المالكي، المرجع السابق. ص. 98.

⁴ - ناصر محمّد عبد الرحمن رمضان، المرجع السابق. ص. 214.

➤ المساعدة على معرفة الكتب المتداولة، وإحصائها في مح

➤ ترسم لنا ملامح النشاط الذي يقوم به الطلبة، وطرق تلقيهم العلم واسلوب التدريس.

➤ تبرز لنا مكانة أهل العلم في مجتمعاتهم ووظائفهم التي تولّوها، والصفات التي كان يتحلّى بها كلّ منهم.

➤ تُوجّه المبتدئون والمتقدّمون إلى مختلف الكتب التي يمكن الرجوع إليها في مختلف مراحلهم التعليمية¹.

فمن خلال الأهمية التي اكتسبتها فهرس الشيوخ، فقد وصل عدد البليوغرافيات أكثر من 3000 فهرس أو برنامج تحت السيطرة البليوغرافية². وكثيرا ما نجد كُتّاب التراجم يسجّلونها بقولهم: «وله برنامج» أو «وله فهرسة». إلّا أنّ "عبد العزيز الأهواني" يُقرّ بأنّ أكثر هذه البرامج قد ضاع ولم يبق منها إلّا أنّ التزّز القليل³.

مّا تقدّم نخلص إلى أنّ أهمية البرامج أو الفهارس تبعث إلى مسح شامل لمراحل تطوّر الثقافة العربية بشقيها - التعليمي والتأليفي-، وبذلك تخدم المجال البليوغرافي في تقديمها لبيانات الوصف البليوغرافي للكتب، كالعنوان، ومكان وتاريخ تلقّي العلم وغيرها، وكذا المجال البيوغرافي المتعلّق بترجمة الشيخ -مصدر العلم-، وذكر ما يتحلّى به من صفات خَلْقِيَّة أو خُلُقِيَّة.

1-5- محتوياتها:

تفاوت فهرس الشيوخ تفاوتاً بيناً في حجم المفردات التي تعالجها، وكميّة المعلومات التي تقدّمها، وهي تختلف من حيث عدد الشيوخ وعدد الكتب التي يسجّلها الفهرس، فأكبر الفهارس سجّل نحو 2400 شيخ ونحو ألفي كتاب، وهو المعجم الكبير لـ "أبي سعد السمعاني"، وأصغر الفهارس سجّل اثنتي عشر شيخاً وأربعين كتاباً، وهو برنامج "ابن أبي الربيع". وتعود هذه الضخامة نتيجة لعدد كبير من المحدثين أو أحاديث نبويّة فردية رواها الطالب عن عدد كبير من المحدثين، وقد تكون أيضاً قصائد فردية⁴ لعدد من الشعراء أو الرواة، كما هو الحال في برنامج "التجيبى"^{*}، وفهرسة "ابن خير الإشبيلي"^{*}.

فالفهارس تتحد في أنّها تقدّم معلومات حيويّة عن الأستاذ أو الشيخ الذي درس عليه الطالب، ومعلومات بليوغرافية عن الكتاب الذي درسه والسند الذي يصل إلى المؤلّف الأصلي. فأحيانا تطغى على الفهرس المعلومات

¹ - حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 75.

² - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 149.

³ - محمّد صاحبي، «من مصادر الثقافة والعلم: فهرس الشيوخ أو برامج العلماء»، المرجع السابق. ص. 56.

⁴ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 75.

^{*} - التجيبى: هو أبو القاسم يوسف التجيبى السبتي توفي سنة 730 هـ، إشمّل برنامجه على تجريد الكتب التي رواها منذ شبابه بسبته، ثمّ أثناء مسيرته إلى الشرق.

مع إثبات الاسانيد المختلفة: حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 79.

- سوف نُفرده بالدراسة في عنصر مستقل إن شاء الله.*

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

البيوغرافية على المعلومات البليوغرافية، فيقدّم المفهرس في هذه الميلاذ ومحله، وتعليمه منذ الصّغر، ورحلاته العلميّة، والأساتذة الذين علموه العلم، بل وأكثر من ذلك الكتب التي درسها، كما يضيفي بعض الطّرف والقصاص التي تقرّب التعريف بالشيخ، كما يذكر تاريخ الوفاة والجنّازة ومكان الدفن، بالإضافة إلى ذكر درس درسه عنه وطريقة الإلقاء وظروفها، وسند الإسناد في كلّ كتاب درسه). وفي حالة إعطاء الأولويّة للبيانات البليوغرافية نجد مؤلّف المفهرس يفصّل في وصف الكتاب. والمعلومات التي يقدّمها تكون حول (عنوان الكتاب، عدد أجزاءه أو مجلداته، نوعيّة أوراقه...) ثمّ ينتهي إلى المعلومات البليوغرافية الحيويّة.

كما أنّ بعض الفهارس ما يوازن في إعطاء الإهتمام بالمعلومات البليوغرافية والبيوغرافية في آن واحد. ومن هذه الفهارس "ثبت أبي جعفر البلوي" المتوفى سنة (938 هـ – 1571 م).

وهناك من الفهارس ما تقتصر على حصر أساتذة بلد واحد مثل "فهرس أبي الطاهر السلفي الأصبهاني" المتوفى سنة (576 هـ – 1155 م) في "معجم شيوخ أصبهان"، وهناك ما يقتصر الحصر فيها على الأساس الجغرافي مثل "معجم شيوخ بغداد" لـ "محب الدين البغدادى". وبالمقابل هناك من الشيوخ والأستاذات من أصدرن فهارس لهنّ مثل "مشيخة أم محمّد زينب بنت يحيى بن عبد السلام"¹.

من خلال إلقاء نظرة عامّة لمحتويات فهارس الشيوخ يتبيّن لنا أنّها تتقارب وتتفاوت من حيث درجة تقديم المعلومات البليوغرافية والبيوغرافية، وبغضّ النظر عن أولويّة إحدهما في مختلف الفهارس إلّا أنّها تشكّل في مجملها فيضاً غزيراً من المعلومات التي تخدم بطبيعتها الوصف والضبط البليوغرافيين.

1-6- طرق تناولها:

إذا كانت كتب الفهارس والبرامج تتفق في الغرض وتتحّد في الغاية، فإنّ أصحابها لم يلتزموا بطريقة واحدة. من حيث طرق تناول موضوع البرنامج فتكشف الدراسة البليوغرافية عن طريقتين:

¹ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 178-180.

أ-التخريج الذاتي للفهرس:

هي أن يكتبه صاحب البرنامج أو الفهرس بنفسه، كضرب من ضروب التوثيق أو الترجمة لحياته العلمية¹. وفي هذه الطريقة نجد العالم يتحدث عن أساتذته بعاطفة شديدة ووفاءٍ وتوقيرٍ يخلع عليهم من الصفات والنعوت الطيبة الشيء الكثير إلى حد يصل لدرجة من المبالغة...، ويمثل هذا الاتجاه²: "فهرسة الرعيني"^{*} و"برنامج ابن جابر الوادي آشي"^{*}.

ب-التخريج غير الذاتي للفهرس:

هي أن يقوم شخص آخر بإعداد الفهرس نيابة عن العالم، وغالباً ما يكون تلميذه أو أباه أو أخاه أو صديقه³، وعادة ما يكون من المعاصرين له أو المخالطين المعاشين له، ويمثل هذا الاتجاه فهرس "ابن عبد البر" الذي خرّجه تلميذه "ابن بشكوال" و"فهرس أبي علي الصفدي" الذي أعدّه له تلميذه "عياض"^{*}، و"فهرس ابن أبي الربيع"^{*} الذي خرّجه تلميذه "ابن الشاط"⁴.

1-7- طرق تأليفها:

هناك طريقتين اثنتين في تأليف فهرس الشيوخ نوردها كما يلي:

أ- دراسة مستقلة:

كأن يخصّص العالم كتاباً مستقلاً في ذكر شيوخه ومختلف الكتب التي درسها عليهم، كما هو الشأن عند "أبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الإشبيلي" أو عند "محمد بن جابر الوادي آشي" المذكور سابقاً⁵.

ب-دراسة مُدَيِّلَة:

¹ - محمد صاحبي، «من مصادر الثقافة والعلم: فهرس الشيوخ أو برامج العلماء»، المرجع السابق. ص. 58.
² - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 169.
^{*} - **بن عطية**: هو أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي المتوفى حوالي سنة (542هـ - 1121م) يضم فهرسه تسعة عشر كتاباً، كما يحتوي على تراجم لثلاثين شيخاً من شيوخه، ولهذا الفهرس قيمة كبيرة على الرغم من صغر حجمه فكان موضع دراسة و تحليل للإسباني "Jose Fornas" لنيل الدكتوراه عام 1970 من جامعة غرناطة: حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 78.
^{*} - **ابن جابر الوادي آشي**: هو شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي توفي سنة (749هـ - 1328م)، ينقسم برنامجه إلى جزئين أولهما: يحتوي على ذكر الشيوخ و جملتهم (279 شيخاً)، وثانيهما: يشمل الكتب المأخوذة عنهم و جملتهم (238 كتاباً)، والجدير بالذكر أن الجزء الأول مقسم بدوره إلى قسمين: خصّص القسم الأول لتراجم الشيوخ الذين لقينهم وأخذ عنهم مباشرة، والقسم الثاني خصّصه لتراجم الشيوخ الذين أجازوه: حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 81.80.
³ - محمد صاحبي، «من مصادر الثقافة والعلم: فهرس الشيوخ أو برامج العلماء» المرجع السابق. ص. 58.
^{*} - **عياض**: هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، ولد بسبته سنة (476هـ - 1055م): حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 78.
^{*} - **ابن عبد الربيع**: هو أبو الحسين عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي الأموي العثماني الإشبيلي، وُلد في رمضان سنة 599 هـ، ومات في سبته في صفر 688 هـ. كان علم النحو التخصص الرئيسي له، ومن تلاميذه قاسم بن عبد الله بن محمد الشاط: شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 185-156.
⁴ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 169.
⁵ - محمد صاحبي، التراث العربي الإسلامي ومرجعياته: دراسة إستراتيجية في نشأة البليوغرافيا عند المسلمين، المرجع السابق. ص. 379.

وذلك بأن يختتم العالم مؤلفاته بذكر فهرسه أو برنامج
الغبريني* في كتابه المعروف بعنوان "عنوان الدراية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، حيث افرد لذلك
القسم الأخير من مؤلفه المذكور، وأطلق عليه عنوانا لم يكن مختلفا عما ألفه علماء المغرب والأندلس في ذلك هو "برنامج
المشيخة"، ثم قام بعد ذلك "عبد الرحمن بن خلدون"* بتذييل عمله المشهور "العبر" بفصل خاص حول نشأته ومشيخته
وحاله، ذكر فيه عددا من العلماء الذين أخذ عنهم العلم¹.

1-8- طرق ترتيب موادها:

أما من حيث طرق معالجة المادة العلمية للفهارس، فتدخل في ثلاث فئات:

أ- الفئة الأولى:

وهي التبويب وفق الطريقة الموضوعية². أي أن يرتَّب المؤلف فهرسه على الكتب التي درسها³، فيكون المدخل
إسم الكتاب المدروس، وإن لم يكن للكتاب عنوانا معروفا يصفه المؤلف وصفا من عنده⁴. وفي هذه الطريقة يضطر
المؤلف إلى تكرار ذكر الشيخ أكثر من مرة⁵. ويغلب على الفهرس الذي يعتمد على هذا النوع من الفئة بتقديم الأولوية
للبيانات البليوغرافية عن البيانات البيوغرافية⁶، وتمثلها أدق تمثيل فهرسة "ابن خير الإشيلي"⁷.

ب- الفئة الثانية:

وهي الترتيب على أساس الشيوخ والشخصيات التي درس عليها مؤلف الفهرسة، فيقدِّم ترجمة الشيوخ بذكر ما
يتحلَّون به من صفات خلُقية وخصائص علمية، ثمَّ يتطرق بعد ذلك إلى زمان ومكان الإتصال بهم، وما قرأه عليهم، وما

* - سوف نُفرده بالدراسة في عنصر مستقل إن شاء الله.

* - هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، وُلد بتونس في رمضان سنة (732 هـ - 1332 م). قرأ القرآن الكريم ودرس الفقه وتعلَّم صناعة العربية والعلوم العقلية، والمنطق وسائر الفنون الحكيمة والتعليمية. توفي سنة (808 هـ - 1406 م): محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية. ط. 03. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983. ص. 764-765.

¹ - محمد صاحبي، التراث العربي الإسلامي ومرجعياته: دراسة إستمولوجية في نشأة البليوغرافيا عند المسلمين، المرجع السابق. ص. 379-380.

² - سعود بن عبد الله الحزيمي، المرجع السابق. ص. 322.

³ - أحمد شوقي بنين، المرجع السابق. ص. 183.

⁴ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 173.

⁵ - حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 77.

⁶ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 173.

⁷ - محمد صاحبي، التراث العربي الإسلامي ومرجعياته: دراسة إستمولوجية في نشأة البليوغرافيا عند المسلمين. المرجع السابق. ص. 380.

أخذه عنهم، وما تحمّله من رواية وإجازة¹. وفي هذه الفئة الببليوغرافية (حول الكتب). وتجدد الإشارة إلى أن معظم الفهارس التي تحمل اسم "معجم" تقع في هذه الفئة².

ويُعاب على هذه الفئة في كونها تكرر بعض الكتب التي تكون قد دُرست على أكثر من شيخ، ويتميّز الترتيب فيها بالترتيب المجائي الكامل لأسماء الشيوخ أو الترتيب المجائي مع بعض الشذوذ، كالبدء بالمحمّدين أو البدء بالأقارب كالجد أو الأب، أو ترتيب الشيوخ زمنياً وفقاً لزمان الإلتقاء به، أو الترتيب الجغرافي حسب مكان اللقاء، أو الترتيب وفق موضوعات الدراسة، كأن يبدأ مثلاً بمن قرأ عليهم القرآن الكريم. وهناك من يصطنع لفهرسه عدّة طرق من الطرق المذكورة في سياق واحد³.

ج- الفئة الثالثة:

وهي الجمع بين الطريقتين السابقتين، بمعنى أن يجعل المؤلّف فهرسه أو برنامجه في جزءين يخصّص الأول لشيوخه وسيرهم، ويخصّص الثاني للكتب التي أخذها عنهم أو أجازوه إيّاها⁴. ولم يُعرف منها إلاّ عدد قليل من الفهارس، منها على سبيل المثال لا الحصر، ما يُنسب إلى "عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن أبي الربيع"، وقد انتهجها أيضاً "محمد بن جابر الوادي آشي" المذكور سابقاً⁵.

من خلال إلقاء نظرة شاملة لمختلف الطرق التي يسلكها مؤلّفوا الفهارس أو البرامج، سواء ما يتعلّق بالتأليف أو كيفية تناول الفهرس، بالإضافة إلى طرق ترتيب ومعالجة موادّه. يتبيّن لنا أنّه مهما اختلفت طرق التأليف والترتيب لفهارس الشيوخ إلاّ أنّها تتحد في رصد ظاهرة فريدة، تميّزت بها الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات، فكانت بذلك تقدّم صورة تعكس الحركة الثقافية في العالم الإسلامي بشقيّها التعليمي والتألفي، هذا ما جعلها تتسم بمظاهر التأليف الببليوغرافي الحض.

ولكي تكون الدراسة منهجية يجب أن نوازي الجانب النظري بآخر تطبيقي، يتمثّل في دراسة تحليلية لنموذجين لفهارس الشيوخ، أحدهما أندلسي يتمثّل في فهرست "ابن خير الإشيلي"، والآخر مغربي جزائري يتمثّل في "عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية". حيث نحاول من خلالهما التعرّف على كيفية تأليف فهرس كلّ

¹ - حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 76.

² - محمّد صاحبي، التراث العربي الإسلامي ومرجعياته: دراسة إبستمولوجية في نشأة الببليوغرافيا عند المسلمين. المرجع السابق. ص. 380.

³ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 171 - 173.

⁴ - حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 76.

⁵ - محمّد صاحبي، التراث العربي الإسلامي ومرجعياته: دراسة إبستمولوجية في نشأة الببليوغرافيا عند المسلمين. المرجع السابق. ص. 382.



PDF
Complete

*Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.*

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

الفصل الثالث:

واحد منهما باعتبارهما يمثلان أهمّ مرحلة من مراحل التأليف
الهجري، الثاني عشر الميلادي

2- دراسة تحليلية لنموذجين من فهارس الشيوخ:

2-1- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلوم أنواع المعارف: لـ "ابن خير الإشبيلي":

أ- المؤلف:

هو أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي¹، وُلد في مدينة إشبيلية عام (502 هـ - 1108م)، وتوفي في قرطبة في شهر ربيع الأول من عام (575 هـ - 1179 م)²، وكان قد دُفن في قرطبة، ثم جرى نقل جثمانه إلى إشبيلية -مسقط رأسه-³. لا نعرف عن حياته سوى القليل مما يُستقى من كتاب "الحلة السيرة" لـ "ابن الأبار" و"بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس" لـ "الضبي"، وأيضاً "تذكرة الحفاظ" لـ "الذهبي"⁴. لكن الراجح أنه قضى جزء كبيراً من حياته في طلب العلم⁵. والدليل على ذلك إشارة المؤلف نفسه في كتابه إلى إقامته زمناً في مدينة قرطبة في قوله: «وحدثني بها أيضاً الشيخ الفقيه الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن معمر المذحجي رحمه الله، قراءة منّي عليه بمقرطبة حرسها الله، في عشرة ذي الحجة من سنة 529 هـ»⁶. بالإضافة إلى تنقله أيضاً إلى "المرية" "المرية" و"مورون" و"طريف" وغيره⁷.

ويبدو جلياً أنه كرّس حياته كلها -عدا السنتين الأخيرتين من عمره- في طلب العلم. فتتلمذ على يد أساتذة عديدين، منهم أستاذه العالم "أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح" المتوفى سنة (539 هـ - 1118 م) أثناء فترة شبابه⁸. فيقول مثلاً عن كتاب "نهاية الإتقان في تجويد تلاوة القرآن" «من تأليف شيخنا أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح، حدثني به قراءة منّي إليه»⁹. بالإضافة إلى صفوة من الأساتذة في كافة أنواع العلوم، مثل "أبي الحسن يونس بن محمد بن مغيث" الذي حدثه عن "مسند أبي بكر بن أبي شيبه" رحمه الله، فيقول: «حدثني به شيخنا أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث رحمه الله، قراءة عليه وأنا أسمع»¹⁰. وغيرهم من الأساتذة مما يطول حصرهم في هذا المجال. مما يدلّ على أنّ كثرة روايته عنهم جعلته يؤلف الفهرسة.

¹ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 189.

² - حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 84.

³ - محمد صاحبي، التراث العربي الإسلامي ومرجعياته: دراسة إستراتيجية في نشأة الببليوغرافيا عند المسلمين. المرجع السابق. ص. 386.

⁴ - ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق. ص. (ي).

⁵ - محمد صاحبي، «من مصادر الثقافة والعلم: فهارس الشيوخ أو برامج العلماء». المرجع السابق. ص. 64.

⁶ - ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق. ص. 24.

⁷ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 189.

⁸ - محمد صاحبي، «من مصادر الثقافة والعلم: فهارس الشيوخ أو برامج العلماء». المرجع السابق. ص. 64.

⁹ - ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق. ص. 38.

¹⁰ - المصدر نفسه. ص. 138.

أمّا عن الفهرسة ذاتها، فيظهر أنّ "ابن خير الإشبيلي"

ترجمته إلّا هذا الكتاب¹. كما يشير "كوديرا" أو "قدارة"² أنّ "ابن خير الإشبيلي" قد ألف كتابين، أحدهما يسمّى "البرنامج" وموضوعه "سيرّ المعلّمين"، والثاني يسمّى "الفهرسة" وموضوعها الدواوين. ويستند في ذلك على ما ذكره "ابن الأبار" في كتابه "الحلّة السيرة" أثناء ترجمته لحياة "ابن خير" بقوله: «أنّه كان يستعمل في زمانه برنامجا ضخما من أسماء المعلّمين، ويشير في موضع آخر إلى هذا الكتاب، ثمّ يتابع كلامه أنّ "ابن خير" كان قد كتب رسالة يقول فيها أنّ فهرسته مؤلّفة من عشر كراريس، تتكوّن كلّ واحدة منها ثلاثين ورقة»³. ولكن يبدو كما قال "شعبان عبد العزيز خليفة" في كتبه المذكور سابقا أنّ ذلك الفهرس لم يصلنا ووصلنا فقط فهرس المرويات.

ب- فهرسة "ابن خير الإشبيلي":

أمّا الطبعة التي بين أيدينا والتي هي بصدد الدراسة، فهي طبعة منشورة من طرف مكتبة الخنجي بالقاهرة، تحتوي على 581 صفحة، ويحتوي فهرسها على مقدّمة المشرف، ومقدّمة الطبعة الأولى مترجمة عن اللاتينية، وفهرسة ما رواه عن شيوخه، وفهرست الكتب، وفهرست المؤلّفين وبعض الرواة، وفهرست أسماء الأماكن.

ب-1- ناسخ وطابع الكتاب:

وقف على نسخ وطبع ومقابلة الكتاب المستشرقين "فرنسشكة قدارة زيددين" وتلميذه "خليان رباره طرغوه" عن الأصل المطبوع في مطبعة "قومش" بسرقسطة عام 1893 م³. عن أصل محفوظ في خزانة الإسكوريال، عبارة عن مخطوط تحت رقم⁴ 1672، يتألّف من 155 ورقة، في كلّ ورقة 23 سطرا⁵، مكتوبة بخطّ أندلسي جميل⁶، منسوخة منسوخة عام 712 هـ⁷.

لم يُذكر اسم الناسخ في المخطوط، جاءت مقدّمته باللغة اللاتينية، وأُعيد نشره مع ترجمة للمقدّمة إلى اللغة العربيّة بإشراف "زهير فتح الله" سنة 1963 في القاهرة وبيروت وبغداد في وقت واحد، عن طريق مؤسّسة الخانجي، والمكتب

¹ - محمّد صاحبي، التراث العربي الإسلامي ومرجعياته: دراسة إستمولوجيّة في نشأة الببليوغرافيا عند المسلمين. المرجع السابق. ص. 387.
* - كوديرا: هو المستشرق الإسباني "فرانسيسكو كوديرا"، توفي عام 1917. من أعظم رجالات الإستشراق، بذل جهودا كبيرة لإحياء التراث الأندلسي. وهو رائد مدرسة "بني كوديرا" التي تُعدّ من المدارس المعتدلة في حقل الإستشراق: حسن عزوزي، المرجع السابق. ص. 322.
² - ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق. ص. (ك)-(ل).
³ - المصدر نفسه. صفحة الغلاف.
⁴ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 189.
⁵ - حامد الشافعي دياب، المرجع السابق. ص. 84.
⁶ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 189.
⁷ - ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق. ص. (ط).

التجاري ومكتبة المثني على التوالي. ثم صُوِّر تصويراً طبق الأصل الجديدة في سلسلة (ذخائر التراث العربيّة)¹.

ب-2- واضع عنوان الكتاب:

أمّا فيما يخص عنوان المؤلّف، فهو من وضع "فرنسشكة قدارة" وليس هو العنوان الأصلي الذي وضعه "ابن خير الإشيلي". ولقد استند المحقّق في ذلك إلى كلمات المؤلّف وعباراته المبثوثة في المقدّمة التي وضعها، والتي يقول فيها: «... وإنّه ما لي سائلون ممّن له رغبة في العلم، وعناية بتقييده، وهمّة في تحصيله أن أذكر لهم ما ريته عن شيوخ رحيمهم الله من الدواوين المصنّفة في ضروب العلم وأنواع المعارف...»².

أمّا العنوان الموجود في المخطوطة، والتي اعتمد عليها "فرنسشكة قدارة" كأساس لدراسة وتحقيق مؤلّف "ابن خير الإشيلي" ليس من وضع الناسخ، وإنّما هو برأي المحقّق من وضع أحد ملاك الكتاب، حيث كتب: «فهرسة الإمام الشهير بن خير رحمه الله ورضي عنه». ويرجع هذا الحكم إلى أنّ الحروف التي كُتِبَ بها العنوان أحدث من الخط الذي كُتِبَ به الكتاب³.

ب-3- الدافع من وضع الكتاب:

أمّا عن الدوافع التي دفعت "ابن خير الإشيلي" من وضع هذا الكتاب فهي مذكورة في مقدّمته، والتي تتمثل في سؤال طلبة العلم له بأن يسجّل لهم ما رواه عن شيوخه، وما قرأه عليهم أو سمعه منهم. وما يدلّ على ذلك قوله: «وإنّه ما لي سائلون ممّن له رغبة في العلم، وعناية بتقييده، وهمّة في تحصيله أن أذكر لهم ما ريته عن شيوخ رحيمهم الله من الدواوين المصنّفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، وأن أذكر أساندي عنهم فيها إلى مصنّفيها، وما قرأته من ذلك عليهم أو سمعته عليهم بقراءتهم أو بقراءة غيري، وأن أضيف إلى ذلك ما ناولوني إياه وأجازوه لي، ولما علّمت ما لحَمَلَة العلم من الشرف عند السلف والخلف، وعظم شأنهم، وعُلوّ قدرهم...». ويؤكد على ذلك في قوله أيضاً في موضع آخر فيقول: «استخرت الله تعالى وأجبتهم إلى ما سألوني إياه، ولم يسعني الإنكفاف عنه إشفافاً من الوعيد في قوله تعالى: "إِنَّ

¹ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 189-190.

² - ابن خير الإشيلي، المصدر السابق. ص. 06.

³ - المصدر نفسه. ص. (ي).

الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى...^{*} . وامتنالاً لأمر ر
سأل الحديث...¹ .

ب-4- منهج تأليف فهرسة "ابن خير الإشبيلي" ومحتوياتها:

رتّب "ابن خير الإشبيلي" فهرسته على أساس الموضوعات أو العلوم، وتحت كلّ موضوع أو علم أدرجت أسماء الكتب التي ألّفت فيه وأسماء موضوعاتها دون ترتيب محدّد.

تتكوّن فهرسة "ابن خير" على مقدّمة المشرف "زهير فتح الله" على الطبعة الثانية، وتقع في ثلاث صفحات مرتّبة أبجدياً (أ، ب، ج)، يتحدّث فيها عن طبعته الجديدة والفروق بينها وبين الطبعة الأولى، ثمّ يلي ذلك مقدّمة الطبعة الأولى مترجمة عن اللاتينية مع بعض الحواشي المضافة، وتحتوي وصفاً للكتاب وترجمة للمؤلّف وتعريفاً بالكتاب وفهارسه، وتقع في ثلاث عشرة صفحة (من وضع فرنسشكة قدّارة وتلميذه خليان رباره طرغوه).

أمّا متن الكتاب فينحصر بين الصفحة الخامسة إلى الصفحة أربعمئة وثلاثة وستين (463)^{*} . يبدأ ذلك بمقدّمة تقع في ثماني عشرة صفحة، يذكر فيها الأسباب التي دفعته إلى تأليف الفهرسة، كما يتطرّق إلى فضل العلم وفائدته، والوسائل التي يتم بها نقله، وذلك بشرح معنى الحمل والرواية²، السماع، العرض³، المناولة⁴ والإجازة⁵ . ونلاحظ تعمّقه في تناول كلّ معنى واستشهاده بأحاديث متّصلة بالسند، وما يمثّل ذلك وعيه بحقوق طلبه العلم وضرورة الرأفة بهم لقوله صلى الله عليه وسلّم: «إنّه سيأتيكم قوم من أقطار الأرض يطلبون العلم فاستوصوا بهم خيراً»⁶ . أمّا عن سيرة علمه بعلم الرواية فيقول: «فاعلموا أنّ للرواية مراتب أعلاها سماع الراوي قراءة الحدّث للكتاب الذي رواه، أو إirاده للمحدّث من حفظه، وسماعه من فلق فيه وبعدها عرض الراوي للكتاب أو الحديث وسماع الشيوخ ذلك منه، ثمّ بعد ذلك مناولة الشيخ للكتاب الذي رواه عن شيخه، ثمّ بعدها إجازة الشيخ للطالب أن يُحدّث عنه للكتاب الذي رواه، وإباحته ذلك له»⁷ .

^{*} - سورة البقرة، الآية 159.

¹ - ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ص. 06-08.

^{*} - انظر الملحق رقم 02، (الخاص بالتوزيع الموضوعي للكتب الواردة في فهرسة "ابن خير الإشبيلي" كما دلّ عليها.

² - المصدر نفسه، ص. 12.

³ - المصدر نفسه، ص. 12-13.

⁴ - المصدر نفسه، ص. 13-14.

⁵ - المصدر نفسه، ص. 14-17.

⁶ - المصدر نفسه، ص. 07.

⁷ - المصدر نفسه، ص. 12.

أمّا عن منهجه كما أسلفنا الذكر فيروي أسماء الكتب

عملاً^{*}، وعدد الشيوخ ألف شيخ¹، ولهذا لقد حقّقت فهرسة "ابن خير الإشبيلي" أكبر ما كتب في هذا المجال واستملها وأكثرها تنوعاً².

يبدأ "ابن خير الإشبيلي" بسرد ما رواه عن شيوخه من الدواوين المؤلفة في علوم القرآن، وصدرها بكتب القراءات وما يتّصل بها من ناسخ القرآن ومنسوخه والأحكام والتفسير، بلغت خمس وخمسين صفحة (من ص. 23-76) وشملت (97) كتاباً وأربع قصائد. ثمّ تطرّق إلى ذكر الموطّات وما يتّصل بها، بلغت سبعة عشر صفحة (من ص. 77. 93) وشملت 18 كتاباً. ثمّ ذكر المصنّفات المسندة كمصنف الإمام عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، حيث بلغت 33 صفحة (من ص. 94-126) وشملت 20 كتاباً. أمّا المصنّفات المتضمنة للسنن أيضاً مع فقه الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، بلغت 12 صفحة (من ص. 126-137) وشملت على 08 كتب. وعن المسانيد المخرجة على أسماء الصحابة رضي الله عنهم، بلغت 08 صفحات (من ص. 137-144) وشملت على كتابين وتسع مساند. ومن سائر كتب الحديث من منشور وغير ذلك، فقد بلغت 36 صفحة ما بين (من ص. 150-185) وشملت على 38 كتاب وفائدتين و4 مساند و31 جزءاً بالإضافة إلى أربع مجالس. ومن كتب شرح غريب الحديث ومعانيه، فبلغت 18 صفحة (من ص. 185-202) وشملت 28 كتاب وجزآن، أمّا كتب علل الحديث والتواريخ ومعرفة الرجال وغير ذلك ممّا يتّصل به فبلغت 28 صفحة (من ص. 203-230) والتي شملت 75 كتاباً و10 أجزاء ورسالة واحدة. وعن كتب السّير والأنساب ونحو ذلك ممّا يتّصل به فقد بلغت 11 صفحة (من ص. 230-240) وشملت 18 كتاباً، ولقد بلغت كتب الفقه على مذهب ملك بن أنس رحمه الله 16 صفحة (ما بين ص. 240-255) واحتوت على 23 كتاباً ومجلسين أوّلهما مجالس أصبع بن الفرج وسماعه من ابن القاسم وثانيهما مجالس ابن القاسم³، بالإضافة إلى جزء جزء فيه مناسك الحج⁴، أمّا كتب أصول الدين وأصول الفقه، وفضل العلم وغير ذلك ممّا يتّصل به فقد بلغت 07 صفحات (ما بين ص. 255-261) وتنوّعت بين 22 كتاباً ورسالتين. ثمّ تطرّق بعد ذلك إلى كتب الأشربة والتي بلغت ثلاث صفحات (من ص. 261-263)، وتألّفت من 06 كتب، ثمّ تبعه بعد ذلك بكتب الفرائض وما يتّصل بها والتي بلغت 04 صفحات (من ص. 263-266)، واشتملت على 11 كتاب، وتطرّق بعد ذلك إلى كتب عبارة الرؤيا، والتي بلغت ثلاث صفحات (من ص. 266-268) واشتملت على 05 كتب. أمّا كتب الزهد والرقائق وما

*- بما في ذلك القصائد الفردية، والرسائل القصيرة.

¹- شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 190.

²- محمد صاحبي، التراث العربي ومرجعياته: دراسة إستمولوجية في نشأة البليوغرافيا عند المسلمين، المرجع السابق. ص. 389.

³- ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق. ص. 254.

⁴- المصدر نفسه. ص. 255.

يُتصل بها فقد بلغت 14 صفحة (من ص. 268 - 281) واث

الله عز وجل لابن بياضة¹. ثم ينتقل "ابن خير الإشبيلي" بعد ذلك دون إعلام القارئ أو المطلع على الفهرسة إلى ابواب أربعة، يتبع فيها ترتيبا آخر مُخالف لما عهدناه عنه في ذكره للمؤلفات التي سبق ذكرها. وهذا الترتيب قائم على مداخل المؤلفين واصطلح على تسميتها كالتالي:

➤ من تواليف أبي بكر بن أبي الدنيا رحمه الله: انحصرت في ثلاث صفحات (من ص. 282 - 284) وشملت 33 كتابا.

➤ من تواليف أبي سعيد بن الأعرابي رحمه الله في معان الزهد: جاءت في صفحتين (من ص. 284 - 285) واشتملت على 08 كتب.

➤ من تواليف أبي بكر محمد بن الحسين الأجرى رحمه الله: بلغت هي الأخرى صفحتين (من ص. 285 - 286)، واشتملت على 23 كتابا. ويُحيل تارة في هذه التواليف إلى أنه قد ذكر أحد هذه الكتب فيما سبق ككتاب الأربعين النووية الذي يقول عنه أنه تقدّم ذكره²، وأثناء الإنتهاء من ذكر هذه التواليف يقول: «وذكرت الأسانيد في ذلك كله فيما تقدّم عند ذكر كتب منثور الحديث وما يتصل بذلك»³.

➤ من تواليف أبي ذر عبد بن أحمد الهروي رحمه الله: وقد بلغت هذه التواليف 19 صفحة (من ص. 286 - 304)، وتنوّعت بين 75 كتابا وحديث واحد، حكمة واحدة، 03 مواعظ، 08 رسائل، 06 أجزاء، كما يعمد "ابن خير" أيضا إلى التنبيهات والإحالات، فيقول عن كتاب مناسك الحج «وقد تقدّم ذكرى له قبل هذا مع كتب الفقه»⁴، ويقول أيضا عن كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابهم في عيشهم وتخليهم عن الدنيا: «قد تمّ ذكرى له أيضا قبل هذا»⁵.

وأثناء انتهائه من ذكر هذه التواليف يدخل بابا واسعا يجعل عنوانه: "ومن كتب الأنحاء واللغات والآداب والشروحات وأشعار العرب والمحدثين وما يتصل بذلك من نوعه"، ويبلغ عد صفحات هذا الباب 14 صفحة (من ص. 305 - 318) وتحتوي على 41 كتابا و 03 أجزاء.

¹ - ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق. ص. 275.

* - تواليف: مفرداها توليف بمعنى تأليف.

² - المصدر نفسه. ص. 286. (وكتاب الأربعين النووية حقا ذكره من قبل في باب كتب الحديث من منثور وغير ذلك في ص. 150).

³ - أنظر: ص. 250 - 285 من المصدر نفسه.

⁴ - المصدر نفسه. ص. 286. (وكتاب مناسك الحج مذكور مع كتب الفقه. ص. 250).

⁵ - المصدر نفسه. ص. 286.

ثمَّ يعود مرّة ثانية إلى ذكر التواليف، فيذكر "تواليف أبي

النحوي"، جاءت هذه التواليف في ثلاث صفحات (من ص. 318-320)، واشتملت على 20 كتابا وجزأين.

وعلى إثر ذلك يعود "ابن خير" إلى ذكر "كتب الآداب واللغات والشروحات وما يتّصل بذلك"، وهو فيما يبدو تيّمة لما ذُكر في باب "الأنحاء واللغات والآداب" حيث بلغت 75 صفحة (من ص. 320-394)، واشتملت على 208 كتابا وجزأين بالإضافة إلى 04 نوادر واختيارات المفضّل والأصمعي وديوان الأشعار والمفضّليات وأراجيز العجاج وابنه الرّومة بن العجاج، وأخيرا 10 أشعار متفرّقة. وألحق بهذه الكتب "الشعر وأسماء الشعراء التي رواها عن أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القيرواني الأندلسي"، فيذكر "ابن خير" كلّ شعر على من قرأه مع الإعتناء بسلاسل الإسناد، والأخذ بعين الاعتبار عدد أجزاء كلّ شعر، وقد بلغت هذه الأشعار ثلاث صفحات (من ص. 395-397)، وبلغت في مجملها 41 شعر. ويفتح "ابن خير" عنوانا آخر سمّاه: "ومّا ذكره أبو مروان بن سراج ممّا رواه عن أبي سهل الحراني" بحيث يذكر مختلف الأشعار مع ذكر صاحب كلّ شعر، وكان ذلك في صفحة 397، وبلغت 20 شعرا. وتبعه بعد ذلك بعنوان: "ممّا ذكره أبو علي الغساني ممّا أخذه عن أبي مروان بن سراج" في صفتين (بين ص. 397-398)، وبلغت 07 أشعار. وذهب أيضا إلى "ما ذكره أبو الحجاج الأعمم ممّا أخذه عن أبي سهل الحراني"، وكان ذلك في صفحة 398، واشتملت على 04 أشعار بالإضافة إلى الأشعار الستة الجاهليّة التي شرحها "أبو سهل الحراني" وقصيدتين، ويذكر في ذلك صاحب كلّ شعر وقصيدة*. ويفتح بابا آخر سمّاه "ماجلبه أبو علي البغدادي من الأخبار"، حيث بلغ 28 صفحة (من ص. 398-425)، وأنواع هذه الأخبار إمّا أن تكون أخبارا بعينها استقفاها من مصادرها الأصليّة، كأن يقول: «ثمانية وعشرون جزء من أخبار نفطويه، قال أبو علي سمعتها منه، وخمسة أجزاء من أخبار الدينوري...»¹، أو تكون عبارة عن كتب كاملة، كأن يقول: «كتاب الآداب لبْن المعتز...»²، ويسرد سلاسل الإسناد وطرق تلقّيه وحمله لهذا الكتاب، وقد تكون الأخبار أيضا مجرد قصائد، كأن يقول: «قصيدة كعب بن زهير التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلّم»³، كما قد يكون الخبر عبارة عن شعر كقوله: «شعر ابن سكرة الهاشمي...»⁴، وقد

* - قال أبو علي البغدادي: «وُلدت سنة ثمان وثمانين، وخرجت إلى بغداد سنة 303، فأقمت بها سنة 328، وخرجت منها ووصلت إلى الأندلس ودخلت قرطبة ثلاث بقين من شعبان سنة 330»: ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق. ص. 398.
* - انظر الجدول رقم 01. (الخاص بمصادر "ابن خير الإشبيلي" من خلال فهرسته).

¹ - المصدر نفسه. ص. 398.

² - المصدر نفسه. ص. 405.

³ - المصدر نفسه. ص. 405.

⁴ - المصدر نفسه. ص. 406.

يكون الخبر أيضا عبارة عن رسائل كأن يقول: «رسالة ميزان

يكون الخبر يقتصر على جزء فقط كقوله: «جزء فيه اختصار العروض وبسطه، ومعرفة تقطيع آياته...»¹.

وبعد أن يستوفي "ابن خير الإشبيلي" هذه الموضوعات، يتطرق إلى عمل مهم يتمثل في ذكره سَجَلًا لما رواه من كتب الفهارس الجامعة لروايات الشيوخ، تحت عنوان: "ذكر ما رويته من الفهارس الجامعة لروايات الشيوخ رضي الله عنهم وتوالتهم"، وهو باب مهم حصر فيه عددا ضخما من المحاولات -البرامج- التي قام بها الشيوخ آنذاك في مجال الحصر الببليوغرافي لفهارس الشيوخ، وقد بلغ عدد الفهارس 75 فهرسة²، منها ماهو معروف كـ "فهرسة التحيي"³ و"فهرسة القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصي"⁴... وغيرهما. ويتوسّع فيها بذكر أسماء المؤلفين وألقابهم وطريقتهم في رواية فهرساتهم، كما يذكر أماكن الرواية في بعض الأحيان، كأن يقول مثلا: «فهرسة الشيخ الوزير أبي عبد الله جعفر بن محمد بن مكّي بن أبي طالب القيسي رحمه الله، حدّثني بها قراءة مّني عليه في منزله»⁵، حيث بلغت عدد صفحاتها 14 صفحة (من ص. 425-438). وبعد ذكره لما رواه من الفهارس الجامعة لروايات الشيوخ، فتح بابا سَمّاه: "باب جامع يفيدك اتّساع الرواية من جهة الإجازة" بلغ 15 صفحة (من ص. 438-452)، حيث يذكر فيه تواليف العلماء، وكيفية تلقّيه لها من طرف مشايخه، مع الأخذ بعين الإعتبار سلاسل الإسناد (العنونة)، كأن يقول مثلا: «تواليف أبي بكر محمد بن الحسي الأجرى رحمه الله، كلّها حدّثني بها الشيوخ... عن...»⁶، وبلغ عدد التواليف 68 توليفا، وأدرج بعده بابا قام فيه بتفسير "الإجازة العامة" واتّخذ في سبيل ذلك ما طلبه من أبي الوليد بن رشد بقوله: «لما استخار الله تعالى شيخنا الفقيه القاضي أبو الوليد بن رشد رحمه الله في النهوض إلى المغرب مبينا على علي بن يوسف بن تاشفين ما الجزيرة عليه، وأزمع على التوجّه أوّل ربيع الآخر من سنة 520 هـ، سألته غداة يوم الإثنين ليلتين خلت منه أن يُجيزني جميع ما يحمله من الكتب المؤلفة في ضروب العلم بأيّ وجه حمل ذلك من قراءة أو سماع أو مناولة أو إجازة... فتبسّم واستغرب هذا السؤال ثمّ قال لي منشرح الصدر طلق الوجه، ظاهر التبسّم: نعم، قد أحزتك ذلك كلّه ولجميع من سألت... فشكرت الله تعالى وشكرته على إجابته...»⁷، وكان ذلك في ثلاث صفحات (من ص. 453-455).

¹ - ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق. ص. 418.

² - المصدر نفسه. ص. 424.

* - انظر الجدول رقم 02. (الخاص بأنواع الأخبار التي جلبها أبو علي البغدادي والتي تُعدّ مصدرا من مصادر "ابن خير الإشبيلي").

* - انظر الجدول رقم 03.

³ - المصدر نفسه. ص. 434.

⁴ - المصدر نفسه. ص. 437.

⁵ - المصدر نفسه. ص. 427.

⁶ - المصدر نفسه. ص. 438.

⁷ - المصدر نفسه. ص. 453.

وفي ختام الفهرسة أفرد "ابن خير الإشبيلي" بابا صغيرا لفظا، وخطا ممن لقيته ومن لم ألقه رحمهم الله"، حيث بلغ عددهم 25 شيخا، واشتمل هذا الباب على صفحتين (من ص. 456 - 457). وقوله بعد ذلك: «وهؤلاء الذين أخذت عنهم بإشبيلية حرسها الله». ويسرد بعد ذلك أسماء الشيوخ مضافين إلى بلدانهم على النحو التالي:

- ومن أهل قرطبة ممن لم ألقه: 06 شيوخ (من ص. 457 - 458).
- وممن أخذت منه ولقيته منهم: 20 شيخ (من ص. 458 - 459).
- وممن أخذت عنه ولم ألقه أيضا: شيخان (ص. 459).
- وممن أخذت عنه منهم أيضا ولقيته: شيخ واحد (ص. 459).
- وممن أخذت عنه من الشيوخ بالمرية حرسها الله، ولم ألقه: 06 شيوخ (من ص. 459 - 460).
- وممن أخذت عنه من أهلها أيضا ولقيتهم بها: 06 شيوخ (ص. 460).
- وممن أخذت عنه من أهل مالقة حرسها الله ولقيته: شيخان (من ص. 460 - 461).
- وممن أخذت عنه بالجزيرة الخضراء حرسها الله: شيخان (ص. 461).
- وممن رويت عنه أيضا عن الشيوخ من سائر البلاد: 33 شيخ (من ص. 461 - 463)*.

ثم يلي متن الفهرسة الذي يستغرق 459 صفحة فهارس الكتاب مرتبة على حروف الهجاء وهي على ثلاثة أشكال:

- (1) - فهرست الكتب: يشمل 69 صفحة (من ص. 465 - 534).
- (2) - فهرست المؤلفين وبعض الرواة: يشمل 34 صفحة (من ص. 539 - 573).
- (3) - فهرست أسماء الأمكنة: يشمل 04 صفحات (من ص. 575 - 579).

* - ولقد لخصت ما تم ذكره في إحصاء شامل. (انظر الجدول رقم 04).

ب-5- أهمية وقيمة فهرسة "ابن خير الإشيلي":

بالإضافة إلى أن برامج العلماء بصفة عامة تساعد على كشف تاريخ الحركة الثقافية الإسلامية، وكشف منابع التي ارتوى منها العلماء، وكذا التعرف على أصحاب المخطوطات المتناثرة هنا وهناك. اعتبرت فهرسة "ابن خير الإشيلي" أضخم عمل وأهمه في هذا المجال، حيث يحصر أكبر حجم من المرويات بتنوع مصادرها، مع وضوح أسلوب اتصاليها، وحرصه على نسبتها إلى أصولها -أصحابها-، وذلك بالإعتماد على الرواية الدقيقة عن طريق إسنادها بإحدى طرق تحمّل العلم. فهو بذلك يقدم «سلسلة الثقل بالتواتر إلى زمانه فيعرف متى ومن نقل إلى الأندلس المؤلفات المكتوبة في المشرق»¹.

بالرغم من أن "ابن خير" لم يذكر معظم البيانات البليوغرافية عن الكتب التي سجلها، بل توسّع في معنى الإجازة الذي أثر على هذه البيانات بالتقصير، فإنه يكتسب إلى جانب أهميته البليوغرافية العامة قيمة أخرى من المقدمة الرائعة التي دمجها عن فضل العلم وطرق انتقاله، ناهيك عن عمله الأهم المتمثل في حصره لما يقابل بليوغرافية البليوغرافيات أثناء ذكره لما رواه من الفهارس الجامعة لروايات الشيوخ والتي بلغت كما رأينا خمسا وسبعين فهرسة، وبذلك يحظى بأن يكون أهم وثيقة تعكس حركة التأليف والمكتبة العربية بالأندلس، ومستندا تاريخيا وثقافيا موثقا لها.

ب-6- عناصر منهج الإسناد البارزة في فهرسة "ابن خير الإشيلي":

لقد اعتنى "ابن خير الإشيلي" هو الآخر أيما اعتناء بسلاسل الإسناد التي تشدّ عناصر الضبط البليوغرافي الكتبي ضمن حلقات تقرب نقل هذه التأليف واتصال رواها، بالرغم من تباعد الأزمان بين المؤلف الأصلي وصولا بآخر من رواه عن طريق أحد أدوات تحمّل العلم. هذا ما يمكن الولوج إليه في الإمام بالطريقة المنهجية الضبطية التي انتهج عن طريقها مختلف عناصر الضبط البليوغرافي.

- إن الحكم العام الذي سلكه "ابن خير الإشيلي" في ذكره للمؤلفات وكيفية تحمّلها له هو ذكره لإسم الكتاب ومؤلفه، وإسم الراوي وطريقة التلقي، وذكر سلاسل الإسناد التي ترتفع إلى صاحب المؤلف بالإضافة إلى ذكر سنة التلقي إن وجدت. سواء كانت تختصّ به أو بإحدى رواة المصنّف. فيقول مثلا: عن كتاب "قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، وحفظ ألفاظه واستعاذته وافتتاحه" الذي ألفه أبو بكر محمد بن مجاهد المقرئ رحمه الله: «حدثني به شيخنا الخطيب أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني المقرئ، سمعا منه بقراءته عليّ، قال: سمعته على أبي العباس أحمد بن سعيد بن

¹ - فوزية مصطفى عثمان، «من تاريخ البليوغرافيا». مجلة المكتبات والمعلومات العربية، المرجع السابق. ص. 74.

أحمد بن نفيس المقرئ سنة 434، قال: أخبرنا به أبو أحمد عبد به أبو بكر بن مجاهد المقرئ مؤلفه رحمه الله¹.

- بالإضافة إلى تخصيصه المكان الذي أُجري فيه تلقّي أحد الرواة لإثبات ذلك. كأن يقول مثلاً: عن "الكتاب الهادي في القراءات" من تأليف أبو عبد الله محمد بن سفيان المقرئ القيرواني رحمه الله: «...قال سمعته على أبي حفص عمر بن حسين المقرئ المعروف بابن النفوسي بالمهدية، في مسجده، برحبة القمح في ذي القعدة 422»². وقوله في موضع آخر عن "كتاب التمهيد في القراءات" لمؤلفه أبو علي الحسن بن محمد بن إبراهيم المقرئ البغدادي المالكي: «...قال: سمعته على مؤلفه أبي علي المذكور في مسجد سوق بربر بفسطاط مصر سنة 433»³.

- توظيف "ابن خير الإشبيلي" لما عُرف بالإسناد الجمعي، كأن يفصّل في ذكر سلاسل إسنادٍ مختلفة لمصنّف نفسه. مثال ذلك قوله: «قال شريح بن محمد: وحدثني به أيضاً الفقيه أبو محمد عبد الله بن إسماعيل بن خزرج اللخمي...»⁴.

- جمع صاحب "ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة في ضروب العلم وأنواع المعارف" أكثر من مؤلّفين في إسناد واحد. قصد تفادي تكرار سلاسل الإسناد، وهذا ما يظهر جلياً في ذكره لمصنّفات المقرئ أبي عمرو الداني رحمه الله قائلاً: «كتاب المحتوى على الشاذ من القراءات، وكتاب التنبيه على مذهب أبي عمرو بن العلاء في الأمالة والفتح والعلل، وكتاب ذكر الحافظ لتراجم القراء والنظائر منها، وكتاب التهذيب لانفراد أئمة القراء السبعة، وكتاب... وكل ذلك من تأليف المقرئ أبي عمرو الداني رحمه الله، حدثني بذلك كلّ: الشيخ المسنن أبو الأصبغ عيسى بن أبي البحر الزهري عن... عن مؤلفه رحمه الله»⁵.

- توظيف "ابن خير الإشبيلي" لأدوات تحمّل العلم خاصّة المشهورة منها، أو ما يوحى إليها، هذا ما يدلّ على الدقّة في الإفصاح عن طريقة التلقّي، وما يمكن التمثيل به في هذا الصدد قوله عن كتاب "التبصرة في القراءات السبع" من تأليف أبو محمد مكّي بن أبي طالب المقرئ رحمه الله «حدثني به سيخنا الوزير الأديب أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكّي بن أبي طالب سمعاً عليه قال: حدثني به...إجازة فيما كتب إليّ، عن مؤلفه الأصلي»⁶. وقوله أيضاً عن كتاب "التذكرة في القراءات السبع" عن القراء السبعة المشهورين رحمهم الله من تأليف أبو الحكم العاصي بن خلف بن محرز المقرئ، وكتاب "المهذّب في القراءات" له أيضاً «حدثني بالتذكرة منها الشيخ الإمام أبو مروان عبد الملك بن محمد بن

¹ - ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق. ص. 23.

² - المصدر نفسه. ص. 24.

³ - المصدر نفسه. ص. 26.

⁴ - المصدر نفسه. ص. 24-25.

⁵ - المصدر نفسه. ص. 29.

⁶ - المصدر نفسه. ص. 28.

خلف التجيي قراءة مّني عليه في مسجده بإشبيلية مرّتين... عن

المذكورة"، من تأليف أبي العباس المهدي رحمه الله، أيضا حدّثني بها أبو عبد الله محمد بن سليمان منأولة منه، قال: حدّثني بها خالي أبو محمد غانم، عن مؤلّفه رحمه الله¹.

- هذا بالإضافة إلى توظيفه لألفاظ الحدّثين في رواية الحديث مثل: أخبرنا، حدّثني. كقوله: في ذكره لكتب السير والأنساب: «كتاب النسب» لأبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله، حدّثني به شيخنا أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكّي قال: حدّثني به...². كما قال "ابن خير الإشبيلي" أنّ كتاب "القراءات" لأبي القاسم بن سلام رحمه الله، والذي حدّثه به شيخه أبو الحسن شريح بن محمد المقرئ عن أبيه عن جدّه الذي قال: «أخبرنا به أبو الحسن علي بن حاتم بن محمد الصواف... عن... مؤلّفه الأصلي»³.

- لقد أولى "ابن خير الإشبيلي" أهمية خاصّة بتوظيفه للألفاظ المخصوصة التي تقابل ألفاظ الجرح والتعديل عند الحدّثين، إذ يقول عن كتاب "الإستيعاب في أسماء الصحابة" الذي ألفه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الحافظ: «حدّثني به الشيخ الحدّث الثقة أبو بكر محمد بن الطاهر رحمه الله قراءة مّني عليه بلفظي في منزله، قال:.. عن مؤلّفه الأصلي»⁴. وقال أيضا عن مؤلّف الكتاب "تلقيح العين في اللغة" أبو غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي: «... وكان أبو غالب هذا إماما في اللغة وثقة في إيرادها، مذكورا بالديانة، والعفة والورع... وكان ثقة، صدوقا عفيفا، توفي بالمري في أحد الجماديين من سنة 436»⁵. كما قد يسترسل "ابن خير الإشبيلي" إلى ذكر بعض الصفات الخلقية، كأن يقول عن الفقيه "أبو محمد بن أبي زيد" رحمه الله: «كان عابدا متبتّلا صائما دهره، وكان بذّ الهیئة، قمي الشخص، مفرط القصر، مكشّر الوجه، ضرير البصر...»⁶. ويقول أيضا عن "محمد بن زياد الأعرابي": «وكان نسّابا، نحويا كثير السماع، راوية لأشعار القبائل، كثير الحفظ»⁷.

- أمّا عن البيانات البليوغرافية الخاصة بالمؤلّفات. فقد باءت بالإهمال من طرف "ابن خير الإشبيلي"، إذ أنّه لا يتعدّى ذكر عدد أجزاء الكتب في بعض المواضع دون اللّجوء إلى وصفها البليوغرافي كما وجدنا ذلك ساريا عند "ابن النديم". ففي ذكره لعدد الأجزاء نورد أمثلة عن ذلك في قوله: «كتاب الطبقات» لـ "محمد بن سعد" كاتب الواقدي:

¹ - ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق. ص. 31.

² - المصدر نفسه. ص. 239.

³ - المصدر نفسه. ص. 23.

⁴ - المصدر نفسه. ص. 214-215.

⁵ - المصدر نفسه. ص. 360-361.

⁶ - المصدر نفسه. ص. 367-368.

⁷ - المصدر نفسه. ص. 372.



ثلاثة أجزاء»¹، وقوله: «كتاب الطبقات» لـ "خليفة بن خياط
المديني"، جزآن»².

مما تقدّ ذكره نستنتج أنّ "ابن خير الإشبيلي" ارتقى لمرتبة محدّث الحديث النبوي الشريف، بحيث أنّنا لو قمنا بتبديل طفيف للمؤلّفات التي كانت مجالاً للحصر البليوغرافي في فهرسته، بما يقابلها عدداً من الأحاديث، لكان باقي منهجه القويم في الضبط والتمحيص والإعتناء بسلاسل الرواية، بما في ذلك العنونة المتكرّرة وأدوات التحمّل، كالسماع والقراءة والإجازة، وكذا الألفاظ الحديثية (حدّثي، أخبرني...) يتطابق ورواية المحدّثين للحديث الشريف. ولم يكن ذلك عبثاً، إنّما كان مؤسساً عملياً على حفظ الموروث الثقافي وحقيقة ضبطه ونسبته إلى أصحابه، القائم على عناصر منهج الإسناد السارية المفعول في كلّ زمان. إلّا أنّ توسّعه واستيعابه لطريقة المحدّثين هاته، أثّرت على البيانات البليوغرافية بالتقصير.

¹ - ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق. ص. 224.
² - المصدر نفسه. ص. 225.

2-2- عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة

وسوف يكون الحديث في هذا النموذج عن "برنامج مشيخة الغبريني" والذي يتميز عن سابقه في كونه جاء متصلاً أو ذيلًا لكتابه "عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية".

أ- المؤلف: مولده ونسبه:

هو أحمد بن أحمد* بن عبد الله بن محمد أبو العباس الغبريني، وُلِدَ في بجاية أو بني غبرين، وكان ذلك سنة (644 هـ - 1246 م)¹، هذا عن مولده أمّا عن وفاته فقد تختلف المصادر في تحديد وفاته بالرغم من أنّها متقاربة، فيذكر "الزركلي" أنّ ذلك كان سنة (714 هـ - 1304 م)²، في حين أنّ "ابن خلدون" يرجع ذلك إلى سنة 410 هـ، رابطًا الحدث بما حدث للغبريني أثناء سفره إلى تونس بقوله: «ولما وُلِّيَ السلطان أبو البقاء اعترّم على المواصلّة مع صاحب السلطان قطعًا للزبون عنه، وعُيِّنَ للسفارة بذلك شيخ القراية ببابه أبا زكرياء الحفصي ليحكم شأن المواصلّة بينه وبينه، وبعث معه القاضي أبا العباس الغبريني كبير بجاية وصاحب شوراها، فأدّوا رسالتهم وانقلبوا إلى بجاية، ووجد بطانة السلطان السبيل في الغبريني، فأعزّوه به، وأشاعوا أنّه داخل صاحب الحضرة في التوثّب في السلطان، ... وما كان منه في شأن السلطان أبي إسحاق، وأنّه الذي أعزى بني غبرين به، فاستوحش منه السلطان وتقبّض عليه سنة أربع وتسعمائة، ثمّ أغروه بقتله فقتل بحبس تلك...»³.

ويظهر ممّا كتب عنه هنا وهناك أنّ "الغبريني" ينتسب إلى أسرة عريقة في العلم والقضاء، تنحدر من بني غبرين بأحواز العزازقة من بلاد القبائل الكبرى، حيث نبغ فيها عدد من الأعلام، وقد ترجم "الغبريني" ذاته لاثنتين منهم في "عنوان الدراية"⁴. أحدهما "أبو النجم هلال بن يونس بن علي الغبريني" وثانيهما: "أبو محمد عبد الحق بن يوسف بن حمامة الغبريني"⁵.

*- لقد نقل "أبو القاسم الحفناوي" صاحب "تعريف الخلف برجال السلف" ترجمة "الغبريني" عن "ابن قنفذ" الذي قال عنه "أحمد بن محمد"، ولكنّه استترك ذلك بقوله: «والذي رأيته في نسخة العنوان -أي عنوان الدراية- أنّه أحمد بن أحمد».

¹- خير الدين الزركلي، المصدر السابق. مج. 01. ص. 90.

²- المصدر نفسه. ص. 90.

³- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. طبعة مزيّدة ومنقّحة. القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1999. مج. 12. ص. 719.

⁴- محمد صاحبي، التراث العربي الإسلامي ومرجعياته: دراسة إبستمولوجيّة في نشأة البليوغرافيا عند المسلمين. المرجع السابق. ص. 392.

⁵- أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. عناية: محمد بن أبي شنب. الجزائر: دار البصائر للتوزيع والنشر، 2007. ص. 85-150.

ب- المؤلف:

وما نحن بصدد إلقاء نظرة عامة عليه هو "برنامج مشيخة العُبريني" الذي جاء ذيلًا لكتابه "عنوان الدراية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السابعة بجاية".* الذي اعتنى بتصحيحه من التحريف وتصويبه من التصحيف: المدرّس بالمدرسة الثعلبية الدولية وكلية الآداب العليا بالجزائر "محمد بن أبي شنب"، حيث نشر بالجزائر سنة 2007 من طرف دار البصائر للتوزيع والنشر، والذي يحوي 192 صفحة، بما في ذلك "مشيخة العُبريني" التي حصّة صغيرة جدًا بلغت 17 صفحة فقط.

ب-1- هدفه من تأليف المشيخة:

إنّ ما صرّح به "العُبريني" قبل شروعه في ذكر مشيخته توضيحه لهدفه المنشود من ذلك بقوله: «إني أردت لما أتيت على ذكر ما شرطت ذكره من علماء هذه المائة السابعة، ومن انضاف إليهم فيمن كان في آخر المائة السادسة نفع الله بهم وجعله خالصا لوجهه الكريم، رأيت أن أذكر بعد ذلك طريق استفادتي مما استفدته، ووجه تلقّي ما تلقّيته من العلم، ورويته بذلك من له أرب وليجده منظوما كيف يريد من له عليه بحث وطلب»¹.

ب-2- منهجية تأليف المشيخة:

إنّ ما يمكن قوله من خلال تصفّح برنامج مشيخة العُبريني، أنّه بالإضافة إلى اعتماده على التبويب على أساس الكتب (مرتبة حسب موضوعاتها)، فإنّه يأخذ بعين الاعتبار تقسيم العلوم وتوزيعها إلى صنفين: أولهما: علم الدّراية وثانيهما: علم الرّواية. بحيث طبّق ذلك عمليًا لقوله المقرون بتبيينه لغرضه من البرنامج بصفة عامة، حيث قال: «ويتنوّع ما أورد في ذلك إلى نوعين: أحدهما علم الدّراية، والآخر: علم الرّواية»². -ولا شكّ أنّ ذلك كان مبنيا على فلسفة معرفيّة واضحة-³.

* - بالرغم من أنّ صاحب "عنوان الدراية" اعتنى بالترجمة لعلماء بجاية الأصليين أو الوافدين عليها خلال القرن السابع الهجري، إلا أنّه ذكر بعض علماء القرن السادس الهجري «لذّبوع ذكرهم وفخرهم وقرب عهدهم بهذه المائة -المائة السابعة-»، ومن بين هؤلاء: أبو مدين شُعَيْب بن الحسين الأندلسي، وأبو علي حسن بن علي بن محمد المسبلي: أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، المصدر السابق. ص. 07-13.

¹ - المصدر نفسه. ص. 172.

² - المصدر نفسه. ص. 172.

³ - محمد صاحبي، «من مصادر الثقافة والعلم: فهارس الشيوخ أو برامج العلماء». المرجع السابق. ص. 70.

أمّا علم الدّراية فهي كما يقول: «جملة العلوم التي أحـ

الفقه، وعلم الأصولين: أصول الدين، وأصول الفقه، وعلم العربية، وعلم التصوّف، وعلم المنطق...». أمّا فيما يخص علم الرواية فهو العلم الذي تحصّل عليه المؤلّف عن جملة من شيوخه مثل: الشيخ أبي محمّد عبد الحق بن ربيع الأنصاري، وأبي محمّد القيسي وغيرهما. ويعبّر "العبريني" في هذا النوع من العلوم أنّه يشترط في ذكره على اتّصال الأسانيد والرواية فيقول في هذا السبيل: «وقد تتّفق أسانيدهم وقد تختلف بحسب الإتّفاق في المشايخ والإفتراق، وها أنا أذكر من ذلك بعض ما هو ضروري من اتّصال أسانيدي وروايي عنهم رحمهم الله تعالى على وجه الأعمّ الشامل لحصول الرواية بأيّ وجه حصل أورد ذلك على اتّصال الإسناد. وأذكر فيه معظم ما يقصد من المرويّات ويُراد. والمقصود المهمّ، والمعظم الذي يعتني به اللّبيب ويلمّ هو علوم تفسير القرآن العزيز وعلوم الحديث وعلوم الفقه وعلوم العربية وعلوم التصوّف...»².

من خلال ما تقدّم نستنتج أنّ علم الدراية ينقسم إلى ستّة علوم، أمّا علم الرواية فيتألّف من خمسة علوم، علّمان منهم يحتملان الرواية فقط وهما: علوم تفسير القرآن العزيز، وعلوم الحديث. والعلوم الثلاثة المتبقّية تحتمل الدراية والرواية في آن واحد. ولعلّ تقسيمه هذا قد يُكسب العلوم حدودها وماهيّتها، ذلك لأنّ هذه العلوم: علم الفقه، علم العربية، وعلم التصوّف «قد يهتدي إليها الإنسان بفكره، كما يمكن أن يقف عليها بسلسلة الأسانيد والأخبار»³.

ويظهر ذلك جليّاً عندما يوضّح "العبريني" كيفيّة تلقّيه علم الفقه بقوله: «أمّا علم الفقه فإنّي تلقّيته تعلّماً وتفهُّماً وتبسّطاً بالقراءة على الفقيهين أبي محمّد عبد العزيز القيسي، وأبي محمّد عبد الله بن عبادة، قرأت عليهما وسمعت منهما وتفقّهت بهما، ومازلت أحضر مجلسهما للاستفادة والنفع...»⁴.

إنّ ما يمكن ملاحظته مبدئيّاً من خلال "برنامج المشيخة" أنّ "العبريني" قد أولى الإهتمام أكثر لعلوم الرواية، إذ أنّه خصّ العلم الأوّل (الدراية) بما يقارب أربعة صفحات فقط من جملة سبعة عشرة صفحة، ويقول حين الغنتهاء من ذكرها «فهذا هو وجه تلقّي ما تلقّيته من علوم الدّراية»⁵. وبالمقابل فقد شملت علوم الرواية ما تبقى من ذلك*.

¹ - أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، المصدر السابق. ص. 172 - 173.

² - المصدر نفسه. ص. 175.

³ - محمد صاحبي، التراث العربي ومرجعياته: دراسة إستمولوجيّة في نشأة البليوغرافيا عند المسلمين، المرجع السابق. ص. 393.

⁴ - أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، المصدر السابق. ص. 173.

⁵ - المصدر نفسه. ص. 175.

* هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أهميّة العلوم النقلية المُسندة في حياة المسلمين في تلك الفترة: انظر في ذلك: مقالة الدكتور محمّد صاحبي بعنوان: من مصادر الثقافة والعلم: فهارس الشيوخ أو برامج العلماء. المرجع السابق. ص. 71.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

هذا وتختلف لا محالة مادّة البرنامج بين الدراية والرو

والأساتذة الذين تلقى عنهم "العُبريني" مختلف العلوم. وقد بلغ عددهم حوالي ثلاثة وثلاثين شيخاً، في حين أن عدد الكتب ضئيلاً إذا ما قيس على عدد الأساتذة، حيث شملت في مجملها عشرة كتب. وقد يرجع السبب في ذلك إلى أنّ صاحب البرنامج قد ركّز على طريقة الاستفادة والقراءة والتعلّم على أكثر من شيخ¹. ويتّضح ذلك جلياً في قوله عن تحصيله لعلم الفقه: «وأما شيخنا أبو محمد عبد الحق بن ربيع فكثرت الاستفادة عنه والبحث والمباشرة والتكرار في أكثر الأزمنة وإلقاء الصّعاب وحلّها بالكتب والمحاوّة حتى جرى ذلك مجرى الدرس»². ويقول في موضع آخر عن تلقّيه لعلم العربيّة: «وأما أبو الحجاج بن سعيد فقرأت عليه وأعربت وسمعت بقراءة الحاضرين، وكان ميعاده مشحوناً بالطلبة، والذي يقرأه هذا غير الذي يقرأه هذا، والذي يعربه هذا غير ما يعربه هذا، فوقع الإنتفاع به والقراءة والسماع»³.

أمّا الصّنف الثاني فقد حظيَ على ما لا يقلّ عن ثمان وأربعين كتاباً في مختلف العلوم الخمسة المدرجة ضمن علوم الرواية⁴.

ومّا يلاحظ في هذا الجزء أنّ "العُبريني" قد اهتمّ بالإضافة إلى ذكر الكتب وسلسلة الرواة التي تمّ عن طريقها التحديث أو النقل بترجمة بعض العلماء بذكر تاريخ الميلاد والوفاة أو إحداهما، وفي بعض الأحيان يذكر وقائع الدفن، كما في قوله: «وحدثني بكتاب "الوجيز في شرح كتاب الله العزيز" من تأليف القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي... وتوفي بلورقة عام واحد وأربعين وخمسمائة»⁵. ويذكر في موضع آخر: «وحدثني بكتاب الإمام القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، وبها وُلد منتصف شعبان المكرّم عام ستّ وسبعين وأربعمائة، وتوفي بمراكش ليلة الجمعة التاسعة من جمادى الآخرة عام أربعة وأربعين وخمسمائة. ودُفن يوم الجمعة بحومة باب أيلان منها، وكان من أهل التّفنّن في العلوم والذكاء واليقظة والفهم»⁶.

¹ - محمّد صاحبي. التراث العربي ومرجعياته: دراسة إبستمولوجيّة لنشأة الببليوغرافيا عند المسلمين. المرجع السابق. ص. 394.

² - أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، المصدر السابق. ص. 173.

³ - المصدر نفسه. ص. 174.

⁴ - محمد صاحبي، «من مصادر الثقافة والعلم: فهارس الشيوخ أو برامج العلماء». المرجع السابق. ص. 71.

⁵ - أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، المصدر السابق. ص. 176.

⁶ - المصدر نفسه. ص. 183.

ب-3- أهمية برنامج مشيخة "الغبريني":

إنّ ما يمكن أن نستخلصه من خلال إلقاء بصيص من الثور لهذا النوع الفريد من برامج العلماء المذّكل بتأليف بعينه لـ "عنوان الدراية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، أنّه بالرغم من أنّ مُجمل "برنامج المشيخة" لم يتعدّى سبعة عشر صفحة فقط كما سبق وأن ذكرنا، إلّا أنّه يُعتبر من الفهارس والبرامج التي لا تُسهم في إمطة اللّثام عن الحركة الثقافيّة بشقيّها التعليمي والتألفي فحسب، وإلّا تبعث على إحياء أخبار علميّة* تعتبر أساسا للدراسات التي يسعى روادها إلى التّأليف عن ما ألّف. فلها الفضل بذلك في إرساء قواعد الضبط الببليوغرافي، وإثراء ما كُتب في هذا المجال الواسع كمصنّف "الفهرست" لابن النديم.

ب-4- عناصر منهج الإسناد البارزة في مشيخة "الغبريني":

سوف تكون الدراسة في هذا العنصر الأهمّ عن ظاهرة هي الأخرى كانت سارية المفعول في كتاب "عنوان الدراية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السابعة ببجاية". وللإشارة فإنّ الحكم الذي سبق وأن وضّحناه في دراسة هذا المصنّف منهجا واستقراء لمادّته الموثقة، هو نفسه الذي تتّخذ أساسا في توضيح مدى استنباط "الغبريني" لعناصر منهج الإسناد عمليّا، وذلك في العنصر المذّكل لهذا العمل، والذي كان تحت عنوان "برنامج مشيخة المؤلّف".

وهذه مختلف العناصر التي وجدناها توحى بتوظيف عناصر الضبط لمصادر "الغبريني" العلميّة:

- إنّ أوّل ملاحظة أوّليّة نستنبطها من خلال هذا المؤلّف، دون الغوص في كينيّة سرد علوم الدراية والرواية، التي كانا قسمين بارزين في مادّة مشيخة "الغبريني" هي أنّه يهتمّ في ذلك بذكر طريقة الإستفادة من جلّ العلماء الذين ذكرهم "الغبريني". فيقول كما سلف الذكر: «... رأيت أن أذكر بعد ذلك طريق استفادتي ممّا استفدت، ووجه تلقّي ما تلقّيته من العلم ورويته»¹. فهنا تتابنا ثلاث عبارات، قد اختصّ بها محدّثون في رواية الحديث الشريف، وهي طرق الإستفادة، ووجه التلقي، وطرق الرواية. وهي في مجملها تخدم النشاط الاتّصالي بالعلم، وطرق تحمّل المتلقّي له العلم في مختلف الفنون. وبذلك:

- يكون "الغبريني" قد أتى ذكره لطرق تلقيه العلم شارحا لذلك، والذي يوحى إلى اتّصاليته ومباشرته للمشايخ فيقول مثلا عن كينيّة تلقيه لعلم الفقه: «فإنّي تلقّيته تعلّمًا وتفهمًا، وتبسّطًا بالقراءة على الفقيهيّن أبي محمّد عبد العزيز

- انظر في ذلك ما قدّمه الدكتور محمّد صاحبي في دراسته المستفيضة عن "برنامج مشيخة الغبريني"، في مقالته المذكورة سابقا بعنوان: «من مصادر الثقافة * العلم: فهارس الشيوخ أو برامج العلماء». ص. 72.
1- أبو عباس أحمد بن أحمد الغبريني، المصدر السابق. ص. 172.

القيسي وأبي محمد عبد الله بن عباد، قرأت عليهما وسمعت م
والنفع». ويبيّن مجرى الدرس موضّحاً بقوله: «وأما موطاً مالك رحمه الله فهو اصل دروسهما، وكل ذلك عليّ إتقان
وتحصيل وجودة بيان بتفريغ وتأصيل، وإجمال وتفصيل وإيراد الأسئلة والجمع والفرق وغيرك... وإيراد المشكلات وحلّ
المقفلات، ف وقعت الاستفادة بذلك»¹.

وهذا يساير ويتقارب مع الحلقات التي كانت ملتقى محدّثين في طلب الحديث، بمباشرة الحدّث أو
الحافظ والتبّت من صحّة أخبارها.

- إهتمام "الغبريني" بذكر حال مباشرته للفضلاء من العلماء ومدى استفادته منهم فيقول مثلاً: «وأما الفقيه أبو
القاسم فذلك ببجاية وحاضرة إفريقية، لأنّه تكرّر لبجاية مرّتين ورأيتّه أيضاً بحاضرة إفريقية، ولحّة من الفاضل تكفي،
وإشارة منه تغني، فكيف وقد تكرّر ذلك»².

- إيراده لطرق تحمّل العلم، فيقول مثلاً: «وأما أبو الحجاج فكان الإنتفاع به بالقراءة والسماع»، وقوله أيضاً:
«وأما عبد الله الكناي فقرأت عليه أوّل الأمر بعض النحو، وبعض اللغة، وأعربت عليه، وسمعت بقراءة غيري»³.

- إهتمام "الغبريني" بذكر اتّصال أسانيد في رواية المؤلّفات بتوظيفه لمصطلح "حدّثني" البارزة في جلّ الصفحات
التي خصّها بعلوم الدراية، فيذكر بذلك العلم، مدرجا الكتب المصنّفة التي تمّ تحديثه بها، موصلاً أسانيد في ذلك
بأصحابها، فيذكر الاسم الكامل لمؤلّف الكتاب، ويورد في أغلب الأحيان مولده ووفاته، مع استعماله للإسناد الجمعي،
كأن يذكر مجموعة من الأسانيد المتواترة المختلفة، التي تمّ عن طريقها رواية مؤلّف واحد فقط، فضلاً عن اعتناؤه بالعننة
التي ترتفع إلى صاحب المؤلّف الأصلي. والأمثلة التالية تخدم مآزينا إليه:

- يقول مثلاً عن أسانيد في تلقيه لـ "علوم تفسير القرآن العزيز": «حدّثني بكتاب "الكشف والبيان عن تفسير
القرآن" لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، المقرئ "أبو العباس أحمد بن محمد بن خضر الصدي الشاطي" عن "أبي
الحسن علي بن عتيق بن مؤمن الأنصاري" عن ... عنه أي المؤلّف»⁴. وقوله عن علوم الحديث: «حدّثني بكتاب "الموطأ"
للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناي، قال: نا* الفقيه
القاضي أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري، توفي بمراكش سنة إحدى وخمسين وستمائة، وولد

¹ - أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، المصدر السابق.. ص. 173.

² - المصدر نفسه. ص. 173.

³ - المصدر نفسه. ص. 175.

⁴ - المصدر نفسه. ص. 176.

* - هذا ما نجده جلياً في سلاسل رواية الحديث الشريف كاختصار لمصطلح "حدّثنا".

سنة أربع وستين وخمسمائة عن الراوية أبي محمد عبد الحق بن الليثي، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين عن مالك وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومائة...»¹.

- ويقول أثناء تكرار السند نفسه في رواية كتاب آخر: «وهذا السند أحمل كتاب أبي الحسن القابسي، وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمائة»².

وهذا قد كان "الغبريني" مبدئياً لطرق تلقيه العلوم، سواء ما تعلّق بها بالدراية أو الرواية. فأولى الإهتمام بسلاسل الإسناد -العنونة- حتّى مؤلّف الكتاب الأصلي، موضحاً ذلك بقوله: "حدثني"، "عن"، وإدراجه لمعاني السماع والقراءة، خاصّة في قسم علوم الدراية. وبذلك تكون مشيخته بليوغرافية حصريّة أكثر منها بيوغرافية، معتنية بحصر المؤلّفات دون تقديم وصفات لها، وبالموازاة لقد أولى اهتمامه الكلي بطرق الإستفادة والتلقي عبر سلاسل الإسناد المتواترة.

¹ - أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، المصدر السابق. ص. 176 - 177.
² - المصدر نفسه. ص. 181.



الفصل الرابع:

بعض الأعمال

الببليوغرافية بعد القرن

العاشر الهجري

لم يُكْتَب للأعمال البليوغرافية أن تُنَمَّ ما بدأه جماعي الكتب أو الوراقين كابن النديم في فترة تقرب من ذلك العهد — بعد القرن الرابع الهجري —، ناهيك عن مساهمة برامج العلماء أو فهارس الشيوخ له كنوع من أنواع التأليف البليوغرافي المحض. إلا أن اتساع فجوة الشُّقَّة بحوالي ستّة قرون نتيجة خفوة الابتكار، أو بالأحرى أن مختلف الأعمال المتمثلة في كتب التراجم والطبقات وغيرها. والتي كان لنا وقفة متأنية لدراسة بعضها. كان لهذا كله صيت كبير في حفظ أسماء العديد من العلماء ومصنّفاتهم، لأنّ ضيق مجال مادّتها حالت دون إكسابها الصبغة البليوغرافية التي عهدناها.

ولهذا فضلنا أن تكون الدراسة في هذا المقام لأهمّ عمل بليوغرافي ظهر في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، وهو "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" لـ "حاجي خليفة". كونه لخص لنا الحياة العقلية في القرن الحادي عشر. بما فيها القرن العاشر الهجري. بالإضافة إلى أنّه اتّسم بشموليّة وموسوعيّة عمله البليوغرافي الضخم.

وبالموازاة سوف يُقابل هذا بعمليين بليوغرافيين، أحدهما كان نتيجة لتضمّن فهارس الشيوخ أو برامج العلماء، فجعل المهتمّين بقيمتها أفرادها بالدراسة والحصر، بما يقابل مصطلح بليوغرافية البليوغرافيات. ومن الذين تولّوا هذه المهمة الحصريّة "عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني" الذي عاش القرن الرابع عشر الهجري. وذلك بوضع فهرس جمع في تسميته مختلف المصطلحات الدالة على فهارس الشيوخ، والتي تمّ ذكرها سابقاً. ويدعى هذا العمل "فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات". وثانيهما نموذج معاصر لأبي القاسم محمد الحفناوي، الذي اهتمّ عمله هو الآخر بذكر سير ذاتية لمشاهير أقطاب العلم في الجزائر. فيعتبر بذلك بليوغرافية لها. والموسوم بـ "تعريف الخلف برجال السلف".

وفي حقيقة الأمر لا يمكن أن نتخطّى عملاً قد اعتنى بالجمع بين الحصر البليوغرافي والبليوغرافي في مستوى "الدّياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" للقاضي إبراهيم بن نور الدين "المعروف بابن فرحون". ولهذا أبنينا إلّا أن ندرجه من خلال دراسة موجزة لِسیر بصمات منهج الإسناد التي تابعت جهود الأوائل، والتي قد تقدّم لنا تصوّراً مخلصاً في منهجية الضبط البليوغرافي والبليوغرافي في آن واحد. هذا ما سوف نستشقه من خلال هذه الإلتفاتة:

* - هو القاضي إبراهيم بن نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري (نسبة إلى يعمر بن مالك) المدني المالكي، برهان الدين أبو الوفاء. وُلد بالمدينة ونشأ بها، تفقه على جدّه وأبيه، قرأ وسمع على كثير من العلماء الذين أجازوا له جميع مروياتهم. توفي سنة 799 هـ. من آثاره: إرشاد السالك إلى أفعال المناسك، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تسهيل المهمّات في شرح جامع الأمّهات...: إبراهيم بن نور الدين ابن فرحون المالكي، الدياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1996. ص. 09-10. (ترجمة المؤلف).

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

لقد اعتنى صاحب "الديباج المذهب" * بذكر طبقات خاص. ويتجلى ذلك في مقدّمته بقوله: «وقد ذكرت في هذا المجموع الوجيز مشاهير الرواة، وأعيان الناقلين للمذهب، والمؤلفين فيه، ومن تخرّج به أحد من المشاهير. وجملة من حفاظ الحديث. وأضربت على ذكر غير المشاهير، إثارة للإختصار، لأنّ الإحاطة بهم متعذّرة، واستيفاء من يمكن ذكره يُخرج عن المقصود. وذكرت جماعة من المتأخّرين ممّن لم يبلغ درجة الأئمة المقتدى بهم قصدا للتعريف بحالهم، لكونهم تصدّوا للتأليف، ولأنّ لكلّ زمان رجالا، وكذا ذكرت بعض الرواة الحفاظ المتأخّرين، لكونهم من مشايخ أهل زماننا»¹.

وبذلك، فلقد اشتمل هذا التأليف على أزيد من ستمائة وثلاثين اسما من الأعيان والمشاهير من الفقهاء وحُفّاظ الحديث، وأكابر الرواة، وغيرهم من المؤلّفين.

وكان الترتيب المعتمد عليه في هذا التصنيف على أساس حروف المعجم، إلّا أنّ "ابن فرحون" قد يتعذّر على الإقتناع التام بهذا المبدأ، فيقول: «ولم يقع ترتيب أسماء هذا التأليف على الوجه المطلوب، بل وقع ترتيبهم على عجل، ولم يسع الوقت ترتيبهم على ما يجب، فإنّ فيهم ما يجب تقديم بعضهم على بعض، ووقع ذلك على غير قصد التحصيل، وعلى نيّة ترتيبهم، والله المستعان على ذلك»².

والآن نحاول استنباط بعض الأحكام التي يمكن استخلاصها من "الديباج المذهب"، فيما يخصّ توظيف صاحبه لعناصر منهج الإسناد في الثبوت من أحوال أعيان علماء المذهب.

– لقد أولى "ابن فرحون" الأهميّة بإعطاء المعلومات البيوغرافية للأعلام، فيورد الاسم بالكامل والكنية إن وُجدت، كما يذكر أصله في بعض الأحيان، والذين رَووا عنه، بالإضافة إلى مصدر سماعه ووفاته، وحاله في الرواية. في حين لم يُطنّب في ذكر تأليفهم. والأمثلة التالية توضّح ما ذهبنا إليه:

– ذكره لأصل علماء المذهب وكنيتهم فيقول مثلاً عن: "أحمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم العبدي" (أصله من الكوفة)، ويكنّى بأبي الفضل البصري³. ويقول عن "أحمد بن بقي بن مخلد" أنّه من أهل قرطبة، ويكنّى بأبي عبد الله⁴.

* - قام بتذييله "بدر الدين محمد القرافي" المتوفى سنة 975 هـ، وسمّاه: "توشيح الديباج وحلية الإبتهاج": ابن فرحون المالكي، المصدر السابق. ص. 09. كما قام بتذييله أيضا: "أحمد بابا التنيكتي" في كتابه "نيل الإبتهاج بتطريز الديباج".

¹ - المصدر نفسه. ص. ص. 05-11.

² - المصدر نفسه. ص. ص. 11-43.

³ - المصدر نفسه. ص. 83.

⁴ - المصدر نفسه. ص. 97.

- ذكره لتاريخ الوفاة في أغلب الأحيان. ومثال ذلك أن

المبشّرين بالجنة "إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عرف" توفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وله ست وتسعون سنة¹.

- وما يلاحظ في ذكر ترجمات "ابن فرحون" للعلماء أنّه في بعض الأحيان، لا يكتفي بذكر نبذة وجيزة، كما سبق وأن ذكرنا. وإنّما يسترسل في ذلك بالتفصيل عن حياة العالم. بذكره مثلاً: ثناء الناس عليه، ومكانته العلميّة، وكذا ذكر طلبه ورحلته وسيرته وختم ذلك بحكم من كلامه. هذا ما يلاحظ جلياً عند حديثه عن "إسماعيل بن إسحاق القاضي"²، و"عبد السلام (أبو سعيد) سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي"³.

- العمل على ضبط الأسماء، والإستناد بما رجع إليه من مصادر عينيّة. فيقول مثلاً عن: "زيد بن محارب بن خصفة" «ورأيت بخطّ شيخنا عفيف الدين فيما نقله من تاريخ البيرة، عن القاضي مطرف بن عيسى خصفة بالخاء المعجمة والصاد المهملة ضبطاً خطياً، والذي في الإحاطة "خصفة" كما ضبطه بالخط»⁴.

- توظيفه البين لألفاظ الجرح والتعديل. فيقول مثلاً عن: "أحمد بن صالح" المعروف بابن الطبري «ثقة، ثبت، مأمون، صاحب سُنّة، إمام مجمع على ثقته، فقيه، نظّار، أحد الأئمة الحفاظ المتقنين»⁵. ويقول عن "أحمد بن معتب بن أبي الأزهر بن جعفر": «قال أبو العرب: كان ثقة، ثباتاً، نبيلاً، عالماً بالحديث والرجال، حسن التقييد»⁶.

- إيراد لرحلات أعيان هذا المذهب، ومصدر إجازتهم وسماعهم وقراءتهم التي تثبت اهتمام "ابن فرحون" بانتهاج طريقة المحدثين في الضبط عن طريق أدوات تحمّل العلم المذكورة آنفاً. ومثال ذلك قوله عن "القاضي عياض"^{*} أنّه: «رحل إلى الأندلس -سنة سبع وخمسمائة- طالباً للعلم، فأخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين، وأبي الحسين بن سراج، وعن أبي محمد بن عتاب، وغيرهم، وأجاز له أبي علي الغساني، وأخذ بالمشرق على القاضي أبي علي الصّدفي وغيره، وعُني بقاء الشيوخ والأخذ عنهم، وأخذ عن أبي عبد الله المازني، كتب إليه يستجيزه، وأجاز له الشيخ أبو بكر الطرطوشي»⁷.

نكتفي بهذا القدر في إعطاء نظرة شاملة لاهتمام "ابن فرحون" بانتهاج عناصر منهج الإسناد من جرح وتعديل، وتبيين لمصادر الروايات والإجازات، والتحمّل في الأداء، كونها تنظّم كلّها في حيّز المعلومات البيوغرافية الحيويّة.

¹ - ابن فرحون المالكي، المصدر السابق. ص. 157.

² - المصدر نفسه. ص. 151.

³ - المصدر نفسه. ص. 163.

⁴ - المصدر نفسه. ص. 275-276.

⁵ - المصدر نفسه. ص. 85.

⁶ - المصدر نفسه. ص. 86.

*- لقد تمّ تقديم ترجمة موجزة له في الفصل الأوّل من هذا العمل.

⁷ - المصدر نفسه. ص. 86. (لإستقاضة أكثر، انظر: ص. 325-333-352...).

الأول من المعلومات. فنجد "ابن فرحون" في معظم الأحيان يذكر فقط عناوين التأليف دون وصفها أو إعطاء نظرة تقييمية لها، ونادرا ما يذكر المحتوى العام لأحد المؤلفات أو ما احتوى عليه من أجزاء. والمثالين التاليين يلقيان نورا لما تمّ الحكم عليه: يذكر "ابن فرحون" أنّ من تأليف "محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن أبي زرعة البرقي": «تأليف في مختصر ابن عبد الحكم الصغير - زاد فيه اختلاف فقهاء الأمصار-، كتاب في التاريخ وفي الطبقات، وفي رجال الموطأ وغيره»¹. وما يمكن أن نستدلّ به في ذكره لعدد أجزاء المؤلف، حينما يحكم على أنّ تأليف "عبد الله أبو محمد بن أبي زيد" يحملها مفيدة، غزيرة العلم. من بينها: «كتاب "النوادر والزيادات على المدونة" مشهور، أزيد من مائة جزء»².

هذا مستخلص عام لمختلف العناصر البارزة في مصنف "الديباج الذهب" لابن فرحون، والتي تخدم دراستنا المبنية على مدى توظيف مصادر من هذا النوع، والتي تُعنى أساسا في الضبط البليوغرافي للمؤلفين ومؤلفاتهم، عن طريق عناصر منهج الإسناد الذي تبنّاه حُفاظ الحديث، وانتهجها غيرهم، كونها الوسيلة الوحيدة والمناسبة للضبط والتمحيص، السارية المفعول في كلّ زمن.

وقبل الشروع في عمل "حاجي خليفة" البليوغرافي تجدر الإشارة إلى أنّ أسبقية الخوض في هذا المضمار كان كذلك في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي. وحمل هذا اللواء "طاش كبري زادة" * ومؤلفه "مفتاح السعادة ومصباح السيادة" *. وهو «مصدر أصيل وانعكاس صادق وأمين للحياة الفكرية للمسلمين بعد الغزو المغولي»³. هذا ويعتبر من التراجم النفيسة التي جمعت بين تصنيف العلوم والبليوغرافية الحصرية بكلّ علم من تلك العلوم⁴. وقد بلغ عدد الكتب التي ذكرها في كتابه هذا 2571 كتابا، وعدد المؤلفين 1083 مؤلفا⁵.

أما ترتيب مادّة "مفتاح السعادة ومصباح السيادة" في موضوعات العلوم فقد رتبّه صاحبه ترتيبا مصنّفا أي وفقا لتصنيف المعرفة البشرية السائدة في عصره⁶.

¹ - ابن فرحون المالكي، المصدر السابق. ص. 332.

² - المصدر نفسه. ص. 223.

* - أن المصدر الرئيسي الذي تستقى منه المعلومات البليوغرافية عن هذه الشخصية البليوغرافية هو مؤلفه "الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية"، والذي يتحدث فيه عن نفسه بإسهاب شديد. أما تاريخ ولادته فقد حدّده هو نفسه بالربع عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعمائة للهجرة (901 هـ-1495 م)، ووفاته كانت سنة (968 هـ- 1561 م): شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 216-217.

* - انتهى من تأليفه عام 948 هـ، الموافق لـ 1527 م: فوزية مصطفى عثمان، «من تاريخ البليوغرافيا». المرجع السابق. ص. 75. ونقله "كمال الدين طاش كبري زادة" إلى التركية: أحمد شوقي بنين، المرجع السابق. ص. 179.

³ - عبد التواب شرف الدين، نظم المعلومات البليوغرافية، المرجع السابق. ص. 17.

⁴ - مجبل لازم مسلم المالكي، المرجع السابق. ص. 95.

⁵ - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 222.

⁶ - طاش كبري زادة، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. تح. كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور. [د.م.]: دار الكتب الحديثة، 1968. ج. 01. ص. 27.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

وقد اشتمل على مقدّمات أربع، وقسمين كبيرين س:

تأليف هذا الكتاب فهو واضح في مقدّمته الثريّة في قوله: «واعلم ان تحصيل العلوم لما لم يكن إلا بتصوّرها اسما ورسمًا وموضوعًا ونفعًا، أحببنا أن نبين في هذه الرسالة الأمور المذكورة في كلّ علم أصلاً وفرعاً، ونبيّن أسماء الكتب المؤلّفة فيها، وأسماء مؤلّفيها ليكون عوناً في تحصيل العلوم وترغيباً في طلبها وإرشاداً للطلاب إلى طرق تحصيلها». ثمّ يوضّح الغرض من ذكر المصنّفات فيقول: «للتنبية على مراتبها وجلالة قدرها، والتفاوت بين تلك الكتب، وفي ذلك إرشاد للطلاب إلى تحصيلها، وتعريف له بما يعتمد منه وتحفيزه ما يُخاف من الإغترار»، وأمّا ذكر المؤلفين فكان من أجل: «معرفة مناقبهم وأحوالهم ليُستفاد بذلك في تأديب النفس بأدبهم، ولمعرفة مراتبهم وعصورهم لإنزالهم منازلهم وإعطائهم حقوقهم، وذكرهم أيضاً نوع من الوفاء بحقوقهم لأنّهم السلف والأئمّة، كما يُستفاد بمعرفتهم في الأخذ برأي أورعهم إذا تعارضت الأقوال»¹.

ولهذا نطمع أن لا نكون قد أسرفنا في دراسة أحد النماذج، أو أجحفنا في حقّ بعضها الآخر، لأنّ الدراسة المتأنيّة في الوقوف عند ما خُلف في مجال الحصر الببليوغرافي، قد تتسع إذا أسبلنا لها العنان في عمل متواضع يسعى إلى إبراز الخصائص العامّة لبعض النماذج، وإيلاء الإهتمام لبعضها الآخر بدراسة أساسيّة. هذا ما فتحنا له المجال بأوسع مصراعيه في توضيح الجانب المنهجي في الكتابة المصوّرة للحياة الفكرية الثقافية، هذا من جهة. وكذا التركيز على جانب الضبط والتمحيص في إثبات حقيقة ما تمّ إيراد من موروث ثقافي من جهة أخرى. ونتبّع ذلك من خلال دراسةٍ لعمل "حاجي خليفة" الببليوغرافي.

* - انظر الملحق رقم 04.

¹ - طاش كبري زادة، المصدر نفسه. ص. 29.

ولعلّ أوسع وأشمل وأكبر البليوغرافيات الإسلامية هي تلك البليوغرافية التي عُرفت بعنوان "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون". التي أعدّها رجل من رجال القرن الحادي عشر الهجري الرابع عشر الميلادي، المعروف بـ "حاجي خليفة". فمن يكون هذا الوراق؟ وما هي مصادر نبوغه؟.

أ- المؤلف:

1-1- نبذة عن حياة "حاجي خليفة":

بالرغم من أنّ "حاجي خليفة" سُمّي بـ "حاجي خليفة" بنابغة القرن الحادي عشر، إلّا أنّه لا يوجد ثمة من عوّل عليه من المؤرّخين الذين عاصروه أو لحقوا به، إذ لم يترجم له "الحبيّ" المتوفى سنة (1111 هـ - 1690 م) في كتابه "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"، والمصدرين الأساسيين لترجمته هو نفسه، وما كتبه في آخر القسم الأوّل من كتابه "سَلَم الوصول إلى طبقات الفحول" وقد كتب عن المرحلة الأخيرة من حياته في كتاب آخر له هو "ميزان الحق في اختيار الأحق" ¹.

وما جاءت به مطالعتنا المتواضعة في هذا الصدد أنّه تمّ الإجماع على أنّه العلامة الشهير "مصطفى بن عبد الله" كاتب جلبي، المشهور بحاجي خليفة أو الحاج خليفة، ويُعرف أيضاً بالملا كاتب جلبي* أو شلبي² القسطنطيني المولد والمنشأ والمسكن، العارف بالإشراقي المسلك³، التركي الأصل من أكابر أصحاب الموسوعات، وُلد بالإستانة في أواخر ذي القعدة سنة (1017 هـ - 1609 م) ⁴.

ووجه اشتغاره بين علماء بلده بكاتب جلبي لأنّه كان يعمل كاتباً في دائرة الدفاتر السلطانيّة في الجيش العثماني ما بين سنتي (1035 هـ - 1614 م/ 1047 هـ - 1626 م)، كما ذكر هو بنفسه في كتابه المذكور سالفاً "ميزان الحق في اختيار الأحق"، أمّا سبب اشتغاره بحاجي خليفة أو الحاج خليفة لأنّه كان ينوب عن زعيم الجيش

¹ - إبراهيم الأبياري، «كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون». مجلة تراث الإنسانية. [د.م.]: الدار المصرية للتأليف والترجمة. ع. 01. مج. 03، 1966. ص. 309.

* - **جلبي**: بالتركية تعني الفاضل أو الكامل أو السابق: إبراهيم الأبياري، «كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون»، مجلة تراث الإنسانية، المرجع السابق. ص. 400. ومما هو جدير بالتنبيه أنّ جماعة من علماء بلاد تركيا اشتهروا بهذه التسمية، ومنهم: العلامة الشيخ أحمد الأنقروبي الجلبي (المتوفى سنة 950 هـ). وغيره كثيرون يطول حصرهم في هذا المقام: ارجع في ذلك إلى: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة. مج. 01. ص. (ح).

² - يوسف إلبان سركيس، معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة. مصر: مطبعة سركيس. مج. 01، 1928. ص. 907.

³ - حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بغداد: مكتبة المثنى. مج. 01، [د.ت.]. ص. (و).

⁴ - مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية. القاهرة: مطبوعات الشعب، [د.ت.]. ج. 13. ص. 191.

السلطاني، أي يخلفه في حال غيابه. وأيضاً بعدما أدى في
1043هـ-1622م¹.

تولّى أعمالاً كتابية في الجيش العثماني²، وكان والده "عبد الله" من الجنود المرتزقة، بحيث أمضى في الحروب التي كان يشهدها مع الجيش، كما حدث في قتال "آبازة باشا" سنة (1033 هـ-1612 م)، وكما حدث في حرب بغداد سنة (1034 هـ-1613 م)، ويذكر "حاجي خليفة" أنّ أباه توفي في يوم من أيام ذي القعدة من سنة (1035 هـ-1614 م). وفي مقابر الجامع الكبير بالموصل دفن الإبن أباه فرحل إلى ديار بكر. وفي سنة 1038 عاد "حاجي خليفة" إلى الآستانة، وقد سافر مع الوزير "محمد باشا" إلى حلب وأدى فريضة الحج من هناك. ثمّ رجع إلى إستانبول سنة 1045، واستأنف تحصيل العلم والعمل به، وقد بدأ مشروعه الببليوغرافي العظيم في تلك الأثناء، وانقطع بذلك إلى الإشتغال بالتعليم والتأليف إلى أن مات فجأة سنة (1067 هـ-1657 م) عن خمسين عاماً.³

أ-2- مصادر نبوغه:

لقد ذكر "حاجي خليفة" أنّ أباه كان رجلاً صالحاً ملازماً لمجالس العلماء والمشايخ، مصلياً عابداً. ولذلك عندما بلغ "مصطفى بن عبد الله" سنّ الخامسة أو السادسة عيّن له أبوه معلماً لتعليم القرآن والتجويد، وهو الإمام "عيسى خليفة القريمي" الذي قرأ عليه القرآن العظيم، والمقدمة الجزرية في التجويد وشروط الصلاة، وبعد ذلك بدأ في تعلّم القراءة والكتابة وتعلّم أصول الخط على يد الخطّاط الشهير "بوكري أحمد جلي"، وبعد ذلك بدأ في قراءة كتاب "التفصيل والعوامل" على الإمام "إلياس خواجه"، ثمّ يقول بنفسه: «ولما بلغت سنّي إلى أربعة عشر عاماً أعطاني أبي من وظيفته كلّ يوم عشرة دراهم وألحقني بزمرة، وجعلني تلميذاً في القلم المعروف بمحاسبة أناضول من أقلام الديوان السلطاني»، لكي يتسنى له تعلّم قواعد الحساب والأرقام، وفي ديار بكر وبعد وفاة أبيه هبّاً لحاجي خليفة رجل من أصدقاء والده يدعى "محمد خليفة" بأن يكون تلميذاً بالقلم المعروف بمقابلة السوارى. وبعد أن عاد إلى الإستانة سنة (1038 هـ) قصد جامع السلطان محمد الفاتح بإستنبول يوماً فرأى "محمد بن مصطفى الباليكسري" المعروف بـ "قاضي زادة" * يلقي الدرس فأثّرت شخصيته وتمكينه العلمي في "حاجي خليفة"، فأخذ يخلّف إلى حلقاته حتى سنة (1039 هـ)، وانقطع بعد ذلك مدّة سنة ثمّ استأنف دراسته سنة (1014 هـ) إلى إستنبول، وقرأ على هذا الشيخ

¹ انظر في ذلك: شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 225-226. بالإضافة إلى ما قاله: إبراهيم الأبياري في مقالته «كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون». المرجع السابق. ص. 399-400.

² خير الدين الزركلي، الأعلام تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، المصدر السابق. مج. 07. ص. 237.

³ انظر في ذلك: (إبراهيم الأبياري، «كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون». المرجع السابق. ص. 400-401. / شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 226-227. / خير الدين الزركلي، المصدر السابق. مج. 07. ص. 237).

* - كان عالماً طلق اللسان، عظيم التأثير في نفوس سامعيه: حاجي خليفة، المصدر السابق. مج. 01. ص. 14-15.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

قاضي زادة- "تفسير البيضاوي" و"شرح الشريف الجرجاني

"الدرر شرح الغرر" للملاحسرو في الفقه، و"الطريقة الحمّدية" لـ "محمد البركوي". وبعدهما سافر مع الوزير الاعظم "محمد باشا" إلى حلب سنة (1043 هـ)، التحق بعد ذلك بالجيش في ديار بكر، ثم سافر مع السلطان مراد الرابع سنة (1044 هـ) إلى روان، ورجع إلى إستنبول سنة (1045 هـ). حينئذ صمّم العزم، وأقبل إقبالا تامّا على العلم والمطالعة، فشرع في إتمام المهمة التي ابتدأها في حلب والتمثلة في تدوين أسماء الكتب التي يتعهدها عند الورّاقين الكتبيين، وفي خزانات الكتب. وكانت موهبته التنقيب عن الكتب، ولا سيما كتب التواريخ والطبقات والوفيات في خزانات الكتب بالإستانة، بالإضافة إلى اقتناؤه للمؤلفات. وموّل في ذلك أموال ورثها من بعض قرابته سنة 1047 هـ¹. فقد أشار إلى هذه المصادر في مقدّمة عمله فقال: «ألهمني الله تعالى جمع أشتاتها، وفتح عليّ أبواب أسبائها، فكتبت ما رأيت في خلال تتبّع المؤلفات وتصفّح كتب التواريخ والطبقات»².

ومن بين شيوخ حاجي خليفة "مصطفى الأعرج القاضي" أخذ عنه العلم بضع سنين، فدرس عليه كتباً جمّة من بينها: شرح مختصر المنتهى للقاضي "عضد الدين" في الأصول، وشرح إشكال التأسيس، وشرح الجغميني، وعروض الأندلسي، والتوضيح في الأصول... وغير ذلك. وكان من جملة شيوخه أيضاً "عبد الله الكردي" المدرّس بأبّا صوفيا (المتوفى سنة 1064 هـ)، وتلقى سنة 1050 هـ العلوم من الشيخ "محمد الألباني" (المتوفى سنة 1054 هـ)، كما تلقى المنطق والمعاني والبيان سنة 1050 على الشيخ "ولي الدين" -تلميذ الشيخ "أحمد بن حيدر السهراني"-³، وغيرهم كثير.

¹ - انظر في ذلك كلّ من: حاجي خليفة، المصدر السابق. مج. 01. ص. 14-15. وأيضاً: إبراهيم الأبياري، «كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون». المرجع السابق. ص. 400-401. وكذا: شعيان عيد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 222-223.

² - حاجي خليفة، مقدّمة كشف الظنون. مج. 01. ص. 02.

³ - المصدر نفسه. ص. 15-16.

وهذه المثابرة والسعي في التحصيل العلمي، خلقت من "حاجي خليفة" عاما فاضلا ومؤلفا، مكثرا في فروع مختلفة، أملت عليها عليه ثقافته وبيئته ورحلاته ووظيفته.

فبالإضافة إلى مؤلفيه المذكورين آنفا "سلم الوصول إلى طبقات الفحول" الذي تمّ تبييض المجلد الأول منه ما بين سنتي 1061 هـ-1062 م¹، و "ميزان الحق في اختيار الأحق"^{*} والذي أتمّ في آخره ترجمة حياته². نجد إلى جانبهما جملة من المؤلفات نوردها فيما يلي:

➤ الفذلكة: وقد عُرف به في كتابه "كشف الظنون" مع كلامه على تاريخ "الجنابي"^{*}، ولهذا لم يحظَ هذا الكتاب بحديث منفرد في شأنه كغيره من الكتب، فيقول عنه: «لم أر كتابا جامعا لدول الملوك مثله فلخصته في تاريخي المسمّى "الفذلكة" وزدت عليه إلى مائة وخمسين دولة»³، وكان ذلك سنة (1051 هـ-1630 م).

➤ جهان نما: ويقول عنه "حاجي خليفة": «تركبي في الجغرافيا، وهو كتاب مرتّب على قسمين: الأول في البحار وصورها وجزائرها، والثاني في البرّ وبلاده وأهماره وجباله، ومسالك ممالكه على ترتيب الحروف، وفيه أحوال ما ظهر بعد القرن التاسع من الأقاليم الجديدة». وكان تأليفه له سنة 1051 هـ⁴.

➤ تقويم التواريخ: ألّفه على نمط التقاويم المعمولة بالتركيّة، ورتّب على جداول، وهو كتاب نفيس جدّا في بابه، وكأته فهرس الباب أكثر كتب التواريخ، فرغ من تأليفه سنة 1058 هـ⁵.

➤ تحفة الأخيار في الحكّم والأمثال والأشعار: ويشمل نخبة من الحكّم والأمثال والنصائح، من منظوم ومنثور، مرتّبة على حروف الهجاء، وقد تمّ تبييضه سنة 1063 هـ.

➤ تحفة الكبار في أسفار البحار: وضعه سنة 1066 هـ، وهو كتاب عن الأسطول التركي، وهو بالتركيّة⁶.

¹ - المصدر نفيه. ص. 16.
^{*} ألّفه سنة 1067، وهي السنة التي توفي فيها، وهو كتاب في الرد على من طعن في أستاذه "قاضي زادة أفندي": إبراهيم الأبياري، «كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون». المرجع السابق. ص. 404.
² - حاجي خليفة، المصدر السابق. مج. 01. ص. 14.
^{*} - ونقص به كتاب "تاريخ الجنابي" لمصطفى بن السيّد حسن الرومي الجنابي، وهو تاريخ كبير يتضمّن مقدّمة واثنين وثمانين بابا، كلّ باب في دولة، جمع فيه ملوك العالم: المصدر نفسه. ص. 291.
³ - المصدر نفسه. ص. 291.
⁴ - انظر: إبراهيم الأبياري، «كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون». المرجع السابق. ص. 402. / وأيضا: حاجي خليفة، المصدر السابق. ص. (ز).
⁵ - حاجي خليفة، المصدر نفسه. ص. (ز).
⁶ - نظر: حاجي خليفة، المصدر نفسه. ص. (ز). / يوسف إيلان سركيس، المصدر السابق. ص. 732. / خير الدين الزركلي، المصدر السابق. مج. 07. ص. 237. / إبراهيم الأبياري، «كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون». المرجع السابق. ص. 403.

وغيرها من المؤلفات. ويبقى بعد هذا كتابه "كشف
معه وقفة لدراسة ما اشتمل عليه هذا العمل الببليوغرافي الضخم.

ب- المؤلف: "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون":

ب-1- التعريف بالكتاب ومحتوياته:

إنَّ الطبعة التي هي مجال دراستنا منشورة في بغداد من طرف منشورات مكتبة المثنى، لمؤلفه الشهير "محمد عبد
الله" المعروف بحاجي خليفة وبكاتب جلبي، المقرون بمقدمة للعلامة الحجّة آية الله العظمى السيّد "شهاب الدين النجفي
المرعشي". ويحتوي هذا المصنّف على جزأين. الجزء الأوّل يحوي 940 صفحة، وترقيم الجزء الثاني متواصل معه، يبدأ
من صفحة 945 إلى غاية صفحة 2056. وهذا مُجمل ما جاء فيه:

يبدأ "الكشف" بـ "رسالة كشف الظنون عن صاحب كشف الظنون" سماحة آية الله العظمى السيّد شهاب
الدين الحسيني المرعشي النجفي. تحتوي على تنويهات لمجموعة من المؤلفات التي اعتنت بالضبط الببليوغرافي نذكر منها
على سبيل المثال لا الحصر: «ومنها شيخنا الأقدم الثقة الأمين أبو الفرج محمد بن إسحاق الورّاق الشهير بابن النديم
البغدادى المتوفى سنة 385 في كتابه "فهرس العلوم"*. ألّفه في سنة 377 وطُبع مرارا»¹، «ومنها الفاضل المعاصر
"عمر رضا كحالة" الدمشقي في كتابه "معجم المؤلفين في تراجم مصنّفي الكتب العربيّة" المطبوع سنة 1878 بدمشق
في 15 جزء»². فحينما يذكر نبذة موجزة عن معظم الأعمال الببليوغرافية يقف وقفة حول الكلام عن "كشف
الظنون" للمولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب جلبي، إذ يقول عنه: «ولعمري لقد
كدّ نفسه، وسهر الليالي في جمعه وترصيفه، أورد فيه ما يقرب عن عشرين ألف أسماء كتب ورسالة يستفيد منه أهل
الفضل ورواد العلم على اختلاف طبقاتهم»³. كما تطرّق إلى ذكر طبعات الكتاب، فكانت أوّل طبعة في بلاد "ليزيك"
و"لندرة" في سبعة أجزاء باعتناء الفاضل البحّثة "غوستاف فلوجل" Gustavus flugel المتوفى سنة 1287 هـ،
وكان ذلك ما بين سنتي (1835 - 1857). ومعه كتاب "آثارنو" للعلامة أحمد طاهر أفندي حنفي زادة. ومنها أيضا
طبعة "بولاق" سنة 1274، وطُبع في الإستانة مرّتين سنة 1313 وأخرى سنة 1320، ومنها أيضا طبعة سنة
1320 إلى سنة 1362 في إسلامبول.

* - المعروف بالفهرست، وقد تطرّقنا سابقا في دراسة تحليليّة لفهرست ابن النديم، وانتهينا إلى أنّ هذا المصنّف قد امتاز بعدة تسميات.

¹ - حاجي خليفة، المصدر السابق. ص. (أ).

² - المصدر نفسه. ص. (د).

³ - المصدر نفسه. ص. (ه).

وتحدّث أيضا عن الجهود المتّجهة إلى تذييله* وترجمته*

فبعد أن يعطي نظرة شاملة عن الكتاب وطبعاته والأعمال المتعلقة به، يتطرّق إلى الحديث عن المؤلّف "حاجي خليفة" فيذكر ميلاده، وكذا مشايخه بالإضافة إلى تلاميذه والراوين عنه*، ناهيك عن آثاره وتأليفه، أسفاره ورحلاته، وفاته ومدفنه، أولاده وأخلافه، وجهه اشتهاره بالكتاب جلبي. وبذلك لقد احتوت هذه المقدّمة أو الرسالة على تسع صفحات، في كلّ صفحة عمودين مرّتبة على حروف الهجاء.

ثمّ يأتي "تصدير" يتحدّث فيه "محمد شرف الدين بالتاقيا" عن المؤلّفات التي جاءت قبل الكشف، والتي تُعنى بأحوال الكتب. فتكلّم عن فهرست ابن النديم ومقالاته العشر، ولمّح عن مؤلّف "إحصاء العلوم" للفارابي، و"مفتاح السعادة" لطاش كبري زادة، حيث ذكر مقدّماته ومختلف دوحاته ومحتوياتها، ثمّ يصرّح على أنّ "حاجي خليفة" استفاد من أعمال هؤلاء الأفاضل في قوله: «وأخذ عنهم وهو يصرّح في مواضع من كتابه هذا ما استفاد من كتاب الطالب لملا لطفی المذكور، وكتاب مفتاح السعادة لطاش كبري زادة... وغيرها»¹.

والجدير بالذكر أنّ "حاجي خليفة" سمّى كتابه أوّلا بـ "إجمال الفصول والأبواب في ترتيب العلوم وأسماء الكتب"، ثمّ سمّاه ثانيا بالتسمية الشائعة في عصرنا الحالي "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون". وأنّ وفاة "حاجي خليفة" كانت قبل انتهاءه من تبييض مسودّته حيث بّضها فقط إلى حرف الدال، مادّة "دروس"، وتولّى مهمّة إتمام النسخة المسودّة إلى آخر الكتاب تلميذ تلميذ المصنّف "جار الله ولي الدين أفندي" صاحب المكتبة بإستنبول، حيث كتب على ظهر النسخة المسودّة المذكورة: «اعلم أنّ هذا الكتاب المسمّى بكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإستاذ أستاذي... بيّضه بعدما سوّده إلى آخر الكتاب إلى كلمة دروس من حرف الدال المهملة، انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة 1067، وبقي الكتاب من كلمة دروس في مسودّته بلا تبييض. ثمّ اجتمع ستّة رجال فيبيّضوه، لكن لم يبيّضوه كما ينبغي...»².

*- سوف نُفرد "ذبوله والأعمال المتممة له" في عنوان مستقلّ لاحق بحول الله.

- أمّا ترجمته بسانر اللغات، فلقد ترجمه ثلّة من المستشرقين أشهرهم "غوستاف فلوغل" حيث ترجمه باللغة الفرنسية. وترجمه أيضا أحد مستشرقين هولندا، وأحد مستشرقين بريطانيا. وكلّها مطبوعة: المصدر نفسه. ص. (ه).

*- منهم ابنه العلامة الحاج فخر الدين محمد الجلبي، المتوفى في حدود 1140 هـ، فإنّه استفاد عن والده وروى عنه: المصدر نفسه. ص. (ز).

¹- حاجي خليفة، المصدر السابق. ص. 07.

²- المصدر نفسه. ص. 07-08.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

أمّا مادّة "الكشف" العلميّة فقد ذُكر أنّ "حاجي" -
وموضوع. بحيث كتب فيه زهاء 15000 من أسماء الكتب والرسائل، وما ينيف على 9500 من أسماء المؤلفين،
وتكلّم فيه عن نحو ثلاثمائة علم وفن، وبلغت مدّة اشتغاله بهذا التّأليف حوالي عشرين سنة.

ويورد بعد ذلك قائمة الرموز والإشارات ومعانيها وهي كالآتي:

الرموز	معانيها
« »	لما زدنا على خط المؤلف من إسماعيل باشا.
()	مّا زادوا على خطّ المؤلف في الطبعة المصريّة والطبعة الإسطنبوليّة.
[]	لما صحّحنا داخلا في المتن.
*	لما صحّحنا خارجا عن المتن.
:	لما زدنا من إسماعيل صائب سنجر *.
-	لما زدنا متنا.
منه	لما زاد المؤلف خارج المتن من الفوائد والنقول.
F	فلوغل.

* - هو أستاذ ومدير المكتبة العموميّة بالإستانة، توفي سنة 1360: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1999. ج. 06. 448.

* - «ونذكر للمطالعين أنّنا قد وجدنا أوراقا بين كتب شيخنا العلامة إسماعيل صائب سنجر المرحوم، سقطت منذ زمان بعيد فيها مادّة علم الفقه، وأسماء الكتب المصنّفة فيها، ولذلك نقل الطابع الأوّل Gustavus flugel من هذه المادّة وتبعه ملتزم الطبعة المصريّة والطبعة الإسطنبوليّة»: (راجع مقدّمة الكشف. ص. 08).

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

وما نحاول من خلال هذين الجدولين التاليين، أن نلخ

على مختلف أبواب الحروف الهجائية، إذ أن المجلد الأول يحتوي على ابواب ذو عشرة حروف¹ مرتبة ترتيبا الفبائيا، من حرف الألف إلى غاية حرف الراء.

المجلد الأول

الحرف	عدد العلوم	عدد الصفحات
باب الحاء	09	76
باب الخاء	05	31
باب الدال	06	93
باب الذال	00	09
باب الراء	12	112

الحرف	عدد العلوم	عدد الصفحات
باب الألف	65	216
باب الباء	10	50
باب التاء	27	257
باب الثاء	01	06
باب الجيم	09	91

من خلال هذا المجلد يتبين لنا أن عدد العلوم التي اشتمل عليها (153 علما)، ومما يلاحظ أيضا أن "حاجي خليفة" يذكر في بعض الأحيان عناوين للمؤلفين مرتبة على حروف الهجاء دون الإعلام بالعلم الذي تنطوي تحته هذه الكتب، كما هو بارز مثلا في حرف الدال.

ومما يلاحظ بالإجمال على المجلد الأول أنه عندما ينتهي "حاجي خليفة" من حصر أو ذكر الكتب التي تدرج ضمن باب "الثاء المثلثة" يقول: «تمّ المجلد الأول من كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون يوم السبت الثامن من صفر سنة اثنتين وستين وألف، ويتلوه المجلد الثاني في حرف الجيم والحمد لله العزيز»¹. ويبدأ في ذكر كتب المجلد الثاني من كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ثمّ يُعلم القارئ في نهاية المجلد الأول فيقول: «تمّ حرف الراء في أواخر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وألف»².

¹ - حاجي خليفة، المصدر السابق. مج. 01. ص. 525.

² - المصدر نفسه. ص. 939.



وفي آخر المجلد الأول نجد قائمة الخطأ والصواب، والتي

ذلك.

ص	س	الخطأ	الصواب
01	21	وايد	وايد
02	01	بمقاصدها	على مقاصدها
04	25	فيه	قيد

ويبدأ المجلد الثاني بباب "الزاي المعجمة"، وترتيب الصفحات فيه متواصل مع المجلد الأول. وهذه مختلف أبواب

الحروف وعدد العلوم التي اشتمل عليها:

المجلد الثاني

الحرف	عدد العلوم	عدد الصفحات
باب الفاء	12	91
باب القاف	11	63
باب الكاف	09	166
باب اللام	02	37
باب الميم	39	347
باب النون	11	75
باب الواو	06	31
باب الهاء	02	22
باب الياء	00	07

الحرف	عدد العلوم	عدد الصفحات
باب الزاي	02	27
بابا السين	07	47
باب شين	06	48
باب الصاد	04	17
باب الضاد	02	06
باب الطاء	07	28
باب الظاء	00	02
باب العين	08	67
باب الغين	02	26

من خلال تلخيص ما اشتمل عليه مجلدي "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، عن طرق هذين

الجدولين يتبين لنا أن عدد العلوم تتفاوت من باب إلى آخر، فكان نصيب باب الألف أكثرها حظاً، حيث شمل على

65 علما. ويليه باب الميم الذي شمل 39 علما، ثم تأتي مختلف

إلى باب الذال والطاء والياء التي ذكرها "حاجي خليفة" دون السبيل في إدراجها لآي علم من العلوم.

وفي آخر المجلد الثاني يقول: «قد انتهى القول بنا فيما حررناه، وأنجز الغرض الذي أنحناه، واستوفى الشرط الذي شرطناه».

ملاحظة: لقد دمج "حاجي خليفة" عمله "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" بمقدمة شاملة مستفيضة، وزعها على خمسة أبواب، وتحت كل باب فصول وأقسام في أحوال العلوم*.

ب-2-الباعث على وضع كتاب "كشف الظنون":

لا شك أن متفقد مقدمة "كشف الظنون" يرى أنها تزخر بأقوال يتبين من خلالها الدوافع التي حتمت "حاجي خليفة" للخوض في هذا العمل الشاق البالغ الأهمية. إذ أنه يرى أن "علم أحوال الكتب" أو الببليوغرافيا هي أجل وأهم مرحلة من مراحل البحث والتنقيب، فيقول في ذلك: «لا يخفى على أحد أن من أهم العلوم علم أحوال الكتب، فإنه أولى مرحلة من مراحل البحث والتنقيب، ومن لا يعلم ما ألف من الكتب في أي موضوع كان، يطول عليه أمد بحثه بدون أن يحصل منه على طائل، وعلم موضوعات العلوم من أنفع الوسائل وأجداها، لأن من يعرف الموضوع إجمالا تحصل عنده البصيرة»¹.

وقد رأى أن لما كان: «كشف دقائق العلوم وتبيين حقائقها من أجل المواهب، وأعز المطالب، قيض الله سبحانه وتعالى في كل عصر علماء قاموا بأعباء ذلك الأمر العظيم، وكشفوا ساق الجد والإهتمام في التعليم والتفهم... فمنهم من استنبط المسائل من الدلائل، فأصل وفرع، ومنهم من جمع وصنف فأبدع، ومنهم من هذب وحرر فأجاد»². إلى أن يتبين من خلال قوله التالي أن "حاجي خليفة" أحس بخطورة السيطرة على الانفجار والتضخم المعلوماتي، دفعه إلى وضع هذا المصنف، فيقول: «إن العلوم والكتب كثيرة، والأعمار عزيزة قصيرة، والوقوف على تفاصيلها متعسر بل متعذر، وإنما المطلوب ضبط معاقدها والشعور بمقاصدها...»³.

* انظر الملحق رقم 04.

¹ - حاجي خليفة، المصدر السابق. ص. 16.

² - المصدر نفسه. ص. 01.

³ - المصدر نفسه. ص. 01-02.

فمن خلال الطرف الثاني من هذا القول أنّ سعيه في إ

فكأنما نستشفّ أنّه يدعوا ويحيي روح العمل على التنقيب والضبط والحصر الببليوغرافي في عصر قد تضارب فيه التأليف ضربا. وجعل القائم على ضبط حدوده فرض عين على كلّ باحث.

ب-3- منهجية تأليف "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون":

إنّ الترتيب الذي اعتمد عليه أساسا صاحب "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" هو الترتيب الهجائي. بحيث صنّف العلوم حسب الحروف الألفبائية، مع عدم الأخذ بعين الاعتبار كلمة (علم) المرفقة مع جميع العلوم التي ذكرها. حيث نجد أنّه يبدأ بحرف الألف ويرتّب العلوم فيها حسب أسبقية ترتيب الحروف في ذلك. ويتبيّن ذلك في قوله في ثانيا مقدّمته: «ورتبته على الحروف المعجمة كالمغرب والأساس، حذرا عن التكرار والإلتباس»¹. ومثال ذلك نستطلع من أوّل علم تطرّق إليه في حرف الألف وهو "علم الأبعاد والأجرام"، فيقول عنه: «وهو علم يُبحث فيه عن أبعاد الكواكب عن مركز العالم ومقدار جرمها، أمّا بعدها فيُعلم بمقدار واحد كنصف قطر الأرض يمكن معرفته بالأميال، وإمّا إجرامها فيُعرف مقدارها كجرم الأرض... واعلم أنّ مباحث هذا الفن في غاية البعد عن القبول، ولذا ترى أكثر الناس إذا سمعوا لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدّون...»². كما يُدرج "علم قرص الشعر" ضمن حرف القاف، وهو «علم باحث عن أحوال الكلمات الشعرية لا من حيث الوزن والقافية بل من حيث حسنها وقبحها...»³.

هذا عن ترتيب العلوم. وما يُلاحظ أنّ "حاجي خليفة" قد يخرج عن إطار تصنيف مختلف الكتب التي تدرج ضمن علم من العلوم. ومآل ذلك أنّه في بعض الأحيان يذكر العلم، ويُعرّف به من دون إخضاع المؤلّفات التي تدرج ضمنه، كأن يُعرّف مثلا بـ "علم متن الحديث"^{*} ولا نجد أثرا للمؤلّفات التي يضمّها هذا العلم. ويظهر ذلك أيضا حين تطرّقه لعلم "الآلات العجيبة الموسيقارية".

وربّما عدم تقصّيه للضبط الكتبي في علم من العلوم أنّ عالم محدود ذلك العلم، دون أن يُيسّر له السبيل إلى الإمام بمؤلّفاته. وهو معذور في ذلك لصعوبة الوقوف على شقين في آن واحد: تصنيف العلوم، والضبط الببليوغرافي لتلك العلوم.

¹ - مقدّمة كشف الظنون. ص. 02.

^{*} - توظيفه لمعاني القرآن الكريم. يدلّ على تشبّعه به حفظا. وتندرج الآية: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوُوا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» ضمن سورة المنافقون، الآية: 05.

² - حاجي خليفة، المصدر السابق. مج. 01. ص. 03.

³ - المصدر نفسه. مج. 02. ص. 1325.

^{*} - المتن: ما اكتنف أي (ما احتوى على يمين وشمال). فمتن كلّ شيء ما يتقوّم به ذلك الشيء، فمتن الحديث ألفاظه التي يتقوّم بها المعنى: المصدر نفسه. مج. 02. ص. 1585.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

أما ترتيبه لعناوين المؤلفات، فقد كان هو أيضا متّسما

ذلك عدم اكتفائه بالحرف الأوّل والثاني، بل استقرّ النظام لباقي الحروف. ويعبر عن ذلك "حاجي خليفة" في مقدّمته قائلا: «وراعيت في حروف الأسماء إلى الثالث والرابع ترتيبا، فكلّ ما له اسم ذكرته في محله مع مصنّفه وتاريخه ومتعلّقاته ووصفه تفصيلا وتبويبا»¹. كتّبه مثلا كتاب "ذخائر الآثار" لـ "أبي الفتح إبراهيم بن مسلم" المتوفى سنة (518 هـ - 1097 م) عن كتاب "الذخائر الأشرقيّة في الألغاز الحنفيّة" لـ "ابن الشحنة عبد البر بن محمّد الحنفي" المتوفى سنة (921 هـ - 1500 م). هذا عن الترتيب العام الألفبائي للعلوم، وعناوين المؤلفات الواردة في "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون".

أما عن مؤلّفي الكتب التي ذكرها "حاجي خليفة"، فقد أولى اهتمامه إلى ذكر إسم المؤلّف بالكامل مع ذكر كنيته، ووفاته في معظم المواضع، كقوله مثلا: «الذخائر في فروع الشافعيّة» للقاضي أبي المعالي مجلي بن جميع المخزومي الشافعي المتوفى سنة 550 خمسين وخمسمائة². ويقوم بوضع (...) إذا تعذّر له إيجاد تاريخ وفاته، ربّما للبحث عن ذلك وإمكانية الحصول عليه في وقت لاحق. والذي يؤكّد على ذلك قوله في المقدّمة: «ولما تمّ تسويده في عنفوان الشباب، بتيسير الفياض الوهاب، أسقطته عن حيّز الإعداد، وأسبلت عليه رداء الإبعاد، غير أنّي كلّما وجدت شيئا لحقته، إلى أن جاء أجله المقدّر في تبييضه وكان أمر الله قدرا مقدورا»³. ومثال ذلك حديثه عن «كتاب "قسطاس الميزان" لشمس الدين محمّد السمرقندي المتوفى سنة ...»⁴.

وما يلاحظ أيضا أنّ هناك بعض النقائص البارزة في "كشف الظنون"، كأن يذكر عنوان الكتاب دون إيراد مؤلّفه، أو حتى لحة عن محتوياته، كقوله مثلا: «"كشف المحجوب لأرباب القلوب" - من شروح الفصوص»⁵. والذي أدرجه ضمن (علم الكشف) الذي لم يعرف به خلافا لما ألفناه من التعاريف الشاملة لمعظم العلوم التي تحدّد ماهيتها ومجالها، وكذا الكتب التي تتضمّن هذه العلوم.

والجدير بالذكر في هذا المجال الذي يُعنى بإلقاء نظرة عامّة عن منهجيّة الكتابة عند "حاجي خليفة" من خلال كتابه "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، أنّه تارة يذكر ويعدّد عناوين للمؤلّفين مرتّبة على حروف الهجاء

¹ - مقدّمة كشف الظنون. ص. 02.

² - المصدر نفسه. مج. 01. ص. 822.

³ - مقدّمة كشف الظنون. ص. 02.

⁴ - حاجي خليفة، المصدر السابق. مج. 02. ص. 1326.

⁵ - المصدر نفسه. مج. 02. ص. 1488.

دون الإعلام بالعلم الذي تنطوي تحته هذه الكتب. حيث يد
التالي: «باب اللام: "الآليء البهيّة في تدبير الصحّة البدنيّة"...»¹.

ومّا ينبّه عليه في هذا المقام أنّ مصنّف "مفتاح السعادة ومصباح السيادة" لطاش كبري زادة. كان من بين مصادر "حاجي خليفة"، لذا نراه وفي كثير من المواضع يُصرّح بذلك فيقول مثلاً عن علم "كشف الدك" «قال في مفتاح السعادة، وهو علم تُعرّ منه الحيل المتعلقة الصنائع الجزئية... فارجع إلى كتاب المختار في كشف الأستار فإنّه بالغ في كشف هذه الأسرار»².

هذا بالإضافة إلى إيراد أسماء الشروح والحواشي. كما يقول هو في مقدّمته: «وأوردت أيضاً أسماء الشروح والحواشي لدفع الشبهة، ورفع الغواشي»³. ومثال ذلك قول "حاجي خليفة" عن "الكافية في النحو" للشيخ جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي النحوي، المتوفى سنة 646 هـ، حيث: «صنّف السيّد ركن الدين حسن بن محمّد الإسترابادي الحسيني المتوفى سنة 717 هـ ثلاثة شروح عن الكافية كبير وهو المسمّى بالبسيط، ومتوسّط وهو المسمّى بالوافية، وصغير»⁴.

ومّا يتميّز به "كشف الظنون" أنّه أضفى لتصنيفه هذا عنصراً هاماً من عناصر الضبط البليوغرافي ألا وهو الإحالة في كثير من المواضع فيعبّر عن توضيح سبيله في ذلك في مقدّمته قائلاً: «... مع التصريح بأنّه شرح كتاب فلاني وأنّه سبق أو سيأتي في فصله بناء على أنّ المتن أصل والفرع أولى أن يُذكر عُقِبَ أصله، وما لا إسم له ذكرته باعتبار الإضافة إلى الفن أو إلى مصنّفه في باب التاء والبدال والراء والكاف برعاية الترتيب في حروف المضاف إليه كتاريخ ابن الأثير، وتفسير ابن جرير...»⁵.

وما يؤيّد هذا الحكم قوله عن كتاب: «"الإفهام لِمَا في البخاري من الإبهام" يأتي في الصاد»، وأيضاً قوله: «"أقاليم البلاد" سيأتي ما يتعلّق به في علم الجغرافيا»⁶.

¹ - المصدر نفسه. مج. 02. ص. 1534.

² - حاجي خليفة، المصدر السابق. مج. 02. ص. 1326.

³ - مقدّمة كشف الظنون. ص. 02.

⁴ - حاجي خليفة، المصدر السابق. مج. 02. ص. 1370.

⁵ - مقدّمة كشف الظنون. ص. 02.

⁶ - حاجي خليفة، المصدر السابق. مج. 01. ص. 134.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

ومّا يُضاف إلى ما امتاز به "كشف الظنون"، أنّه يش

كقوله مثلاً: «إتحاف السامع بافتتاح الجامع» لـ "الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الله بن ناصر الدين الدمشقي" ...
أوّله: الحمد لله الذي افتتح كتابه بعد ذكر اسمه¹. بالإضافة إلى أنّه اهتمّ بتقييد الكتب بالإشارة إلى أصولها، إذا كانت
تركيّة أو فارسيّة أو مترجمة. وأساس ذلك قوله في مقدّمته: «وما ليس بعربي قيّدته بأنّه تركي أو فارسي أو مترجم،
ليزول به الإبهام»². ومثال ذلك قوله: «"مفتاح النور" تركي»، «"مفتاح النجوم" فارسي»³.

فمن خلال تقديم لمحة وجيزة لإعطاء نظرة عامّة عن كنيّة أو منهجيّة تأليف "كشف الظنون عن أسامي الكتب
والفنون" الذي يُدرج ضمن الأعمال الببليوغرافيا. نقول أنّه مهما أوليناها بالدراسة لا نُوفيّه حقّه في إبراز مجهوده الجبار
في الكتابة عن الكتب وأحوالها.

ب-4- ذيل "كشف الظنون":

ونظراً لأهميّة "كشف الظنون" بالنسبة للباحثين والعلماء والدارسين، فلقد توجّهت الأنظار إليه بالتعليق
والتذييل^{*}، كما جاء في مقدّمة الكتاب: «... كتاب عظيم النفع، جليل القدر، رفيع المترلة، عليّ الشأن. ومن ثمّ
توجّهت إليه الهمم والأنظار بالتعليق عليه والتذييل له»⁴.

وبذلك فلق توفّر نفر كبير على تحقيق هذا العمل وتذييله، وهكذا استمرّ الدفع الببليوغرافي الإسلامي بعد
القرن الحادي عشر (السابع عشر الميلادي). من هؤلاء الببليوغرافيين:

➤ العلامة السيّد حسين العباسي النبهاني الحلبي (المتوفى سنة 1096 هـ) بحلب، والذي ألف كتاب "التذكار
الجامع للآثار" إختصر فيه "كشف الظنون"، أي جرّده من الحواشي والنقول ولكّنه زاد عليه ما فات المؤلّف، وما
استجدّ بعده من تأليف.

*- وبهذا يكون "حاجي خليفة" قد قدّم خدمة جليلة لمحقّقي المخطوطات.

¹- المصدر نفسه. مج. 01. ص. 06.

²- مقدّمة كشف الظنون. ص. 02.

³- حاجي خليفة، المصدر السابق. مج. 02. ص. 1771.

*- يقصد بالتذييل ذلك الكتاب الذي يضعه صاحبه نتيجة إعجابه بالكتاب الأصلي، من حيث محتواه أو منهجه. فيقوم بإعادة كتابه بعد التعليق عليه أو الإضافة
إليه: فوزية مصطفى عثمان، «من تاريخ الببليوغرافيا». المرجع السابق. ص. 78. وقد عُرف في التراث العربي الإسلامي بمسمّيات شتى مثل: التّمتّة، التّكملة،
الصّلة، صلة الصّلة. فكتاب التّكملة مثلاً منتمٍ لما سبقه في ذلك الميدان. فلقد وضع ابن الفرضي محمد بن يوسف الأزدي المتوفى سنة (403 هـ) معجمه في
تاريخ الأندلس، ثمّ جاء بعده "ابن بشكوال" أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصاري المتوفى سنة (578 هـ)، فواصل ما بدأه "ابن الفرضي" ووضع
كتاب "الصّلة". وتّمّ ما بدأه "ابن بشكوال" "ابن الأبار" الذي ولد سنة (595 هـ)، والذي عنون كتابه "تكملة الصّلة": (راجع: ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن
عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي، التكملة لكتاب الصّلة. تج. إبراهيم الأبياري. القاهرة: دار الكتاب المصري، 1989. ص. 18).

⁴- حاجي خليفة، المصدر السابق. مج. 01. ص. (هـ).

➤ العلامة محمد عزّي أفندي المشهور بـ "بوشنة زادة"

سمّاه "ذيل كشف الظنون".

➤ العلامة أحمد طاهر أفندي الشهير بخفي زادة (المتوفى سنة 1217)، ألف ذيلًا بعنوان "آثارنو"، طُبِعَ هذا الذيل بليزيك مع العمل الأصلي.

➤ ومنهم العلامة المعاصر "إسماعيل باشا البغدادي" (بن محمد أمين أفندي ابن الأمير سليم الباباني أصلاً البغدادي مولداً)، المتوفى سنة (1339 هـ) بإسلامبول، الذي ألف ذيلًا سمّاه "إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون". فرغ من تأليفه سنة 1330، وطُبِعَ سنة 1346 هـ. حيث استدرّك فيه ما فات "حاجي خليفة" في "كشف الظنون"، وقد سار على نهجه¹.

وما يسترعي الانتباه أنّ "إيضاح المكنون" بالرغم من إلحاقه ضمن قائمة ذيول "كشف الظنون"، إلّا أنّه يُعتبر عملاً مستقلاً، بحيث يحتوي على أكثر من عشرين ألف مادة جديدة (كتاب) لم يتطرّق إليها "حاجي خليفة"². كما قام صاحب "إيضاح المكنون" بإنجاز عمل آخر في غاية الأهمية هو "هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين" في مجلّدين حاول من خلاله أن يجمع المؤلفين من صدر الإسلام بأسمائهم وكُنَاهم مع ذكر أسماء مؤلّفاتهم.

➤ العلامة المعاصر الشيخ "إسماعيل صائب سنجر"^{*} أعدّ ذيلًا لم يقدر أن يكمله لوفاته من سنوات قليلة. ولا تزال نسخة هذا الذيل مخطوطة³.

وغيرها من ذيول والأعمال المتعلقة بكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. وهكذا تكون مُجمل هذه التذييلات قد أحيت التراث العربي، وأتممت عمل "حاجي خليفة". كلّ حسب مجهوده وإمكانية استدراك ما فات "حاجي خليفة" أو ما جاء بعده من تأليف.

ب-5- أهمية "كشف الظنون":

بالرغم من أنّ "حاجي خليفة" اعتمد على ما سبقه من مصنّفي الكتب أمثال ابن النديم وطاش كبري زادة. إلّا أنّ اهتمامه قد تركّز على وصف الكتب نفسها والحديث عن موضوعاتها بدرجة أكبر من سابقه «الذين اختلطت الببليوغرافيا بالتراجم كتأليفهما»⁴. ومن هنا يُعدّ "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" من أضخم الببليوغرافيات

¹ - انظر في ذلك: (حاجي خليفة، المصدر السابق. مج. 01. ص. (هـ). شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 232-233. مجل لازم مسلم المالكي، المرجع السابق. ص. 95).

² - محمد صاحب، التراث العربي الإسلامي ومرجعياته: دراسة إبستمولوجية في نشأة الببليوغرافيا عند المسلمين، المرجع السابق. ص. 404.

^{*} - لقد تمّ التعريف به سابقاً.

³ - انظر مقدّمة كشف الظنون. ص. 09. وأيضاً: عبد العزيز خليفة، المرجع السابق. ص. 233.

⁴ - فوزية مصطفى عثمان، «من تلريخ الببليوغرافيا». المرجع السابق. ص. 78.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

العربية وأشملها، لما احتواه من كم هائل من أسماء الكتب والمؤ
والتركية والفارسية. والتي تمثل حبة طويلة من التراث العربي والإسلامي تمتد إلى أكثر من ألف عام. وتعكس الصورة
الواقعية للحياة الفكرية عند العرب قبل الإسلام وحتى القرن الحادي عشر الهجري، أي منتصف القرن السابع عشر
الميلادي.

إن معظم الدراسات التي اعتنت بمثل هذه الأعمال الببليوغرافية، كشفت إلى وجود نقائص في كتاب "كشف
الظنون"، والتي تم التنويه على بعضها سابقا، إلا أن قيمته الببليوغرافية لا تحول بحكم استخدامه لأهم عناصر الوصف
الببليوغرافي.

ناهيك إلى أنه يعتبر أول ببليوغرافية عامة دولية في التراث العربي الإسلامي، بمجرد جمعه ولأول مرة مؤلفات في
لغات ثلاث: العربية، التركية، الفارسية. هذا ما جعل كتابه أول من يطرق باب الببليوغرافيا العامة الدولية في التراث
العربي، يفوق من الناحية التقنية كل ما جاء قبله حتى الغرب. ويعترف بذلك المستشرق الفرنسي "جالان"
Galland، بتفوق الكشف عما سبقه خاصة كتاب "جسنر" Gessner، تحت عنوان "المكتبة
الدولية" *Bibliotheca universalis، الذي يُعتبر أول ببليوغرافية عامة دولية منذ القرن السادس عشر
الميلادي¹.

ولا شك في أن "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" قد استفادت منه الأعمال الببليوغرافية التي جاءت
بعده، سواء ما اشتمل عليه من الذيل، أو مختلف المصنفات المستقلة بذلك والتي سالت أقلامها لتكملة صورة الحركة
الفكرية والتأليفية في حياة العرب الثقافية.

ب-6- عناصر منهج الإسناد البارزة في "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" لحاجي خليفة:

تتلخص مناهج الضبط عند "حاجي خليفة" في النقاط التالية:

- ذكره لتاريخ وفيات المؤلفين فيقول مثلا عن: "فخر الدين محمد بن شاكر الكتي" صاحب كتاب "عيون
التواريخ" أن توفي سنة (764) أربع وستين وسبع مائة². وقوله أيضا عن "فخر الدين محمد بن مصطفى التركي الحنفي"
صاحب "قصيدة في النحو" أنه توفي سنة (713) ثلاث عشرة وسبع مائة³.

* - أحصى فيه هذا العالم السويسري "جسنر" الكتب اليونانية واللاتينية والعبرية.

¹ - أحمد شوقي بنين، المرجع السابق. ص. 180.

² - حاجي خليفة، المصدر السابق. مج. 02. ص. 1185.

³ - المصدر نفسه. مج. 02. ص. 1345.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

- قد يذكر "حاجي خليفة" تاريخ الإملاء، وعدد مجلد

شرحها "جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي" المتوفى سنة 911 هـ قال أنه «أماها في ثلاثة مجالس، آخرها سبع عشر محرّم سنة 884 هـ».

- إنّ ما يوحى أنّ "حاجي خليفة" كان متّصلاً، اتّصلاً مباشراً بالمصنّف ذكره كما سبق وأن ذكرنا لأوائل المصنّفات، هذا من جهة. أمّا من جهة أخرى، فقد توميء بعض عباراته أنّه عاين المؤلف كقوله مثلاً: «المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية» للشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن مسلك السخاوي الشافعي، وكان حيّاً في حدود سنة 1023 على ما رأيته في ظهر تأليفه¹.

- وكذا التدقيق في ذكر النسخة التي تعامل معها ورآها. فيقول عن "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للشيخ "شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي الحنفي": «والتي رأيته نسخة كُتبت سنة أربع عشرة وأربعمائة»².

- ذكره لحجم الكتاب، وعدد مجلّداته إن تيسّر له ذلك. فيقول مثلاً: «إتحاف المهرة بأطراف العشرة» في ثمان مجلّدات للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني³. أمّا كتاب "الأحكام في الفقه الحنفي" للشيخ الإمام أبي العباس أحمد بن محمد الناطقي الحنفي: «هو كتاب كبير في ثمان مجلّدات»⁴. ويقول في باب الزاي المعجمة: «كتاب "زاد المسافر" في خمسين مجلّداً لأبي علي حسن بن أحمد العطار الهمداني»⁵.

- لقد ذكر "حاجي خليفة" تلميحاً عن محتوى المصنّف كقوله: «إتحاف السامع بافتتاح الجامع» للحافظ "شمس الدين محمد بن عبد الله بن ناصر الدين الدمشقي" ذكر فيه «فضل الحديث وأهله وفضل الصحيحين وتدريسه»⁶. وذكر أيضاً محتوى «الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية» للشيخ "محمد المعروف بعبد الرؤوف المناوي الحدادي" «أورد فيه من الأحاديث القدسية مرتباً على بابين. الأوّل فيما صدر بلفظ قال الله، والثاني فيما تضمّن قوله تعالى، وكلاهما على الحروف»⁷.

*- نجد هنا أنّ مجالس الإملاء لا تقتصر على الحديث النبوي الشريف فحسب، إنّما يقتضي ذلك مواداً أخرى كالقصاص مثلاً.

¹- المصدر نفسه. مج. 01. ص. 09.

²- المصدر نفسه. مج. 01. ص. 17.

³- المصدر نفسه. مج. 01. ص. 07.

⁴- المصدر نفسه. مج. 01. ص. 22.

⁵- المصدر نفسه. مج. 02. ص. 946.

⁶- المصدر نفسه. مج. 01. ص. 06.

⁷- حاجي خليفة، المصدر السابق. مج. 01. ص. 07.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

- ذكر ما للمؤلفين من اعتماد أو اتكاء على مصنفات

لثقة مؤلفه¹. وذكر مصادر الإقتباس، فقال مثلاً: «هذا ما قاله مولانا "لطف الله" في موضوعاته، وقد نقله الفاضل الشهير بطاش كبري زادة بعبارته من مفتاح السعادة»².

- وجود بعض التوضيحات التي تفيد تقريب بعض المعاني: مثال ذلك قوله: «إتحاف المهرة بأطراف العشرة -يعني الكتب الستة والمسانيد الأربعة-».

- ذكر ما للمؤلفات من تقسيمات. كذكر عدد المطالب مثل قوله: «أجل المواهب في معرفة وجوب الواجب: رسالة على مقدمة وثلاثة مطالب، ووصية للمولى الفاضل طاش كبري زادة»³. ويذكر أيضاً في موضع آخر أن كتاب «إحكام الأحكام في أصول الأحكام» للشيخ أبي الحسن علي بن أبي علي محمد المعروف بسيف الدين الآمدي الشافعي، رُتب على أربع قواعد (1) في مفهوم أصول الفقه، (2) في الأدلة السمعية، (3) في أحكام المجتهدين، (4) في الترجيح⁴. وقال أيضاً أن: «إحكام الأشعار بأحكام الأشعار» لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، رُتب على عشرة أبواب»، أما «أحكام تعاليم سني العالم» ليحيى بن محمد بن أبي الشكر المغربي، فمقسّم على: «مقدمة وثلاثة وعشرين باباً وخاتمة»⁵. هذا ويقول عن كتاب «عين الفرائد» الواقع في باب العين المهملة: «مختصر مشتمل على حكم الفرائد، سلك مؤلفه فيه سبيل الاختصار، ورّبه على أحد عشر باباً في الحكم والنوادر نظماً ونثراً».

- بالإضافة إلى ذكر «حاجي خليفة» تلميحا عن محتوى المؤلف، يفصل في ذكر منهج مؤلفه الذي سلكه في التثبت من الأخبار. فيقول في هذا الصدد أن المصنف «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» الذي ذكرناه سابقاً: «ذكر فيه أحوال الربع المعمور وبلاده وبرّه وبحره وجبله ونهره وطرقه ومسالكه ومعارفه وخواصه». مُضيفاً إلى ذلك ما قاله مصنف الكتاب في ضرورة الرجوع إليه وطريقته في الجمع والتأليف، فيدقق «حاجي خليفة» ويقول: «وكان جمعه بعد ما جال ودخل الأقاليم، وتفتّن مساحتها، واستعان على ما لم يشاهده بالفحص عنه من الناس، فما وقع اتفاقهم أثبتته، وما اختلفوا فيه نبذه»⁶.

- كما اهتم «حاجي خليفة» بذكر تواريخ الإنتهاء من تأليف المصنفات. فيقول عن كتاب «مسلاة الحزن والتذكرة عند مصائب الزمن» للشيخ «محمد بن رمضان بن أحمد الغزي المصري الحنفي»: «جمعه، وصنّفه بمكة المكرمة،

¹ - المصدر نفسه. مج. 01. ص. 06.

² - المصدر نفسه. مج. 01. ص. 07.

³ - المصدر نفسه. مج. 01. ص. 11.

⁴ - المصدر نفسه. مج. 01. ص. 17.

⁵ - المصدر نفسه. مج. 01. ص. 18.

⁶ - المصدر نفسه. مج. 01. ص. 16-17.



وانتهى تأليفه في رجب سنة 930 ثلاثين وتسعمائة¹. ويذكر

فرغ من تأليف مصنف "المفتاح لبعض أسرار الكريم الفتاح" سنة 993 ثلاث وتسعين وتسعمائة².

- وصف "حاجي خليفة" محتويات الكتاب وتقييمها عن طريق الوجادة فيقول عن "كتاب "مفردات ابن البيطار" المتوفى سنة 646 هـ «و كنت وقفت على كثير من الكتب في الفن فلم أجد أجمع منه، ولا أنفع، لكن وجدت فيه من التطويل والتكرار، والتقصير والإشبهاء ما لا يحصى، مع خلو أكثره عن بيان ما تشتد الحاجة إليه، والتزم نقل كلام المشايخ بذاته، ونحو ذلك من التقصير، لكنه له فضيلة النقل والجمع»³.

مما تقدم ذكره نخلص إلى أن "حاجي خليفة" لم يولي الإهتمام بتراجم المؤلفين، فقد يذكر اسمه بالكامل ووفاته إن وجدت، ولا يقدم ميزان اعتداله أو تحريج العلماء فيه. أمّا فيما يخص المؤلفات فإنه أبدى لنا أنه كان متفحّصاً لمعظمها، والدليل على ذلك إيراده في أغلب المواضع لأوائل المصنّفات، وكذا وصف أحجامها، كأن يقول: كبير، متوسط، صغير. وذكر أبواب فصولها وعدد مجلداته. أمّا أدوات تحمّل العلم، فلم يولي "حاجي خليفة" لها الإهتمام، إلّا أنه يُضفي شروحات واختصارات لمؤلفات بعينها.

¹ - حاجي خليفة. المصدر السابق. مج. 02. ص. 1677.

² - المصدر نفسه. مج. 02. ص. 1770.

³ - المصدر نفسه. مج. 02. ص. 1772.

أمّا ما يمكن أن نثّل به في هذا المقام هو عمل قد سعى فيه صاحبه إلى حصر شامل لمجمل الفهارس والأثبات والمشيخات والمسلسلات، نتيجة تضخّم هذا النوع من الكتابات، والتي تُعدّ من بين الأعمال التي أُريد بها الضبط الببليوغرافي قصد التعريف بالمشايخ وطرق تلقّي مختلف الفهارس. هذا ما يقابل مصطلح ببليوغرافية الببليوغرافيات.

والعمل الذي تبني عليه هذه الدراسة هو للعلامة "عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني" تحت عنوان "فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات"، المُحقّق من طرف "إحسان عبّاس"، المنشور ببيروت من طرف دار الغرب الإسلامي. والآن نحاول الإجابة على بعض الإشكاليات التي نصوغها فيما يلي: من هو "عبد الحي الكتاني"؟، ماهو الغرض من تأليفه؟، وما أهميته؟، وعلى أيّ أساس بني مادّة فهرسه؟.

1-2-1- التعريف بـ "عبد الحي الكتاني": هو محمّد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمّد الإدريسي، المشهور

بعبد الحي الكتاني. وواحد من أكبر زعماء العالم الإسلامي في العصر الحديث. ولد عام (1305 هـ - 1888 م)، وتوفي عام (1383 هـ - 1962 م)¹. أوّل ما حبّب الله إليه من العلوم علم الحديث والسيرة النبوية، بسبب حضوره دروس العلم على أعلام فاس كوالده الشيخ الإمام الذي سمع عليه كثيرا من كتب الصّحاح والسنن، والمساند والمعاجم والأجزاء وكتب التفسير، وخاله أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني، الذي سمع عليه الكثير من كتب الحديث والفقه والتصوّف والتاريخ والأنساب، حيث أجازته عامّة مرويّاته عام 1318 هـ. كما أخذ عن شقيقه أبو عبد الله محمّد بن عبد الكبير الكتاني، الذي حضر عليه دروسا في الصحيح وسنن النسائي...، ناهيك عن سماعه عنه الكثير من الإحياء والفتوحات المكيّة، وغيرها من كتب الحديث والتصوّف، كما أخذ عنه فلسفة التشريع وعلم الأخلاق والكلام وغير ذلك. هذا بالإضافة إلى أخذه العلم من ابن خاله أبو عبد الله محمّد بن جعفر الكتاني، ومختلف أعلام المشرق والمغرب. كأبي عبد الله محمّد الفضيل بن الفاطمي الإدريسي الزرهوني².

لم يكتفِ "عبد الحي الكتاني" بتكوينه العلمي بالأخذ من هؤلاء، إنّما ارتدى ثوب الرحلات العلميّة. فرحل إلى مراكش عام 1321 هـ، فحصل له فيها إقبال عظيم، كما رحل إلى الحجاز عام 1323 هـ، فأجازوه علماءها

¹ - عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، المرجع السابق. مج. 01. ص. 05.
² - المرجع نفسه. مج. 01. ص. 02-03.

خاصّة شيخ الإسلام "عبد الرحمن الشربيني" وغيره. لِمَا لهم م
فيها إلى الجزائر وتونس والقيروان، فارتقى مقامه وفضله فيها¹.

لقد أثنى عليه الكبار فاعترفوا بمكانته في الطلب، حيث نعتة شيخ الإسلام "عبد الرحمن الشربيني" المذكور منذ قليل بحافظ المغرب وذلك عام 1323 هـ. ووصفه شيخ المالكيّة بالأزهر "سليم البشري" في إجازة له بالحافظ، الضابط، الثقة، المتقن. وقال فيه أيضا الشيخ "النبهاني" في كتابه "أسباب التأليف": «رجل كثير الفضل والأدب، عارف بالحديث والعلوم النافعة، نير الباطن والظاهر... جميل الصورة والسيرة في سنّ إحدى وعشرين لكنّه أُعطي من الفضل والكمال والإقبال ما لم يُعطه كثير من المعمرين...»². أمّا أستاذ إفريقيا ومسندها الشيخ "المكيّ بن عزوز" كتب في أوّل تأليفه "عمدة الأثبات": «وبعد فإنّ أنزر العلوم في هذا الزمان علم الحديث ومعالم السنن...، فبينما أنا آسف، وإلى الله المستعان شاكّ، إذ جاءت الركبان... بأخبار تنعش الروح، وتداوي القلب المجروح، بإحياء السنن وإفاضة المنن من منابع عرفانية، ومطالع ربانية من صفوة العصر، زينة المغرب، السادات الكتانية، وتواترت الأخبار، وانتشرت الآثار... على وجود الطائفة القائمة بأمر الله الداعية إلى الله، الهادية على بصيرة إلى منهج رسول الله، ومن رجالها الكاملين... حضرة العلامة المكين، ذي الفهم المتين، والنصح المبين، أبي عبد الله سيدي محمد عبد الحي الكتاني...»³.

أمّا معلوماته، وما يغلب عليه الخوض فيه من أبواب العلم، فتمثّلت في معرفته لعلوم الحديث، جرحا وتعديلا، صحّة وسقما. هذا ما جعل منه حافظ العصر ومحدّث الزمان، بالإضافة إلى تفنّنه في علم التاريخ الإسلامي وفلسفته، وكذا أنساب العرب، كما أنّه يعرف الأصول والتصوّف الإسلامي والسياسة معرفة لا تقلّ عن سابقتها⁴. وسعة علمه في ذلك كلّ جعل من قلمه سيّلا، وله بذلك زهاء 130 كتابا سَمّاها "أبو العزم" في مقدّمته لفهرس الفهارس. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، ونترك المجال لأحدها في دراسة ماهيّته والغرض من تأليفه، وكذا أساس مادّته المبنوثة فيه. فله: "مجمالي الإمتنان فيما روى لنا بالتسلسل من سور القرآن"، "الإجازة إلى معرفة أحكام الإجازة"، "الرحلة الجزائرية التونسية القيروانية" (تخرج في مجلدين)... وغيرها⁵.

¹ - عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، المرجع السابق. مج. 01. ص. 04-05.

² - المرجع نفسه. مج. 01. ص. 06.

³ - المرجع نفسه. مج. 01. ص. 07.

⁴ - المرجع نفسه. مج. 01. ص. 09-10. (ترجمة أبو العزم).

⁵ - المرجع نفسه. مج. 01. ص. 14-17. (ترجمة أبو العزم).

1-2-2- فهرس الفهارس والأثبتات ومعجم المعاجم والمشي

أ- التعريف بالمؤلف والغرض من تأليفه: هو أول كتاب من نوعه في التعريف بفهارس شيوخ الحديث وأثبتاتها، وأشهر مؤلفات "عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني"، وهو كتاب عظيم الشأن. يقول عنه "أبو العزم" في تقديمه لـ "فهرس الفهارس" أنه: «ينبئ أولاً عن سعة وكثرة مؤلفات علماء الإسلام في شوارد أبواب التاريخ الإسلامي، لأن باب الفهارس قليل الطروق، ومع ذلك جمع العدد العديد الهائل من الفهارس والأثبتات...، ويدل ثانياً على سعة إطلاع الأستاذ المؤلف اطلاعاً فاق فيه كثيراً ممن غبر فضلاً عمّن حضر...»¹.

أمّا عن فحوى "فهرس الفهارس" فقد كان: «حاوياً لتراجم أعلام المغاربة والمشاركة بين مكّين ومدنّين، ومصريّين وشاميّين وهنديّين، وبغداديّين ويمّنيّين... بحيث يجد كلّ بلد تراجم أعلامهم فيه، وما دونوا في الحديث البيان الشافي فيه»²، كما جعله كالذيل لكتابي الحافظين ابن ناصر والسيوطي، كما في قوله: «وقد قصدت به أيضاً التذيل والإستدراك على طبقات الحُفّاظ للحافظين ابن ناصر والسيوطي، لأنّي جمعت فيه غالب من جاء بعدهم في الإسلام، ممّن يصحّ أن يطلق عليه اسم الحافظ، أو خدم الحديث والسنة... سيما وإن كان له فيها من التصنيف والآثار ما يستحق التدوين والإعتبار... وله ذكر في فهارس وأسانيد المتأخّرين، مع ذكر اتّصالنا به وربط سلسلتنا بمصنّفاته، ولو لم يكن له ثبت يُعرف به...»³.

والكتاب على جلالته ماهو في الحقيقة إلّا بناء على إجازة كتب فيها "الكتاني" إلى صديقه بمكّة المكرّمة الشيخ "محمد حبيب الله بن عبد الله بن مايبا"، جواباً على رسالة وصلته من قبله في أواخر رمضان من سنة 1342 يرغب إليه فيها أن يجيزه بمروياته، ويبيح له التحديث عنه بمسنداته ومجموعاته، مقترحاً عليه على أن تكون الإجازة مشتملة على ما اتّصلت به من الفهارس والأثبتات... وهذه الرسالة مجسّدة في ظهر "فهرس الفهارس" من نشرة إحسان عباس، وفيها قوله: «أحببت أن أستجيزكم بالمراسلة، وأبين صورة طلبتي لهذه الإجازة، فهي أنّي أحبّ أن أجمع ثبناً متّصلاً بجميع الأثبتات المعروفة في الدنيا عن طريق الإختصار، أحبّ الإعانة من جنابكم بإجازة لي منكم جامعة لما في حفظكم ممّا اتّصلت به أسانيدكم من الأثبتات المعبر عنها عند المغاربة بالفهارس... وأخصّر من ذلك أن تكتبوا لي إجازة صورتها ثبت فلان أرويه عن فلان عن فلان عن مؤلفه، وقد أجزتكم بجميع ما شتمل عليه، حتى تجمعوا لي ما

¹ - عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. المرجع السابق. مج. 01. ص. 18.

² - المرجع نفسه. مج. 01. ص. 28.

³ - المرجع نفسه. مج. 01. ص. 28.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

أمكنكم من أثبات العلماء والمتأخرين...»¹. فأجابه المؤلف في

تأليف الكتاب شهر واحد، حيث فرغ من مسودته «ظهر يوم الثلاثاء آخر شوال من سنة 1342 بفاس حرسها الله». وأتم تحريره وتبييضه وتصحيحه في 08 شوال 1344، كما ذكر ذلك المؤلف في خاتمة الكتاب: «ثم أعدت الإلتفات إليه فاشتغلت به وانقطعت له نحو السنة أزيد وأنقص، أقدم وأؤخر، أستدرك وأصحح...»².

فظم الكتاب بذلك 1200 ثبت من أثبات أهل المشرق والمغرب³. وبذلك فقد اكتسى هذا الفهرس أهمية علمية كبيرة، إذ يترجم فيه لما يزيد عن خمسمائة محدث وشيخ⁴.

ب- منهجية ترتيب مادة "فهرس الفهارس" وعناصر منهج الإسناد المجسدة فيه:

لقد كان أساس ترتيب "عبد الحي الكتاني" لمؤلفه هذا على حروف المعجم اقتداء بالإمام البخاري. أما عناصر منهج الإسناد المجسدة فيه، فقد نورد انعكاس شخصية المصنف العلمية وثقافته الحديثة الواسعة من خلال تشبعه بعلوم الحديث ومصطلحه، هذا ما نجده جلياً من خلال المقدمات الأربع التي اشتمل عليها كتابه. إذ خصّ المقدمة الأولى بإيراد تعاريف للمصطلحات الدالة على فهارس الشيوخ، كالشيخ، الثبت، البرنامج، الفهرس والفهرسة، ضبطاً ومعناً، أما المقدمة الثانية، فكان مجالها في حدّ الحافظ والمحدث والمسند، وتفاوت الدرجات بينهم وأرفعها، من خلال الاستناد إلى أقوال محدثين في ذلك كالحافظ "ابن حجر"، أما المقدمة الثالثة فكان الحديث فيها عن اختصاص الأمة الإسلامية وشرفها بالإسناد، وله في ذلك معرفة سامية، وفيما يخصّ المقدمة الرابعة والأخيرة، فكان الحديث فيها عن ضرورة معرفة الوفيات وتاريخ الرواة وأعمال العلماء، لأنّ ذلك من علم خاصّة أهل العلم⁵. وله قول يلخص لنا فيه كيفية إيراده لسلاسل اتّصاله بمختلف الأثبات والفهارس الواردة في مصنفه، مع إيضاح منهجية ترتيب مادة "فهرس الفهارس" فيقول في هذا الصدد: «فأذكر في كلّ حرف اسم الفهرس تحت أوّل حرف من اسمه، أن كانت شهرته باسمه أكثر، وإن كان لثبته اسم خصوصي يُعرف به ذكرته في حرف أوّل اسم الفهرس، وإن كان الثبت لا يُعرف باسم خاصّ بل بعنوان عمومي كفهرس أو مشيخة أو معجم أو مسلسلات ذكرته تحت أوّل حرف اسمه العام، وإن كان صاحب الفهرس عُرف بأبيه أو جدّه أو لقبه أو نسبته مثلاً ذكرته في حرف أوّل اسم أو نسبته أو اسم أبيه أو جدّه المشهور به كابن عبد البر تجده في حرف العين مثلاً، وابن حجر تجده في حرف الحاء لا في حرف الألف، وإن كان اسمه أحمد بن

¹ - عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. المرجع السابق. مج. 01. ص. ص. 26-29.

² - المرجع نفسه. مج. 03. ص. 789.

³ - المرجع نفسه. مج. 01. ص. 27.

⁴ - محمد صاحب. «من مصادر الثقافة والعلم: فهارس الشيوخ أو برامج العلماء»، المرجع السابق. ص. 62.

⁵ - انظر في ذلك كلّ ما له علاقة بهذه المقدمات الأربع في "فهرس الفهارس" لعبد الحي الكتاني. مج. 01. من ص. 38-49.

Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features

علي بن علي بن حجر، وكالسبوطي والسخاوي تجدهما في

الشين، تسهيلا على من لا يستحضر اسمه ويريد الكشف عن ثبته وإسناده، وإن ذكرت الثبت في حرف اسم صاحبه او لقبه أعدت ذكره في أول حرف ثبته، إن كان له اسم مع إيضاح محل الإحالة لذكره، مفصلاً كل ذلك تسهيلا للمطالع والبحاث المراجع، وذكرت غالباً وفيات أصحاب الفهارس وولادتهم ووتفا من تحلياتهم وأعمالهم، من حيث الصناعة الحديثية وثناء الناس عليهم بها لا غيرها غالباً، وربما حصلت مدار روايته، وربما وصفت جُرم الفهرس ومحلّه، وذكرت غريبه منه أو أكثر، وربما نُبّهت على ما فيه من غلط وتصحيح، كل ذلك حرصاً على الإفادة، وما عسى أن يقع من المطالع موقع الإفادة...»¹.

ولتتبع هذا القول الشافي الكافي في توضيح الرؤية وطريقة إثباته لمختلف أثبات فهارس هذا المؤلف تجدر الإشارة إلى ذكر بعض النماذج قصد إصدار حكم شامل لكيفية حصره لمختلف الفهارس والأثبات. فيذكر مثلاً في المجلد الثاني طرق روايته لفهرس شيخ الإسلام "زكريا الأنصاري" فيورد ترجمته في مختلف المصادر، ثم يلج إلى التعريف بالفهرس وطريقة ترتيبه ومحتوياته وطرق روايته عنه، فيقول حينئذ: «زكريا الأنصاري: قاضي القضاة بالديار المصرية ومسندها المعمّر المتوفى سنة 925 عن نحو المائة سنة، ترجمه تلميذه "ابن حجر الهيتمي" في معجمه ترجمة طنانة قال فيها: "وعمر حتى انفرد في وقته بعلو الإسناد، ولم يوجد في عصره إلا من أخذ عنه مشافهة..."، وترجمة السخاوي في "الضوء اللامع" حيث أرّخ ولادته سنة 826... له شرح على الصحيح سَمّاه "ثحفة القاري"،*، والإعلام بأحاديث الأحكام"... وغير ذلك، وله فهرس جامع في نحو الخمس كراريس خرّجه له الحافظ "السخاوي"، وفي ملكي منه نسخة بخطّ الشيخ أبي بكر بن يوسف السجستاني انتسخها بمكة سنة 1054، افتتحه بحديث الأوليّة، ثم بإسناد كتب الحديث، ثم سائر العلوم، وختمه بأسماء جماعة ممن أجازوه، ربّهم على حروف المعجم...». ثم بعد ذلك يبيّن طريقة روايته لهذا الفهرس فيقول: «أرويه وسائر ما له من طريق ابن حجر الهيتمي والشعراني... وغيرهم عنه، ومن طريق القصّار عن الغزيّ عنه، وعن يحيى الخطّاب إجازة مكاتبة عن أبيه عنه، وعن البدر القرافي عن الجمال بن يوسف بن زكريا عن أبيه، وأخبرنا السكري به عن الكزبري عن الزبيدي عن ابن عقيل عن العجيمي عن البرهان إبراهيم الميموني عن الشمس الرملي عنه، وهذا غاية في العلو»².

¹ - عبد الحي بن عبد الكبير الكتّاني، المرجع السابق. مج. 01. ص. 27-28.

* - في معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ليوسف إلبان بن موسى سركيس: "ثحفة الباري".
² - المرجع نفسه. مج. 02. ص. 155-156.



[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

ويولي "عبد الحي الكتاني" اهتمامه إلى ضبط طرق

الدالة عليها. فيقول عن "عبد الله الباجي": «له برنامج حمله عنه...»، أما "عبد اللطيف البيروني" فيذكر ان: «له ثبت
، نرويه عن ... ومن طريق...عن... عن... عنه، ومن طريق... عن... عنه عالياً»¹.

وبطريقة المحدثين في الضبط والرواية المبنية على سلاسل الإسناد (العنونة)، والمصطلحات الحديثية "حدّثنا"
و"أخبرنا". يورد "عبد الحي الكتاني" مجمل الفهارس والأثبات الواردة في فهرسه. وبذلك يكون منهجه واضحاً في علوّ
سنده عن طريق سلاسل الإسناد. فيكون وقتئذ قد خدم الضبط الببليوغرافي بهذا النوع من الكتابات الفريدة من نوعها
التي تُعنى بخصر الفهارس والأثبات بما يقابل ببليوغرافية الببليوغرافيات.

¹ - عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، المرجع السابق. مج. 03. ص. 504-506.

1-3- تعريف الخلف برجال السلف لـ "أبي القاسم محمد

في حقيقة الأمر لا يوجد خطّ قياسي، تنتهي بواسطته الأعمال الببليوغرافية القديمة، وإنما إن صحّ التعبير يمكن اعتباره خطأ وهميًا. تابعت بعده تلكم الأعمال التي تُعنى بالضبط الببليوغرافي. وهي في مجملها تُصوّر لنا حوصلة متكاملة يشدّ بعضها البعض لمختلف النشاطات التعليمية والتأليفية. هذا ما سوف نُعرّج عليه من خلال العمل الموسوم بـ "تعريف الخلف برجال السلف" لأبي القاسم محمد الحفناوي.

1-3-1- نبذة عن حياة "الحفناوي":

هو الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي المعروف بابن عروس بن الصغير بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن مرزوق بن سيدي إبراهيم الغول، وقد ولد سنة 1852 في بلدة "شمي الديس"، قبيلة سيدي إبراهيم، تبعد عن مدينة بوسعادة في حدود 20 كلم، توفي بها عام 1942.

لقد زاول تعليمه القرآني على أبيه، ثم انتقل إلى زاوية "الهامل"، فدرس بها أصول الفقه والتوحيد والأدب، ثم انتقل إلى زاوية "تسالنت" بمدينة أقبو ببلاد القبائل الصغرى، ليأخذ العلم عن الشيخ بن بوداود، فاجتهد وبرع في المذهب المالكي، والعلوم اللسانية كالقواعد والأدب ونحوها. ومنها سافر إلى "نغطة" بتونس، ليتّم دراسته بها على يد الشيخ علي بن سيدي المكي بن عزوز، هذا بالإضافة إلى أنّه لم يكتف "الحفناوي" بتعلّم اللغة العربية فحسب، بل أترى مشواره العلمي بتعلّم اللغة الفرنسية التي أتاح له التفتح أكثر على ميادين المعرفة في شتى التخصصات. فكان له بذلك مقالات عديدة نشرها في جريدة "المبشّر" باللغتين العربية والفرنسية¹.

1-3-2- محتوى وغرض "الحفناوي" من تحقيق "تعريف الخلف برجال السلف":

لقد بذل "الحفناوي" جهدا كبيرا في جمع الأعلام وأئمة الإقتداء، من هذا المنطلق يعتبر كتابه هذا موسوعة شاملة للسيرة الذاتية لمشاهير العلم بالجزائر، وببليوغرافية لمشاهير العلم والدين والأدباء والفقهاء والأتقياء والأولياء. حيث تناول حياة شخصيات عاشت القرن العاشر الميلادي، وبداية القرن العشرين، وكان وراء ذلك قصد نبيل تجلّى في إحياء التراث الجزائري القديم وإبراز المكانة التي احتلّها في ميدان العلم والمعرفة، فكانت بذلك منبعا حضاريا للعلوم الإسلامية والعربية. حيث يقول صاحب هذا الكتاب في هذا الصدد: «فالظاهر أنّ القطر الجزائري قد اجتهد قديما في طلب العلم بجميع أسبابه، وأتاه من سائر أبوابه، ووقف على معقوله ومنقوله، فتمكّن من أصوله وفصوله، وكان لعلوم وقته جامعا، ولرايتها رافعا، مثل أخويه المغربين الأقصى والأدنى، فظهر في الأقاليم بدره، واشتهر في التاريخ قدره بعلماء بنوا تأليفهم

* - يقول فيها "الحفناوي" بأنّها كانت منارة للعلم والعلماء، لا تضاهي جامع الزيتونة والقرويين.

¹ - أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف. الجزائر: موفم للنشر، 1991. ج. 01. ص. 3-6.

على أركان التحقيق، فكانوا في عصرهم نجوم اهتداء وأئمة إفا
الأفول، فذهبوا ولسان حالهم يقول:

تِلْكَ آثَارُنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا فَانْظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الْآثَارِ¹.

إنّها لصيحة يصدق لسانها، بأنّ العلم كان منبع قوّتهم، إلى أن فت أعمارهم، من أجل إرشاد الأمة وتنويرها
بما الأمة الحقّة تُنارُ.

وللإشارة فإنّ هذا المصنّف يحتوي على جزأين، وينقسم بدوره إلى قسمين: أولهما في تراجم العلماء المكتوبة
أسماءهم في المدرسة الثعالبيّة، وثانيهما في تراجم غيرهما من علماء البر الجزائري ومايليه من الأقطار كالسودان ونحوه².

1-3-3- عناصر منهج الإسناد البارزة في "تعريف الخلف برجال السلف":

وما يهتمنا في هذا المقام أن نلقي بصيصا من النور لاستقاء مدى توظيف "الحفناوي" لعناصر منهج الإسناد
للتثبت من أخبار هؤلاء الأعلام. والتي سوف نورد أهمّها فيما يلي:

- أوّل ما يلاحظ في ذكر "الحفناوي" لأسماء الأعلام أنّه أضفى تحت اسم كلّ عالم، الكتاب الذي إقتبس منه
ترجمته، كما يضع عند الإنتهاء من الترجمة لفظة "انتهى" أو مختصرها. ويجمع بينها وبين ترجمات من كتب أخرى إن
تيسّر له ذلك. فهذا دائما يدلّ على أنّه اعتمد على الإسناد الجمعي في سرد الروايات. فيجمع مثلا ترجمات عديدة فيما
يخصّ "ابن مرزوق الخطيب" فيقول عنه «وفي "نيل الإبتهاج" هو محمّد بن أحمد بن محمّد بن محمّد بن مرزوق
الخطيب شمس الدين... وذكره "ابن فرحون" في الأصل أي في "الدّياج" وأثنى عليه، وذكر شيوخته، وقال عنه "ابن
خلدون"... وقال عنه في "الإحاطة"... وقال عنه "الحافظ ابن حجر"...، وقال في "جذوة المقتبس"...»³.

فمجموع هذه الترجمات تيسّر للمطلّع توحيد المعالم، وكذا مقارنتها، ومدى اتّلافها في صحّة أخبارها. هذا ما
يقترّب بدرجة كبيرة للروايات المختلفة عند المحدثين، وتمحيصها عن طريق أسس الجرح والتعديل.

- إهتمام "الحفناوي" بذكر أسماء الأعلام كاملة دون نقصان. طبعا كما وجده في مصادر التراجم والأعيان،
فيقول مثلا: محمّد الجلاب التلمساني الذي اقتبس ترجمته من "نيل الإبتهاج" «هو محمّد بن أحمد بن عيسى المغيلي
الجلاب التلمساني الفقيه العلامة»⁴، هذا ما يتناسب ومعظم مواضع التراجم التي ذكرها.

¹ - أبو القاسم محمّد الحفناوي، المرجع السابق. ج. 01. ص. 01.

² - المرجع نفسه. ص. 07.

³ - المرجع نفسه. ص. 161.

⁴ - المرجع نفسه. ص. 145.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

- ذكره في بعض الأحيان الكُنى، كأن يقول عن أحمد

العجيسي الشهير بالعبادي، يكتنى بأبي العباس¹. هذا ما ييسر التمييز بين الاسماء المتقاربة، ويبعد مجال الريب في الاخذ من مصادرها.

- لم يولي "الحفناوي" اهتماما بالغاً في ذكر تواريخ الميلاد، في حين كان اهتمامه بتواريخ الوفاة بالغاً في أغلب المواضع. فيذكر مثلاً عن محمد بن مرزوق الحفيد أن مولده: «كما ذكره هو في "شرحه على البردة" ليلة الإثنين رابع عشر ربيع الأول عام ستّة وستين وسبعمائة...، وتوفي كما قاله "القصادي" والسخاوي وغيرهم يوم الخميس رابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمانمائة»².

- وقد يكتفي "الحفناوي" بترجمة قصيرة جداً فيذكر حينها أخلاقه أو شيئاً من صفاته دون التطرّق إلى ما مثلاًه سابقاً، وهذا ما نراه بيننا مثلاً حينما ذكر أن تلميذ العلامة أحمد النقاوسي البجائي قال عنه: «شيخنا الإمام المحقق الجامع بين علم المنقول والمعقول، ذو الأخلاق المرضية والأحوال الصالحة السنية»³. هذا ما حظي به من ترجمة. وفي المقابل قد نجد "الحفناوي" يُجاوز الخمس صفحات في ترجمة لأحد الأعيان كما فعل في ذكر ترجمة أحمد بن يوسف الملياني⁴، وحسن بريهمات الجزائري⁵. وقد يرجع ذلك إلى تقارب العهد بهؤلاء، فيسوق حكايات قد عاشها معه، وصفاته، وذكر تلاميذته وإجازاته بالتفصيل. فقال عن "حسن بريهمات الجزائري" «لما ساقني الأقدار إلى الجزائر، كان المرحوم أول من ضمّني إليه وأطلعني على غثها وسمينها، وقد جئتها طالب علم علمائها وزيرة أهلها... وله إجازة من جدّ أولاده العلامة السيّد مصطفى بن الحاج أحمد الحرار، في العلوم كلّها، ونصّها: ... كان ولدنا السيّد أحمد بن السيّد إبراهيم المدعو بريهمات قد لزم دروسنا سنيناً، فحمل عنّا من العلوم العقلية والنقلية... ولما كان الإسناد حبل الشريعة الممدود وبابه لطالبه غير مسدود، إذ هو من خصائص الأمة، ولم تزل الإجازة عادة الأجلّة من الأئمّة، أوصلته بما وصلني به مشايخي، وأجزته بما أجازوني به في سائر العلوم العقلية والنقلية، وأذنته أن يروي عني جميع مروياتي ومسموعاتي على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها، إجازة مطلقة عامة، بشرطها المعروف وستنها المؤلف حسبما تلقّيت ذلك...»⁶. ثمّ يسترسل في ذكر مختلف إجازات الشيوخ التي تلقاها "أبو الحسن بريهمات الجزائري" فيقول عن "كتاب البخاري" أنّه أخذه من الأستاذ خاتمة العباد سيدي الشيخ أحمد بن الكاهية بن عرف، وكان ذلك عرضاً لجميعه وسماعاً لبعضه، وأجاز به بالإجازة العامة والمطلقة...

¹ - أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ج. 02، ص. 354.

² - المرجع نفسه، ج. 01، ص. 158.

³ - المرجع نفسه، ج. 01، ص. 354.

⁴ - المرجع نفسه، ج. 01، ص. 355.

⁵ - المرجع نفسه، ج. 01، ص. 374.

⁶ - المرجع نفسه، ج. 01، ص. 377-385.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

- إهتمام "الحفناوي" بالتثبّت من الأخبار بتوظيفه لمص

«حدّثني بعض من لقيته من الشيوخ، أنشدنا شيخنا الأستاذ¹، حدّثني في حياته بعض الإخوان... وغيرها»².

- إهتمام "الحفناوي" بمصدر رواية وإجازة وأخذ هؤلاء العلماء عن طريق أدوات تحمّل العلم. فيقول مثلاً عن عبد الرحمن بن محمّد الجزائري: «روى وحصل، وأجاز له أبو الحسن بن زرقون إجازة خاصّة وعامّة، وكتب له بذلك بخطّ يده، وذلك في عقب ذي القعدة سنة خمس عشرة وستّ ومائة»³ وغيرها من الأمثلة.

- توظيف "الحفناوي" لألفاظ الجرح والتعديل. فقال مثلاً عن أبي عبد الله محمّد القلعي: «أحد الثّقاة الأثبات الصّالح»⁴، وقال عن محمّد بن محمّد بن الجنان أنّه: «من أهل الرواية والدراية والحفظ والإتقان، وجودة الخط وحسن الضبط»⁵.

هذا ملخّص عام حول انتهاج "الحفناوي" لبعض عناصر منهج الإسناد في ضبط مجمل الأعيان الموجودة في "تعريف الخلف برجال السلف".

وقد تكون دراستنا لهذا العنصر البناء ناقصة غير متّزنة إذا ما لم نقابلها بإلقاء نظرة حول كيفة تطرّق "الحفناوي" إلى الأعمال البيوغرافية، وانتقالها عبر الأزمان. فنقول عن ذلك:

- الملاحظة العامّة التي يمكن استنتاجها من خلال تفحصنا لمنهج كتابة "الحفناوي" في هذا المؤلّف أنّ إهتمامه البالغ كان في إعطاء المعلومات البيوغرافية الحيويّة (السيرة الذاتية) لمختلف المشايخ والعلماء ومصادر تناولهم لمختلف المشايخ والعلماء ومصادر تناولهم لمختلف العلوم أو موادها (المؤلّفات). فنجد "أبو القاسم محمّد الحفناوي" قد يذكر تأليف هؤلاء العلماء، وطريقة تلقيها أو إيصالها تحمّلاً وأداء. فيقول مثلاً عن "محمّد بن أحمد بن مريم المديوني" الذي لم يقف على ترجمته أنّ له كتاب "البستان في علماء وصلحاء تلمسان" الذي انتقاه من "نيل الإبتهاج" للتنبكي، ومن "بغية الرواد" ليحيى بن خلدون وغيرهما⁶. أمّا "عبد الله بن محمّد التلمساني" فذكر "الحفناوي" أنّه قرأ على الفقيه النحوي الأستاذ الصالح ابن حيّاتي: "الجمال" و"المقرّب"، ثمّ جملة صالحة من "كتاب سيبويه"، و"التسهيل"، وعلى الفقيه الصالح

¹ - أبو القاسم محمّد الحفناوي، المرجع السابق، ج. 02، ص. 50.

² - المرجع نفسه، ج. 02، ص. 223.

³ - المرجع نفسه، ج. 02، ص. 07-08.

⁴ - المرجع نفسه، ج. 02، ص. 266.

⁵ - المرجع نفسه، ج. 02، ص. 348.

⁶ - المرجع نفسه، ج. 01، ص. 175.



PDF
Complete

Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

الفصل الرابع:

بعض الأ

أحمد القباب "التلقين" و"الرسالة" و"قصيدة الكفيف" في أص
"الموطأ" تفقها، و"التهذيب"، وقرأ على أبيه في الأصول "الإقتصاد في الإعتقاد" للغزالي... وغيرها.

فكانت بذلك عناصر الإسناد مجسدة ولو بصفة نسبية فيما يخص حصره للأعلام أو المؤلفات التي كانت مادة
"تعريف الخلف برجال السلف".

¹ - أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ج. 02، ص. 56.



PDF
Complete

*Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.*

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

الختمة

وعصارة القول، أن ما تميّزت به الأمة الإسلامية عن باقي الأمم هو ارتقاء موروّثها بخصائص منهج الإسناد الذي لم يستقلّ مفعوله البناء في توثيق حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق سلاسل الإسناد فحسب، إنّما سار جنباً لجنب مع انتقال الرواية الشفهية إلى الرواية المكتوبة. فبعدما كان الحفظ في الصدور لا في السطور، بالإعتماد على الذاكرة في حفظ ما يُتلّق من مآثره صلى الله عليه وسلم لقرب العهد به. أصبح بعد ذلك من الضروري تدوين الحديث النبوي الشريف، خاصة بعدما كثر الوضع وساد النقص، وأصبحت الذاكرة في فقدان صفاءها المألوف. فكان السبيل الوثيق في توثيق التقييد هو منهج الإسناد الذي يُعنى بسلاسل الرواة وحالهم من جرح وتعديل. هذا ما انتهجه المحدثون وتابعهم في ذلك الإخباريون والمؤرخون في سائر العلوم المنبثقة من علم الحديث ومصطلحه، كالسيرة والمغازي والأنساب والتاريخ...، لأنّ وعيهم السديد في أنّ تأريخ الحوادث لا يتأتّى إلاّ بربطه بالأطر التي تربطها بذلك العهد. ولا مجال لتوثيق الأخبار فيها إلاّ بمنهج الإسناد وتواتر الروايات.

فبما أنّ الهدف المنشود هو إسناد الحديث إلى قائله عن طريق ما يشدّها من سلاسل العنونة للإبتعاد عن كلّ مجال للتشكيك، فإنّ الببليوغرافيا يُعنى هو الآخر بضبط وإسناد المؤلفات إلى أصحابها عن طريق المنهج نفسه. هذا ما خلصنا إليه في دراسة بعض النماذج فيما يخصّ تأثير منهج الإسناد البناء في ضبط الببليوغرافية العربية.

وما نستنتجه من وضع بعض المقاربات في ذلك أنّ "فهارس الشيوخ أو برامج العلماء" حُضيت أو ارتقت لمرتبة المحدثين في رواية الحديث النبوي الشريف، كونهم اكتسب ضبطهم لمشايخهم ومختلف المؤلفات التي تلقّوها عنهم بصيغة المنهج القويم في الضبط والتمحيص، والإعتناء بسلاسل الرواية بما في ذلك العنونة المتكرّرة، ناهيك عن توظيفهم لأدوات تحمّل مختلف العلوم، فكان السماع والقراءة والإجازة أكثر الطرق انتهاجا، هذا بالإضافة إلى استعمال الألفاظ الحديثية (حدثني، أخبرني...). ذلك ما وجدناه سارياً أكثر في "فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة في ضروب العلم وأنواع المعارف" لابن خير الإشيلي. ولم يكن ذلك عبثاً إنّما كان مؤسساً عملياً على حفظ الموروث الثقافي، وحقيقة ضبطه ونسبته إلى أصحابه، القائم على عناصر منهج الإسناد، بالرغم من أنّ توسّعه واستيعابه لطريقة المحدثين هاته أثّرت على البيانات الببليوغرافية بالتقصير.

أمّا عن منهج "الغبريني" في مشيخته، فكان اهتمامه أكثر بطرق الاستفادة والتلقّي عبر سلاسل الإسناد المتواترة، فاعتنى هو الآخر بتوظيف سلاسل الإسناد في إبداء طريقة تلقّيه للعلوم، سواء ما تعلّق ذلك بالدراية أو الرواية، المبنية

على العنونة، وصولاً بمؤلف الكتاب الأصلي موضّحاً ذلك في
لمعاني السماع ، والقراءة خاصّة في قسم علوم الدراية.

أمّا "ابن النديم" في فهرسته كان أكثر تحرياً إذا ما قورن مثلاً بـ "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" لحاجي خليفة. كونه وازن بين تمحيص المعلومات البيوغرافية وكذا البليوغرافية. فوظف وفي أغلب الأحيان أدوات تحمّل العلم خاصّة منها الشائعة الإستعمال كالسماع والقراءة والوجداء، مقابل مصطلح الإنشاد بالنسبة للمنظوم من الشعر، والتي تحيل إلى مصادر الأخبار من جهة، أو في ذكر سلاسل الإسناد المبنية على (قال، حدّثني، حدّثنا، أخبرني، خبرني) من جهة أخرى، والتي تُشدّد سلاسلها عن طريق العنونة، ناهيك عن توظيفه للألفاظ المخصوصة التي تقابل مصطلحات الجرح والتعديل: كالحافظ، الثقة، الصادق. أمّا عن ضبطه البليوغرافي فقد أولاه "ابن النديم" الأهمية، كونه قد تمّ مباشرة وتفحص معظم أشكال المصادر، ويتجلى ذلك في ذكره الدقيق لأجزاء وأبواب ونسخ، وعدد الأوراق وأحجامها.

وبالمقابل فإنّ حاجي خليفة لم يولي الإهتمام بتراجم المؤلفين، فيذكر بذلك الإسم بالكامل، ووفاته إن تيسّر له ذلك، بغضّ النظر عن إشفاق ذلك بتقديم ميزان اعتداله أو تجريح العلماء فيه. أمّا فيما يخصّ ضبط المؤلفات فإنّه كان معانها لمعظمها، فقدّم خدمة جليّة لمحقّقي التراث العربي بإيراده لأوائل المصنّفات، وكذا وصف أحجامها، وذكر أبواب فصولها وعدد مجلداتها.

أمّا العمل الضخم الذي يقابل بليوغرافية البليوغرافيات الموسوم بـ "فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات"، فقد كان صاحبه العلامة المحدّث منتهجاً لطريقة المحدّثين في الضبط والرواية المبنية على سلاسل الإسناد (العنونة)، والمصطلحات الحديثيّة "أخبرنا"، "حدّثنا" في مجمل الفهارس والأثبات التي اشتمل عليها فهرسه. والتي توضّح علوّ سنده في الرواية.

وقد كان منهج الإسناد أيضاً مجسّداً ولو بصفة نسبيّة في الأعمال البليوغرافية المعاصرة. فنجد "الحفناوي" مثلاً يهتم بإعطاء مصادر رواية وأخذ وإجازة العلماء عن طريق أحد أدوات تحمّل العلم. كأن يقول مثلاً: «أجاز له...»، «قرأ على...»، «أخذ عن...»، بالإضافة إلى أنّنا وجدنا أنّه وظّف في مواضع يسيرة لألفاظ الجرح والتعديل كقوله: «الثقة، الحافظ، المتقن، حسن الضبط...». فكان بذلك صاحب "تعريف الخلف برجال السلف" اهتمامه البالغ في إعطاء المعلومات البيوغرافية عن المعلومات البليوغرافية.

هذا ملخص عام لسيّر عناصر منهج الإسناد البناءة في ضبط بعض نماذج وأشكال الضبط البليوغرافي العربي.



PDF
Complete

*Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.*

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

وكخلاصة الخلاصة، فإنّ الببليوغرافية العربيّة شكّلت

ضبط وتوثيق ما هو موروث ثقافيّ، كونه الوسيلة الحتميّة البناءة التي تحكم في ضبط مسار التأليف عن الكتب.



PDF
Complete

*Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.*

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

البليو غرافية

1- الكتب المرجعية:

1-1 القواميس:

أ- باللغة العربية:

- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. تح. جمال طلبة. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998. مج. 01-02. 300 ص.
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. تح. مصطفى السقا. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1945. مج. 01. 352 ص.
- الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي. معجم الأدباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. بيروت: دار الكتب العلمية، 1991. ج. 01. 648 ص.
- الحموي، ياقوت. معجم الأدباء. ط. 02. (منقحة ومضبوطة وفيها زيادات). مصر: مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1922. ج. 01. 272 ص.
- الخير آبادي، محمد أبو الليث. معجم مصطلحات الحديث وعلومه وأشهر المصنفين فيه. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، 2009. 306 ص.
- الزركلي، خير الدين. الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. ط. 05. بيروت: دار العلم للملايين، 1980. مج. 01. 336 ص. مج. 03. 341 ص. مج. 05. 336 ص. مج. 07. 352 ص.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. تح. الحميد هندراوي. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003. مج. 01. 459 ص.
- المنجد في اللغة والأعلام. ط. 40. بيروت: دار المشرق، 2003. 714 ص.
- المنجد في اللغة والأعلام. ط. 17. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1970. 799 ص.
- ابن منظور. لسان العرب. ط. 06. بيروت: دار صادر، 1997. مج. 02. 642 ص.
- المعجم الوسيط. ط. 02. تركيا: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، 1967. مج. 01. 1067 ص.

ب- باللغة الفرنسية:

- Dictionnaire encyclopédique des sciences de l'information et de la communication. Bernard lamzit, Ahmed silem. PARIS : Marketing, 1997. 590 p.

1-2- الموسوعات:

أ- باللغة العربية:

- دائرة المعارف الإسلامية. تحرير النسخة العربية، إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشتاوي، عبد الحميد يونس. القاهرة: دار الشعب، [د. ت.]. مج. 10. 447 ص.
- دائرة المعارف العربية في علوم الكتب والمكتبات والمعلومات. شعبان عبد العزيز خليفة. القاهرة: دار المصرية اللبنانية، يناير، 2000. 655 ص.
- مجموعة مؤلفين. دائرة المعارف الإسلامية. القاهرة: مطبوعات الشعب، [د. ت.]. ج. 13. 448 ص.
- موسوعة تاريخ العرب: تاريخ/ ممالك/ دول/ حضارة. عبد عون الروضان. ط. 02. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2007، مج. 02. 744 ص.
- الموسوعة العربية العالمية. ط. 02. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999. مج. 07. مج. 09. مج. 21. مج. 22. 406 ص. 774 ص. 221 ص. 482 ص.
- موسوعة المستشرقين. عبد الرحمن بدوي. ط. 04. الأردن: دار الفارس للنشر والتوزيع، 2003. 640 ص.

ب- باللغة الفرنسية:

-HENRI, Jean martin. «Histoire du livre et bibliologie». In encyclopédie internationale de bibliologie : les sciences de l'écrit. PARIS : AIB (Association Internationale de Bibliologie), 1993. p. p. 287- 325.

-JEAN, Meyriat. «La bibliographie». in encyclopédie internationale de bibliologie : les sciences de l'écrit. PARIS : AIB (Association Internationale de Bibliologie), 1993. p. p. 548- 553.

». in encyclopédie internationale de
bibliologie : les sciences de l'écrit. PARIS : AIB (Association Internationale
de Bibliologie), 1993. p. p. 32- 65.

-ROBERT, Estivals. «Les sciences de bibliologie». in Schéma et
schématisation sur la bibliologie, la documentologie, et les sciences de
l'information. SAUFIA : Société de bibliologie et de schématisation, 23, 28
novembre, 1981. p. p. 21- 35.

ج- باللغة الإنجليزية:

-The encyclopedia of islam. Prep. Number of leading orientalists. London :
Leiden Ej-brill, 1960. Vol. 01. 1359 p.

2- المصادر:

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن أبي بكر الفضايعي. التكملة لكتاب الصلة. تح. إبراهيم الأبياري. القاهرة: دار الكتاب المصري، 1989. 247 ص.
- البغدادي، الخطيب. تقييد العلم. تح. يوسف العش. ط. 2. [د.م.]: دار إحياء السّنة النبويّة، 1974. 198 ص.
- البغدادي، الخطيب. الرحلة في طلب الحديث. تح. نور الدّين عتر. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1975. 254 ص.
- البلاذري، أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن جابر. فتوح البلدان. تح. تق. عبد الله أنيس الطّبّاع. بيروت: دار النشر للجامعيّين، 1975. 768 ص.
- التهانوي، محمّد علي الفاروقي. كشّاف اصطلاحات الفنون. تح. لطفي عبد البديع محمّد حسنين. مصر: المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والنشر، 1963. مج. 01. 368 ص.
- الحميدي، أبو عبد الله بن أبي نصر. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس. تح. إبراهيم الأبياري. ط. 02. القاهرة: دار الكتب الإسلاميّة، 1983. ج. 02. 117 ص.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر محمّد بن علي. تاريخ بغداد أو مدينة السلام. تح. مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1997. ج. 01. 412 ص.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. طبعة مزينة ومنقّحة. القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1999. مج. 12. 1092 ص.
- ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1992. مج. 01. 719 ص.

- خليفة، حاجي. كشف الظنون عن أسامي الكتب

938 ص. مج. 02. 2056 ص.

- خليفة، حاجي. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،

1999. ج. 06. 523 ص.

- خليفة، حاجي. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1992. مج. 01.

938 ص.

- الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف. مفاتيح العلوم. تح. نهي النجار. بيروت: دار الفكر

البناني، 1993. 288 ص.

- ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد. فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة في ضروب العلم وأنواع

المعارف. ط. 03. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997. 579 ص.

- الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد. طبقات المفسرين. ضبطه ووضع حواشيه عبد السلام عبد

المعين. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2002. 559 ص.

- الذهبي، أبو عبد الله. ميزان الاعتدال. تح. علي محمد البجاوي. [د. م.]: دار الفكر، [د. ت.]. ج. 01.

672 ص.

- زادة، طاش كبري. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. تح. كامل كامل بكري، عبد

الوهاب أبو النور. [د. م.]: دار الكتب الحديثة، 1968. ج. 01. 428 ص. ج. 02. 612 ص.

- سرقيس، يوسف إليان. معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة. مصر: مطبعة سرقيس، 1928. مج. 01.

1144 ص.

- سزكين، فؤاد. تاريخ التراث العربي. تر. فهمي أبو الفضل. القاهرة: الهيئة المصريّة العامة للتأليف والنشر،

1971. ج. 01. 568 ص.

- السيوطي، جلال الدين. تاريخ الخلفاء. تق. عبد الله

1991. 477 ص.

- ابن صاعد الأندلسي، أبو القاسم بن أحمد. طبقات الأمم. تح. حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف،

1998. 151 ص.

- ابن الصلاح. مقدّمة ابن الصلاح في علوم الحديث. تح. مصطفى ديب البغا. الجزائر: دار الهدى للطباعة

والنشر والتوزيع، [د. ت.]، 251 ص.

- ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله. أعدّه واختصره وهذبّه أبو الأشبال الزهيري. القاهرة: مكتبة ابن تيمية،

1996. 516 ص.

- العسقلاني، ابن حجر. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تح. محمد سيّد جاد الحق. القاهرة: أم القرى

للطباعة والنشر، [د. ت.]، 529 ص.

- العسقلاني، ابن حجر. لسان الميزان. تح. عادل أحمد عبد الموجود. علي محمد المعوّض. بيروت: دار الكتب

العلمية، 1996. ج. 01. 654 ص.

- العسقلاني، ابن حجر. المجمع المؤسّس للمعجم المفهرس، تح. يوسف عبد الرحمن الرعشلي. بيروت: دار

المعرفة، 1992. مج. 01. 622 ص.

- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد. عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. عناية محمد

بن أبي شنب. الجزائر: دار البصائر للتوزيع والنشر، 2007. 192 ص.

- الفارابي، أبو نصر. إحصاء العلوم. تح. عثمان محمد أمين. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1931. 80 ص.

- ابن فرحون المالكي، إبراهيم بن نور الدين. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. بيروت: دار

الكتب العلمية، 1996. 503 ص.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي. صبح الأعشى في صناعة الإنشا. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والنشر، 1963. مج. 02. 488 ص. مج. 05. 481 ص. مج. 06. 750 ص.

– ابن كثير. الباعث الحثيث: شرح اختصار علوم

1997. 232 ص.

– المزني، جمال الدين بن يوسف بن عبد الرحمن. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تح. عمرو سيّد شوكت.

بيروت: دار الكتب العلميّة، 2004. 424 ص.

– ابن النديم. الفهرست: بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1994. 464 ص.

3- المراجع:

- الأسد، ناصر الدين. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية. ط. 03. القاهرة: دار المعارف بمصر، 1996. 716 ص.
- الأعظمي، محمد ضياء الرحمن. دراسات في الجرح والتعديل. ط. 04. (مع إضافات مهمة). المملكة العربية السعودية: مكتبة الغرباء الأثرية، 1999. 532 ص.
- أمين، أحمد. ضحى الإسلام. ط. 10. بيروت: دار الكتاب العربي، 1935. ج. 02. 363 ص.
- بدر، أحمد. دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها. دمشق: [د. ن.]. 1969. ج. 01. 259 ص.
- بلتاجي، محي الدين. دراسات في التفسير وأصوله. بيروت: مطابع مكتبة الهلال، 1987. 289 ص.
- بنين، أحمد شوقي. دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي. الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1993. 223 ص.
- التهانوي، ظفر أحمد العثماني. قواعد في علوم الحديث. تح. عبد الفتاح أبو غدة. الرياض: [د. ن.]. 1974. 553 ص.
- الجابري، محمد عابد. بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية. ط. 07. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004. 599 ص.
- جب، هاملتن. دراسات في حضارة الإسلام. تر. إحسان عباس، محمد يوسف نجم، محمود زايد. ط. 03. بيروت: دار العلم للملايين، 1979. 456 ص.
- الحزيمي، سعود بن عبد الله. المراجع العربية: دراسة شاملة لأنواعها العامة أو المتخصصة. المملكة العربية السعودية: الإدارة العامة للبحوث، 1990. 599 ص.
- حسن، محمد عبد الغني. التراجم في القديم. [د. م.]: دار المعارف، 1995. ص.
- حسين، أبو لبابة. أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997. 553 ص.

– الحفناوي، أبو القاسم محمد. تعريف الخلف برجال ا

ص. ج. 02. 489 ص.

– الحلوجي، عبد الستار. دراسات في الكتب والمكتبات. المملكة العربية السعودية: مكتبة مصباح، 1988.

286 ص.

– الحلوجي، عبد الستار. لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1987.

113

– الخطيب، محمد العجاج. الوجيز في علوم الحديث. الجزائر: قصر الكتاب، 1989. 511 ص.

– الدوري، عبد العزيز. بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب. بيروت: دار المشرق، 1983. 437 ص.

– الذهبي، محمد حسين. عناية المسلمين بالسنة ومدخل لعلوم الحديث. [د. م.]: دار مرجان للطباعة، [د.

ت.]. 76 ص.

– الرديني، عبد الكريم. مباحث في تاريخ الحديث ومصطلحه. الجزائر: شركة شهاب، 1988. 180 ص.

– أبو رية محمود. أضواء على السنة الحمّدية. ط. 04. القاهرة: دار المعارف بمصر، 1976. 422 ص.

– السباعي، مصطفى. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. ط. 03. بيروت: المكتب الإسلامي، 1976.

236 ص.

– سليمان، عباس. دراسات في تاريخ العلوم عند العرب. حسان حلاق. مصر: دار المعرفة الجامعية، 1998.

344 ص.

– شحاتة، عبد الله. علوم التفسير. القاهرة: مكتبة نهضة الشروق، 1986. 282 ص.

– شرف الدين، عبد التواب. نظم المعلومات البليوغرافية. القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، 1993.

223 ص.

– الصالح، صبحي. علوم الحديث ومصطلحه. ط. 14. بيروت: دار العلم للملايين، 1982. 448 ص.

- الصغير، محمد حسين علي. المبادئ العامة لتفسير

للدراستات والنشر والتوزيع، 1983. 190 ص.

- ضيف بن أبي بكر، بشير. مذكرة في مصطلح علم الحديث. ط. 02. [د. م.]: ديوان المطبوعات الجامعية،

1994. 47 ص.

- الطريحي، فخر الدين. جامع المقال فيما يتعلق بأحوال الحديث والرجال. تح. تع. محمد كاظم الطريحي.

طهران: [د. ت.]. 260 ص.

- طه، عبد الواحد ذو النون. دراسات أندلسية. بغداد: منشورات مكتبة بسام، 1986. 287 ص.

- الطيبي، الحسين بن عبد الله. الخلاصة في أصول الحديث. بيروت: عالم الكتب، 1985. 171 ص.

- عبد الحليم عطية، أحمد. دراسات في تاريخ العلوم عند العرب. [د. م.]: دار الثقافة للنشر والتوزيع،

1991. 387 ص.

- عبد الرحمن رمضان، ناصر محمد. الإتصال العلمي في التراث الإسلامي: من صدر الإسلام حتى نهاية العصر

العباسي. تق. حشمت قاسم. القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع، 1994. 282 ص.

- عبد الوهاب أبو النور، عبد السلام. مدخل عام وقضايا رئيسية في التنظيم والتصنيف. القاهرة: عالم الكتب،

2000. 229 ص.

- علي الراجحي، شرف الدين. مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب. بيروت: دار النهضة

العربية للطباعة والنشر، 1983. 306 ص.

- عمر، أحمد مختار. البحث اللغوي عند العرب: مع دراسة لقضية التأثير والتأثر. ط. 04. القاهرة: عالم

الكتب، 1972. 379 ص.

- القاسمي، محمد جمال الدين. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث. بيروت: دار الكتب العلمية،

[د. ت.]. 415 ص.

- القسطلاني، أحمد بن محمد. السعي الحثيث إلى جمع ف
ديوان المطبوعات الجامعية، 1994. 60 ص.

- قنديلجي عامر إبراهيم، عليان ربحي مصطفى، السامرائي إيمان فاضل. مصادر المعلومات من عصر
المخطوطات إلى عصر الأنترنت. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000. 345 ص.

- القنوجي، صديق بن أحسن. أجد العلوم. بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002.
761 ص.

- الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. فهرس الفهارس ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. تح.
إحسان عباس. ط. 02. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982. مج. 01. 251 ص. مج. 02. 247 ص. مج.
03. 339 ص. مج. 04. 61 ص.

- الكيرانوي، أحمد محمد. قواعد في علم الحديث (على ضوء ما أفاده الشيخ أشرف علي التهانوي). بيروت:
دار الفكر العربي، 1990. 224 ص.

- المالكي، مجبل لازم مسلم. المراجع: التطورات الحديثة في أساليب الخدمة المرجعية واتجاهاتها. عمان: مؤسّسة
الوراق، 2000. 185 ص.

- مؤنس، حسين. الجغرافية والجغرافيين في الأندلس. ط. 02. [د. م.]: [د. ن.]، 1986. 743 ص.

- متز، آدم. الحضارة الإسلامية في القرن 04 هـ أو عصر النهضة في الإسلام. تر. محمد عبد الهادي أبو ريذة.
القاهرة: دار الفكر العربي، 1999. 225 ص.

- مرحبا، محمد عبد الرحمن. من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية. ط. 03. الجزائر: ديوان المطبوعات
الجامعية، 1983. 883 ص.

- النمر، عبد المنعم. أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف وصلت إلينا. القاهرة: دار الكتاب
المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1987. 151 ص.

– النوايسة، غالب عوض. خدمات المستخدمين من
والتوزيع، 2000. 312 ص.

– الهوش، أبو بكر محمود. المدخل إلى علم الببليوغرافيا. طرابلس: قطاع الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع،
1981. 118 ص.

ب – باللغة الفرنسية:

- BEAUDIQUEZ, Marcelle. Guide de bibliographie générale : Méthodologie
et pratique. PARIS : Saur, 1983. 280 p.

- MALCLES, Louise-Noëlle. La bibliographie. Coll. Que sais- je ?. 05^e ed.
PARIS : Presse universitaire de France, 1956. 127 p.

-MALCLES, Louise-Noëlle. Manuel de bibliographie. 04^e ed. PARIS : Presse
universitaire de France, 1985 . 448 p.

4- الدوريات:

أ- باللغة العربية:

- الأبياري، إبراهيم. «الفهرست لابن النديم». مجلة تراث الإنسانية. [د. م]: الدار المصرية للتأليف والترجمة. ع. 01. مج. 03، 1966. ص. ص. 193 - 210.
- الأبياري، إبراهيم. «كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون». مجلة تراث الإنسانية. [د. م]: الدار المصرية للتأليف والترجمة. ع. 01. مج. 03، 1966. ص. ص. 395 - 412.
- الأمين، عبد الكريم. «الببليوغرافيا: مشاكلها واقتراحات في حلها». مجلة المكتبة وعروبة الخليج. جامعة البصرة: مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، 1975. ص. ص. 543 - 564.
- بوعزيز، يحيى. «علم التاريخ بين المسلمين وغيرهم». مجلة الحضارة الإسلامية. وهران: المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية. ع. 03، نوفمبر، 1997. ص. ص. 148 - 172.
- الحسناوي، ظاهر محمد صكر. «الوثيقة: مفهومها وأهميتها في الدراسات التاريخية». مجلة آفاق الثقافة والتراث. [د. م]: دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث. س. 14. ع. 53، أبريل، 2006. ص. ص. 06 - 22.
- حسين، حسين محمود. «دراسات في أدب الرحلة عند العرب». مجلة الأصالة. الجزائر: وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية. ع. 32، أبريل، 1976. ص. ص. 89 - 111.
- حسين، أبو لبابة. «ملاحم من مناهج المحدثين في النقد والتمحيص». مجلة الحضارة الإسلامية. وهران: المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية. ع. 02، أبريل، 1996. ص. ص. 09 - 18.
- الحمادي، عبد الخضر جاسم. «دور الأنساب في حفظ تاريخ العرب خلال القرنين الأول والثاني الهجريين». مجلة آفاق الثقافة والتراث. الإمارات العربية المتحدة: قسم الدراسات والمجلة بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث. س. 14. ع. 55، أكتوبر، 2006. ص. ص. 56 - 66.
- الخرشافي، إدريس. «الإسناد في الثقافة الإسلامية: مظهر تميز وضرورة علمية». مجلة كلية الشريعة. المملكة المغربية: جامعة القرويين. ع. 20، 1995. ص. ص. 51 - 63.

- دياب، حامد الشافعي. «فهارس وبرامج الشيو

الأندلس». مجلة دراسات عربية في المكتبات والمعلومات. القاهرة: دار غريب. س. 03. ع. 03، سبتمبر، 1995. ص. 71-90.

- شرف الدين. عبد التواب. «روائع التراث الإسلامي: الفهرست لابن النديم». المجلة المغربية للتوثيق

والمعلومات. تونس: المعهد الأعلى للتوثيق. ع. 04، مارس، 1986. ص. 74-86.

- صاحبي، محمد. «من مصادر الثقافة والعلم: فهارس الشيوخ أو برامج العلماء». مجلة عصور. الجزائر: مكتبة

الرشاد والطباعة والنشر. ع. 03، جوان، 2003. ص. 53-76.

- الصقار، سامي. «تراث العرب في كتابة التاريخ». مجلة البحرين الثقافية = Al-bahrain- Al

thaquafia. البحرين: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. س. 06. ع. 22، أكتوبر، 1999. ص. 44-50.

- عبد اللاوي، عبد الله. «مهمة المؤرخ في الثقافة العربية الإسلامية: المعرفة، السلطة، التمثلات». مجلة البحرين

الثقافية = Al-bahrain- Al thaquafia. مملكة البحرين: قطاع الثقافة والتراث الوطني. س. 11. ع. 38، مارس، 2004. ص. 30-43.

- عثمان، فوزية مصطفى محمد. «البليوغرافيا: مفهومها، أهميتها، تقنياتها». مجلة المكتبات والمعلومات العربية.

الرياض: دار المريخ للنشر. ع. 02، أبريل، 1990. ص. 94-137.

- عثمان، فوزية مصطفى. «من تاريخ البليوغرافيا». مجلة المكتبات والمعلومات العربية. الرياض: دار المريخ

للنشر. ع. 01، يناير، 1989. ص. 67-99.

- عزوزي، حسين. «الإسناد في الثقافة الإسلامية: مظهر تميز وضرورة علمية». مجلة كلية الشريعة. المملكة

المغربية: مطبعة محمد الخامس. ع. 02، 1995. ص. 57-62.

- أبو لعكيك، علي. «القاضي عياض من خلال كتاب "الشفاء"». مجلة كلية الشريعة. المملكة المغربية: جامعة

القرويين. ع. 20، 1995. ص. 281-297.

– محمد موسى، عبد المنعم. «المكتبة القومية». مجلة المآ
للطباعة والنشر، 1975. ص. ص. 99 – 112.

5-أطروحة:

– صاحبي، محمد. التراث العربي الإسلامي ومرجعياته: دراسة إستمولوجية في نشأة البليوغرافيا عند
المسلمين. أطروحة لنيل درجة دكتوراه الدولة في الأدب العربي القديم، 2001 – 2002. 445 ص.

أ- باللغة العربية:

- أمحزون، محمد «منهج التوثيق وإثبات الحقائق في دراسة التاريخ الإسلامي» www.fustst.com (page consultée le 27-09-2007)
- حسنة، عمر عبيد «المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب» www.3ilm.com (page consultée le 10-09-2007)
- الحوالي، سفر «نشأة القدرية وحكمهم» www.balagh.com (page consultée le 07-10-2007)
- خليل أبو العطا، نظمي «عيون الأخبار لابن قتيبة» www.a55a.net (page consultée le 15-08-2007)
- رسلان، محمد سعيد «تاريخ السنة» www.al-islami.com (page consultée le 09-09-2007)
- سالم، رشاد «القرآن والدين والعربية» www.alkhaleej.com (page consultée le 10-10-2007)
- عرجوني، عبد الواحد «البليوغرافيا: المفهوم والأنواع» www.almothaqf.com (page consultée le 21-11-2007)
- مرحبا، محمد عبد الرحمن «دور التدوين في حفظ ذخائر الفكر العربي الإسلامي» www.balagh.com (page consultée le 05-10-2007)

ب- باللغة الفرنسية:

- Ibn-alquaim «L'importance de l'isnad en science du hadith» www.islamie.com (page consultée le 02-12-2007)
- www.wikipedia.org (page consultée le 27-08-2007)



PDF
Complete

*Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.*

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

الملاحق

مقالات و فنون فهرست بن النديم

المقالة الأولى

وهي ثلاثة فنون:

- ← الفن الأول: في وصف لغات الأمم من العرب والعجم ونعوت أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال كتابتها.
- ← الفن الثاني: في أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب

المسلمين ومذاهب أهلها.

المقالة الثانية

في النحويين و اللغويين:

- ← الفن الأول: في أخبار النحويين واللغويين البصريين.
- ← الفن الثاني: أخبار النحويين واللغويين الكوفيين.
- ← الفن الثالث: في ذكر قوم من النحويين خلطوا المذهبين

وأسماء كتبهم.

المقالة الثالثة

في الأخبار والآداب والسير والأنساب:

- ← الفن الأول: في أخبار الأخباريين والرواة و النسابين وأصحاب السير والأحداث وأسماء كتبهم.
- ← الفن الثاني: في أخبار الملوك والكتّاب والمترسلين، وعمال الخراج*، وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم.
- ← الفن الثالث: في أخبار اللُدماء والجلساء، والمغنيين، والصفادمة، والصفاعنة، والمضحكين وأسماء كتبهم.

* الخراج : ما يخرج من غلة الأرض، ويطلق كذلك على الإثارة التي تؤخذ من أموال الناس، وكذلك يطلق على الجزية التي تؤخذ من أهل الذمة، والبلاد الخراجية التي فتحت صلحا: ابن النديم، المصدر السابق. ص. 09.

المقالة الرابعة

في الشعر والشعراء:

الفن الأول: في طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين

ممن لحق الجاهلية، وصنّاع دواوينهم، وأسماء كتبهم

الفن الثاني: في طبقات شعراء الإسلاميين وشعراء

المحدثين إلى عصرنا هذا.

المقالة الخامسة

في الكلام والمتكلمين:

الفن الأول: في ابتداء أمر الكلام والمتكلمين من المعتزلة

والمرجئة وأسماء كتبهم.

الفن الثاني: في أخبار متكلمي الشيعة والإمامية،

وغيرهم من الغلاة والإسماعيلية وأسماء كتبهم.

الفن الثالث: في أخبار متكلمي المجبرة والحشوية،

وأسماء كتبهم.

الفن الرابع: في أخبار متكلمي الخوارج وأصنافهم،

وأسماء كتبهم.

الفن الخامس: في أخبار السُّيَّاح والزُّهَّاد والعُبَّاد

والمُتصوِّفة والمتكلمين على الوسوس والخطرات وأسماء

كتبهم.

المقالة السادسة

في الفقه والفقهاء والمحدثين:

الفن الأول: في أخبار مالك وأصحابه وأسماء كتبهم.

الفن الثاني: في أخبار أبي حنيفة النعمان وأصحابه،

وأسماء كتبهم.

والزيدية،

الفن الثالث

كتبهم.

الفن الرابع: في أخبار داود وأصحابه، وأسماء كتبهم.

الفن الخامس: في أخبار فقهاء الشيعة، وأسماء كتبهم.

الفن السادس: في أخبار فقهاء أصحاب الحديث

والمحدثين، وأسماء كتبهم.

الفن السابع: في أخبار أبي جعفر الطبري وأصحابه،

وأسماء كتبهم.

الفن الثامن: في أخبار فقهاء الشُّرّة، وأسماء كتبهم.

في أخبار الفلاسفة والعلوم القديمة والكتب المصنّفة في ذلك:

المقالة السابعة

الفن الأوّل: في أخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين،

وأسماء كتبهم، ونقولها وشروحها والموجود منها، وما

ذكر ولم يوجد، وما وُجد ثمّ عُدّ.

الفن الثاني: في أخبار أصحاب التعاليم والمهندسين

والأرثماطقيين والموسيقين والحساب والمنجمين، وصنّاع

الآلات وأصحاب الحيل والحركات.

الفن الثالث: في أخبار المتطبّبين من القدماء والمحدثين،

وأسماء كتبهم.

في الأسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة:

المقالة الثامنة

الفن الأوّل: في أخبار المسامرين والمخرّفين، وأسماء

الكتب المصنّفة في الأسمار والخرافات.

الفن الثاني: في أخبار المعزمين والمشعبدزين والسحرة،



PDF
Complete

Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.

[Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features](#)

وأسماء كتب

الفن الثالث: في الكتب المصنّفة في معاني شتى لا يُعرف

مصنّفوها ولا مؤلّفوها:

في المذاهب والإعتقادات:

المقالة التاسعة

الفن الأوّل: في وصف مذاهب الحرائيّة الكلدانيّين

المعروفين في عصرنا بالصابئة ومذاهب الثنويّة الكلدانيّين.

الفن الثاني: في وصف المذاهب الغربية الطريفة كمذاهب

الهند والصين وغيرهم من أجناس الأمم.

المقالة العاشرة

في أخبار الكيميائيّين والصنوعيّين من الفلاسفة القدماء

والمحدّثين، وأسماء كتبهم.



الملحق رقم

التوزيع الموضوعي للكتب الواردة في فهرسة "ابن خير الإشبيلي" كما دلّ عليها،
وأرقام صفحاتها

المواضيع	محتويات الفهرسة	عدد صفحاتها
م 01	مقدمة ابن خير الإشبيلي.	17
م 02	ذكر ما رويته عن شيوخ رحمهم الله من الدواوين المؤلفة في علوم القرآن: من ذلك القراءات وما يتصل بها.	53
م 03	ذكر الموطّات وما يتصل بها.	16
م 04	ذكر المصنّفات المسندة.	32
م 05	ذكر المصنّفات المتضمنة للسنن، أيضا مع فقه الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.	11
م 06	المسانيد المخرجة على أسماء الصحابة رضي الله عنهم.	07
م 07	المسانيد المخرجة على أحاديث الأئمة رحمهم الله.	05
م 08	سائر كتب الحديث من منثور وغير ذلك.	35
م 09	كتب شرح غريب الحديث ومعانيه.	17
م 10	كتب علل الحديث والتواريخ ومعرفة الرجال وغير ذلك ممّا يتصل به.	27
م 11	كتب السير والأنساب ونحو ذلك ممّا يتصل به.	10
م 12	كتب الفقه على مذهب مالك بن أنس رحمه الله.	15
م 13	كتب أصول الدين وأصول الفقه وفضل العلم وغير ذلك ممّا يتصل به.	06
م 14	كتب الأشربة.	02
م 15	كتب الفرائض وما يتصل بها.	03
م 16	كتب عبارة الرؤيا.	01
م 17	كتب الزهد والرقائق وما يتصل بها.	13
م 18	توالمف أبف بكر بن أبف الدنيا رحمه الله.	03
م 19	توالمف أبف سعيد بن الأعرابي رحمه الله.	02
م 20	توالمف أبف بكر بن محمد بن الحسين الأجرى رحمه الله.	02
م 21	توالمف أبف زر عبد بن أحمد الهروى رحمه الله.	18
م 22	كتب الأنحاء واللغات والآداب والشروحات وأشعار العرب والمحدثين وما يتصل بذلك من نوعه.	13
م 23	توالمف أبف على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى الفسوى النحوى رحمه الله.	03



م 24	كتب الآداب واللغات والشروحات وما يت
م 25	تسمية كتب الشعر وأسماء الشعراء التي
03	بن القاسم البغدادي رحمه الله إلى الأندلس سوى ما تزايل عنه وأخذ بالقيروان منه.
م 26	مّم ذكره أبو مروان بن سراج ممّا رواه عن أبي سهل الحراني ممّا لم يتقدّم ذكره قبل.
01	
م 27	ممّا ذكره أبو علي الغساني ممّا أخذه عن أبي مروان بن سراج ممّا لم يتقدّم ذكره.
02	
م 28	ممّا ذكره أبو الحجاج الأعمم ممّا أخذه عن أبي سهل الحراني ممّا لم يتقدّم ذكره قبل.
01	
م 29	ما جلبه أبو علي البغدادي من الأخبار.
27	
م 30	ذكر ما رويته من الفهارس الجامعة لروايات الشيوخ رضي الله عنهم وتواليهم.
13	
م 31	باب جامع يفيدك اتساع الرواية من جهة الإجازة.
14	
م 32	تفسير الإجازة العامة.
03	
م 33	باب تسمية الشيوخ الذين رويت وأجازوا لي لفظا وخطا ممّن لقيته ومن لم ألقه رحمهم الله.
02	
م 34	من أهل قرطبة ممّن لم ألقه.
02	
م 35	ممّن أخذت عنه ولقيته منهم.
02	
م 36	ممّن أخذت عنه ولم ألقه أيضا.
01	
م 37	ممّن أخذت عنه منهم أيضا ولقيته.
01	
م 38	ممّن أخذت عنه من الشيوخ بالمرية حرسها الله
02	
م 39	ممّن أخذت عنه من أهلها أيضا ولقيتهم بها.
01	
م 40	ممّن أخذت عنه من أهل مالقة حرسها الله ولقيته.
02	
م 41	ممّن رويت عنه أيضا من الشيوخ من سائر البلاد.
03	

المواضيع	كتب		المنظوم من الشعر				مسند	فوائد	مجالس	رسائل	أحاديث	حكم	مواظ	نواذر	المجموع
	أجزاء من كتب	كتب كاملة	قصائد	أختيارات	الشعر	أراجيز									
م01	97	04													101
م02	18														18
م03	20														20
م04	08														08
م05	02						09								11
م06							15								15
م07	38	31					04	02	04						79
م08	28	02													30
م09	75	10								01					86
م10	18														18
م11	23	01													26
م12	22									02					24
م13	06														06
م14	11														11
م15	05														05
م16	44	01													45
م17	33														33
م18	08														08
م19	23														23
م20	75	06								08	01	01	03		94
م21	41	03													44
م22	20	02													22
م23	208	02		01	07	01								04	223
م24					41										41
م25					20										20
م26					07										07
م27			02		10										12
م29	68														68
المجموع	891	58	06	01	85	أرجوزة	مسند 28	فائدتان	مجالس 06	رسالة 11	حديث واحد	حكمة	مواظ 03	نواذر 04	1098

مصادر "ابن خير" من

الأخبار

الموضوع	أجزاء الأخبار من مصادرها الأصلية	كتب كاملة	أجزاء كتب أو قصائد	رسائل	قصائد	الأشعار	ديوان شعر	المجموع
م 28	102	31	08	08	36	10	01	196 خبر

ملاحظات عامة فيما يخصّ الجدول:

جدول رقم 03:

الموضوع	عدد الفهرسات
م 30	75 فهرسة

جدول رقم 04:

المواضيع	عدد الشيوخ
م 31	25
م 33	06
م 34	20
م 35	02
م 36	01
م 37	06
م 38	06
م 39	02
م 40	02
م 41	33
المجموع	78 شيخ

- نلاحظ تنوّع مصادر "ابن خير" بين كتب كاملة، أجزاء من كتب، قصائد، إختيارات، أراجيز، مساند، فرائد، مجالس، رسائل، أحاديث، حِكَم، مواعظ، نوادر، فهرسات وغيرها من أنواع الأخبار.

- من خلال الجدول رقم 01 نلاحظ أنّ الكتب كانت أعلى مصادر "ابن خير" بالمقارنة مع أنواع المصادر المذكورة كالقصائد أو الرسائل أو المواعظ، وغيرها والتي يبلغ عددها 891 كتابا، ويأتي بعده الشعر الذي بلغ 85 شعر، ثمّ أجزاء من الكتب والتي بلغ عددها 58، ثمّ المسانيد 28 مسندا، ويبدأ التنازل العددي في المصادر المتبقية: 11 رسالة، 06 قصائد، 06 مجالس، 04 نوادر، 03 مواعظ، ويتساوى الحديث مع الحِكَم.

- كان من الصّعب دراسة إنتاجيّة المؤلّفين في فهرسة "ابن خير" حيث رتّب المتن موضوعيا أو شبه موضوعي.

- كانت أعلى الموضوعات عددا هي بالترتيب: - الآداب واللغات والشروح. - علوم القرآن. - كتب الحديث بصفة عامة.

← هذا ما يدلّنا على أنّ مدى اهتمام المؤلّفين بعلوم الدين والآداب واللغات تأليفا ودراسة.

- لقد جال "ابن خير الإشيلي" بحثا عن الإجازة، فكانت بذلك رحلاته متنوّعة بين "المرية" و"مالقة".

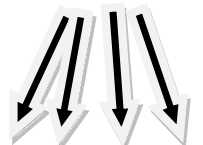
الملحق رقم 03:

مقدمات وطرفي "مفتاح السعادة
ومصباح السيادة"

المقدمات

الطرف الأول: في
الإرشاد إلى كيفية
تحصيل طريق النظر

الطرف الثاني: في
العلوم المتعلقة
بالتصفية التي هي
ثمرة العلم بالعمل



في بيان فضيلة العلم والتعلم والتعليم
في شرائط المتعلم ووظائفه
في وظائف المعلم
في بيان النسبة بين طريق النظر وطريق التصفية

الدوحة 02: في علوم
تتعلق بالألفاظ

الدوحة 01: في بيان
العلوم الخطية

الدوحة 06: في علوم
الباطن

الشعبة 02: فيما
يتعلق بالمركبات

الشعبة 01: فيما
يتعلق بالمغردات

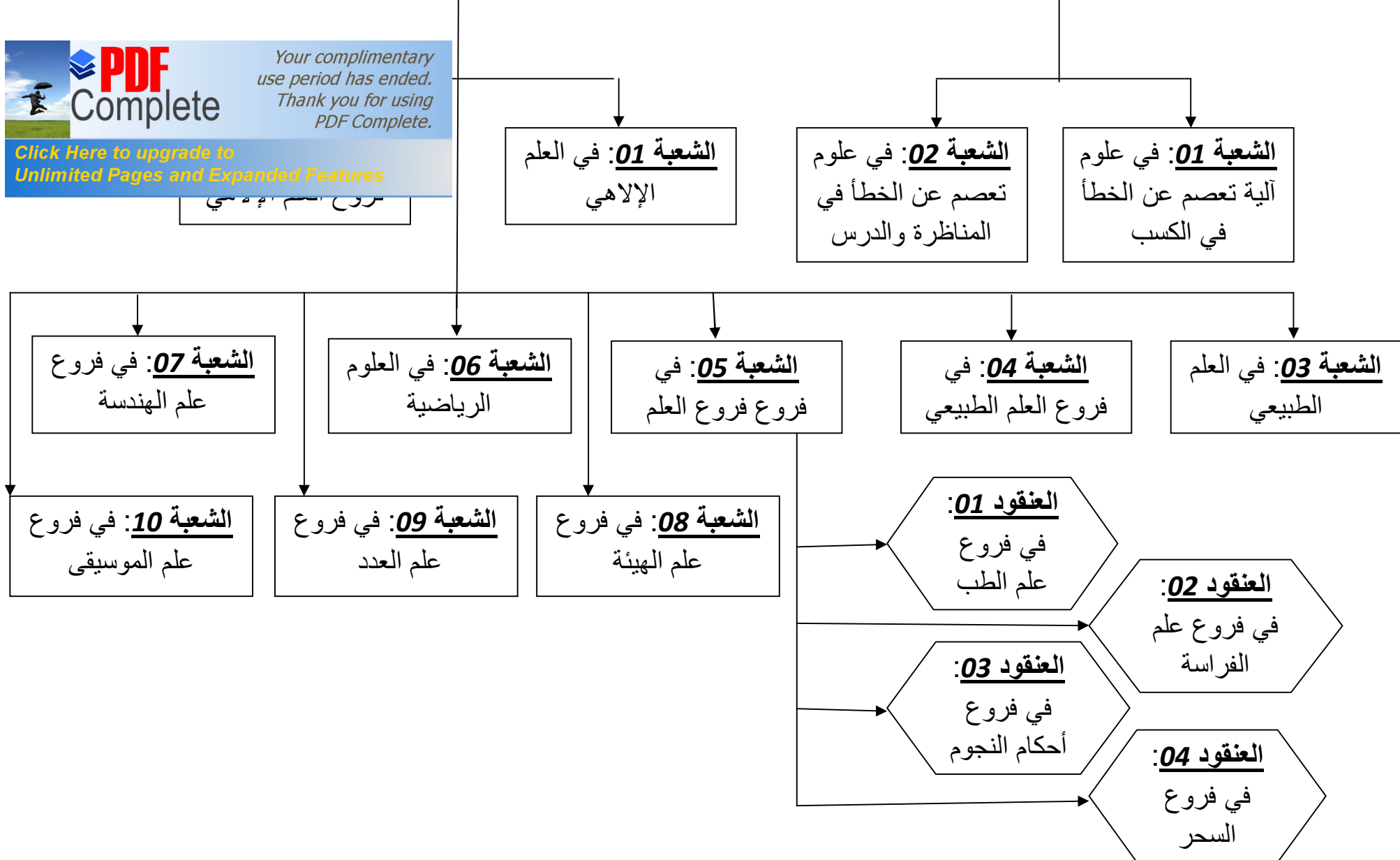
الشعبة 03: في
فروع العلوم العربية

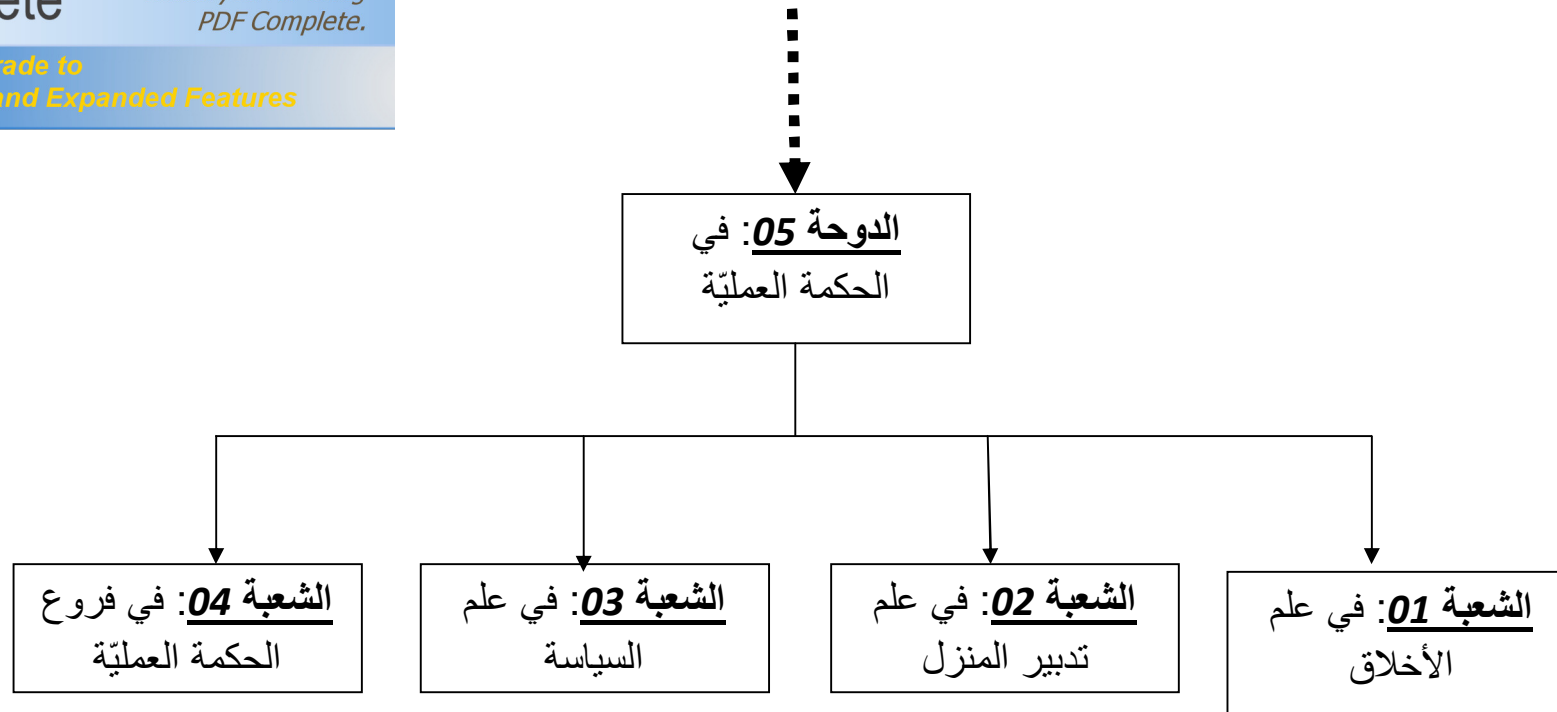
الشعبة 01: في
العلوم المتعلقة بكيفية
الصناعة الخطية

الشعبة 02: فيما
يتعلق بإملاء الحروف
المفردة

الدوحة 04: في العلم
المتعلق بالأعيان

الدوحة 03: في علوم
باحثة عما في الأذهان
من المعقولات الثانية





نلاحظ من خلال هذا المخطط أنّ "طاش كبري زادة" قد اهتمّ بالتشجير والتفريع لأصناف الموضوعات



الأبواب والفصول التي اشتملت عليها مقدّمة
"كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" لـ
"حاجي خليفة"

الباب الأوّل

تعريف العلم وتقسيمه.

الفصل الأوّل: في ماهيّته.

الفصل الثاني: فيما يتعلّق بماهية العلم من الإختلاف والأقوال.

الفصل الثالث: في العلم المدوّن وموضوعه ومبادئه ومسائله.

البيان الأوّل: في بحث الموضوع.

البيان الثاني: في المبادئ.

البيان الثالث: في مسائل العلوم.

خاتمة الفصل: في غاية العلوم.

الفصل الرابع: في تقسيم العلوم بتقسيمات معتبرة وبيان

أقسامها إجمالاً.

الفصل الخامس: في مراتب العلم وشرفه وما يلحق به. وفيه

إعلامات:

الإعلام الأوّل: في شرفه وفضله.

الإعلام الثاني: في كون العلم الدّ الأشياء وأنفعها

وفيه تعليمان:

التعليم الأوّل: في لدّته.

التعليم الثاني: في نفعه.



في نشأة العلوم

الباب الثاني

الفصل الأول

الإفهام الأول: في أن العلم طبيعي للبشر وأنه

محتاج إليه.

الإفهام الثاني: في أن العلم والكتابة من لوازن

التمدّن.

الإفهام الثالث: في أوائل ما ظهر من العلم

والكتاب.

الفصل الثاني: في منشأ إنزال الكتب واختلاف الناس

وانقسامهم، وفيه إفصاحات:

الإفصاح الأول: في حكمة إنزال الكتب.

الإفصاح الثاني: في أقسام الناس بحسب

المذاهب والديانات.

الإفصاح الثالث: في أقسام الناس بحسب العلوم

التلويح الأول: في أهل الهند.

وفيه تلويحات:

التلويح الثاني: في الفرس.

التلويح الثالث: في الكلدانيين*.

التلويح الرابع: في أهل اليونان*.

التلويح الخامس: في الروم.

* - الكلدان: وهم أمة قديمة سكنهم أرض العراق وجزيرة العرب: مقدّمة كشف الظنون. مج. 01. ص. 29. «وهم السريان والبابليّون، وكانوا شعوباً منهم الأرمانيّون والأشوريّون، وكان منهم علماء وحُكماء متوسّعون في الفنون، ولهم عناية بأرصاد الكوكب وتحقق أسرار الفلك»: أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم. تج. حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف، 1998. ص. 13-29.

* - وكان ظهور أمة اليونان في حدود سنة ثمان وستين وخمسمائة من وفاة موسى عليه السلام، واختلف في نسبهم، فقيل أنهم من جملة الروم: مقدّمة كشف الظنون. مج. 01. ص. 30.

التلويح السابع: في العبرانيين .

← التلويح الثامن: في العرب* .

← **الفصل الثالث: في أهل الإسلام وعلومهم.** وفيه إشارات:

← الإشارة الأولى: في صدر الإسلام.

← الإشارة الثانية: في الإحتياج إلى التدوين.

← الإشارة الثالثة: في أول من صنف في الإسلام.

← الإشارة الرابعة: في اختلاط علوم الأوائل

والإسلام.

في المؤلفين والمؤلفات. وفيه ترشيحات:

الباب الثالث

← الترشيح الأول: في أقسام التدوين وأصناف المدونات.

← الترشيح الثاني: في الشرح وبيان الحاجة إليه والأدب فيه.

← الترشيح الثالث: في أقسام المصنفين وأحوالهم.

في فوائد منثورة من أبواب العلم. وفيه مناظر وفتوحات.

الباب الرابع

← المنظر الأول: في العلوم الإسلامية.

← المنظر الثاني: في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم.

← المنظر الرابع: في أن الرحلة في الطلب مفيدة.

← المنظر الخامس: في موانع العلوم وعوائقها. وفيه فتوحات.

* - **أهل مصر:** وهم أخلاط من الأمم إلا أن جمهرتهم قبط، وإنما اختلطوا لكثرة من تداول ملك مصر من الأمم كالعالمقة واليونانيين والروم، فخفي أنسابهم فانتسبوا إلى موضعهم، وكانوا في السلف صابئة ثم تنصروا إلى الفتح الإسلامي: مقدمة كشف الظنون. مج. 01. ص. 31.

* - **العبرانيون:** هم بنو إسرائيل، سكنوا الشام، ولم يشتهروا بالعلوم الفلسفية، بل كانت عنايتهم بعلوم الشرائع وسير الأنبياء فكان أخبارهم أعلم الناس بأخبار الأنبياء وبدء الخليقة: انظر في ذلك مقدمة كشف الظنون. مج. 01. ص. 32. وأيضاً: أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي، المصدر السابق. ص. 109.

* - **العرب:** وهم فرقان بائدة وباقية، والبائدة كانت أمما كعاد وثمود، انقرضوا وانقطع أخبارهم، والباقية متفرعة من قحطان وعدنان، ولهم حال جاهلية وحال الإسلام: مقدمة كشف الظنون. مج. 01. ص. 32.

← المنظر السادس: في

← المنظر السابع: في شرائط تحصيل العلم وأسبابه. وفيه فتوحات.

← المنظر الثامن: في شروط الإفادة ونشر العلم. وفيه فتوحات أيضا.

← المنظر التاسع: فيما ينبغي أن يكون عليه أهل العلم.

← المنظر العاشر: في التعلم. وفيه فتوحات.

← **الباب الخامس** في لواحق المقدّمة من الفوائد. وفي مطالب:

← المطلب الأوّل: مطلب لزوم العلوم العربيّة.

← المطلب الثاني: مطلب علوم اللسان العربي.

← المطلب الثالث: مطلب الأدبيّات.

← المطلب الرابع: أنّه لا تتفق الإجابة في فنّي النظم والنثر إلاّ للأقل.

← المطلب الخامس: مطلب تعيين العلم الذي هو فرض عين على كلّ

مكلف*.

← المطلب السادس: مطلب أسماء العلوم.

← المطلب السابع: عدم تعيين الموضوع في بعض العلوم.

• **الخاتمة:** يبيّن فيها "حاجّي خليفة" غرضه في تصنيف "كشف الظنون".

* - لقد اختلف العلماء في تحديد ماهيّة هذا العلم، فقال المفسّرون والمحدّثون هو علم الكتاب والسنة، وقال الفقهاء هو العلم بالحلال والحرام، وقال المتكلّمون هو العلم الذي يُدرّك به التوحيد الذي هو أساس الشريعة: (راجع أكثر ما فصلّ فيه "حاجّي خليفة" في مقدّمة "كشف الظنون". مج. 01. ص. 56).

إنَّ النَّشاطَ العقلي والمنهجي في الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة كان

فلم تُعدَّ بذلك قواعد منهج الإسناد التي تتماشى ومنهج الجرح والتعديل سارية المفعول في توثيق الحديث وضبطه من حيث صحَّته وسقمه، إنَّما كان له الفضل في بلورة وصقل علوم كالسِّيَر والمغازي والأنساب التي شكَّلت في مجموعها علم التاريخ.

كما لم يتوقَّف تأثير منهج الإسناد عند هذا الحدِّ، كونه أُمسى إلى إكساب منهجيَّة توثيق سلاسل الإسناد في نقل المؤلفات إلى أصحابها وتحملها عبر الأزمان، خاصَّة فيما يتعلَّق بالشكل الأوَّلي للبليوغرافيا الذي اصطُلح على تسميته بـ "فهارس الشيوخ أو برامج العلماء"، من هذا المنطلق أضحى منهج الإسناد الأداة البناءة التي تحكم ضبط مسار التأليف عن الكتب.

Abstract :

The mental and methodical activity in Arabic Islamic Civilization was the logical result of what it achieved in the Hadith Sciences and its Mostalah.

So the rules of the Isnad method, which are adapted to the Djarh and Taadeel method, were not used only in the documentation and the control of Hadith from its reality and falsification, but its were used also in the support of other sciences such as Essiar and Elmaghazi and Elanssab which formed the history science.

The influence of the Isnad method doesn't stop at this limit. It leads to form a methodology to documenter the Isnad chains in the transmission of the writings to their owners during the ages, especially which has a relation with the first form of the bibliography. It is called "Index of Chouyoukh or Scientists programs".

From this point, the Isnad method becomes the tool that controls the way of writing books.

الكلمات المفتاحية:

علم الحديث/ الإسناد/ منهج الجرح والتعديل/ التدوين/ التوثيق/ فهارس الشيوخ/ البليوغرافية/ الضبط البليوغرافي.